

قصة الكنيسة القبطية

تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية
التى أسسها مارمرقس البشير

الكتاب السادس (أ) : ١٩٢٨ - ١٩٤٦

إيريس حبيب المصرى

مكتبة
المحبة

قصة الكنيسة القبطية

وهى تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية المصرية

التى أسسها

مارمرقس البشير

بقلم
إيريس حبيب المصرى

الكتاب السادس

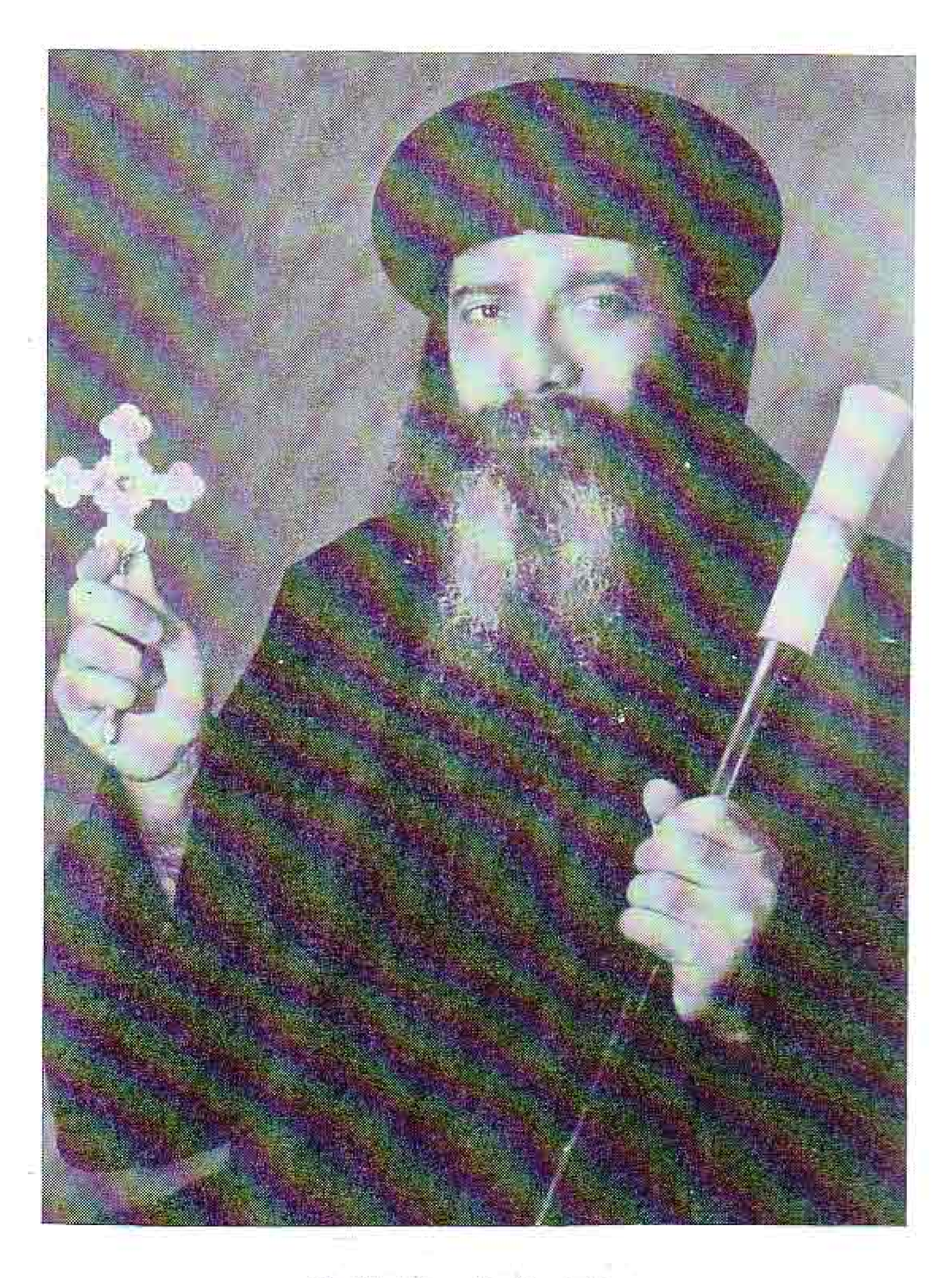
من عام ١٩٢٨ حتى ١٩٤٦ م

(١)

مكتبة المحبة



مار مرقس الرسول
يكتب انجيله مستلهما الروح القدس
وحتى الاسد الواقف الى جانبه رفع عينيه الى فوق



قداسة البابا المعظم
الأنبا شنودة الثالث
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

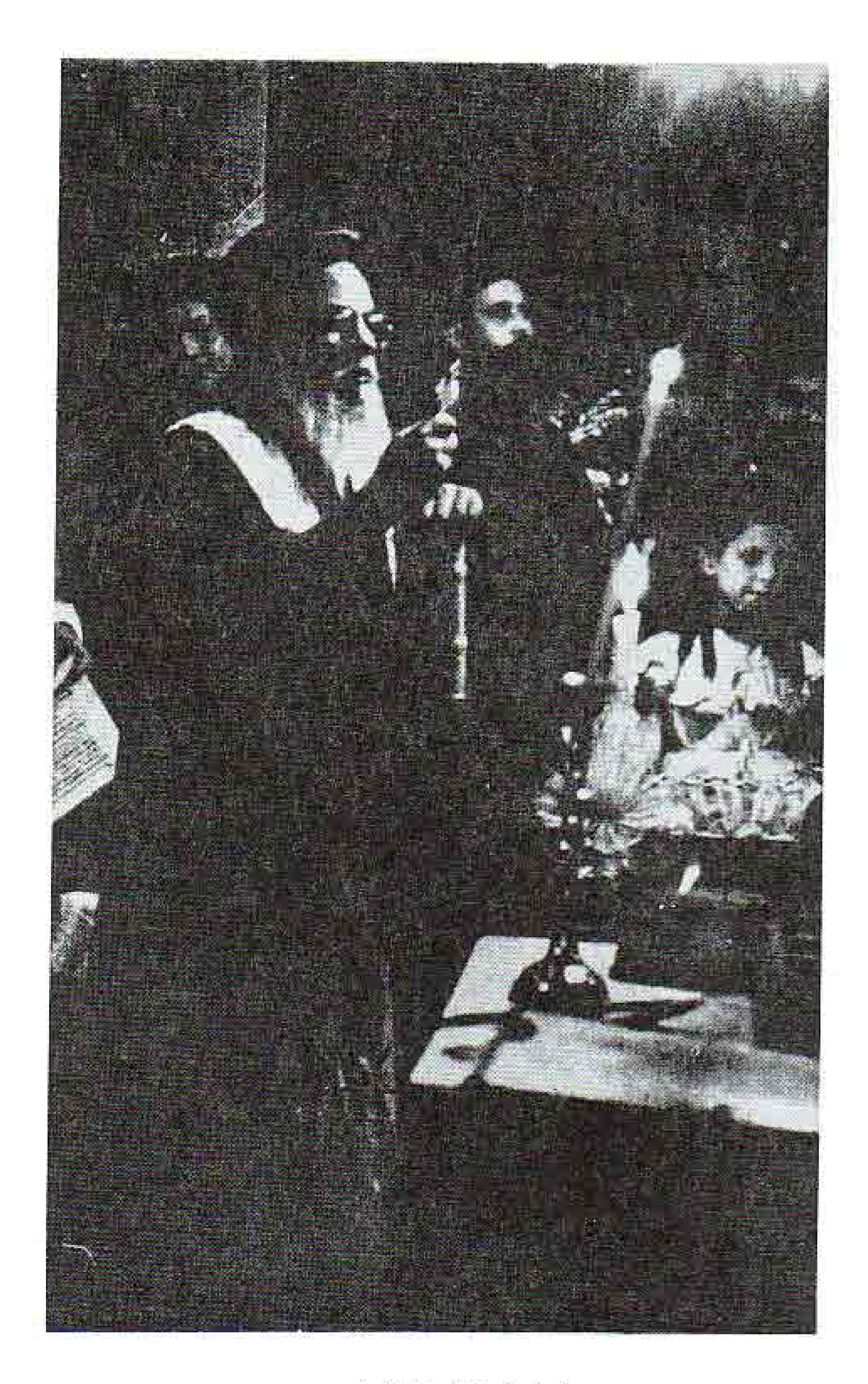


نيافة الانبا مكاريوس
مطران كرسى أسيوط
الذى اصبح البابا المرقسى المائه والرابع عشر



في زيارة المليك لمدرسة الاقباط الثانوية

- كانت دلائل الغبطة تلوح على محيا غبطة البطريرك على الرغم من إبلاله القريب من مرضه . وقد تفضل جلالته فصافحه ثم عانقه في حرارة
- استراح جلالته في صالة الرسم حيث تناول المرطبات وأبدى إعجابه بلوحة كبيرة للرسام جرجس وقال للحضور إنها أحسن صورة تمثل شخصه الكريم
- حازت فكرة الأمثال المصورة الفنانة سامية من جلالته وبخاصة صورة « شخشيخ يا ابو النوم على اللى جد اليوم » وهى تمثل شيخاً طاعناً في السن أحنى قامته ليقبل يد فتاة في سن حفدته .
- في أثناء زيارة جلالته لقسم لعب الأطفال ابتسم الى من حوله قائلا: إنه كان يملك مجموعة كبيرة كهذه في طفولته
- كان من جملة المعروضات عصارة للبرتقال تعتبر الأولى من نوعها في مصر



قداسة البابا الانبا يوساب

وعن يساره نيافه الانبا ياكوبوس

مطران القدس

و بينهما من الخلف الانبا توماس

مطران الغربية والبحيرة

وهم يؤدون شعائر الاكليل المقدس لايفا حبيب المصرى



كيرلس

مطران الامبراطورية الاثيوبية

Kyrillos

Archevéque de l'Empire Ethiopien



نيافة الحبر الجليل الانبا ياكوبوس

تتوج ادارة المدرسة تقريرها هذا بصورة حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الانبا ياكوبوس مطران الكرسى الاورشليمى والشرق الادنى للاقباط الارثوذكس مؤسس المدرسة وباعث نهضتها والعامل على تقدمها وازدهارها .

وادارة المدرسة اذ تحلى هذا الكتيب بهذا الرسم الاغر تضرع الى الله تعالى أن يمدّ فى عمر نيافته سنين عديدة ليصل بالمدرسة الى اقصى درجات الازدهار بفضل مساعداته وصالح دعواته وعطفه الأبوى الكريم .

« مدير المدرسة »

الاعتراف بالفضل لذويه :

يهمني جداً أن أقر بكل عرفان وخشوع أنني مهما قدمت من الشكر للآب السماوى فلن أستطيع شكره ـ إذ قد غمرني بفضله اللانهائى . فمن أين لى أنا المخلوقة المحدودة أن أقدم شكرى الكافى الى الخالق اللا محدود ؟ . . .

ثم أرفع شكرى مع تقديرى العميق الى صاحب النيافة الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى والتعليم العالى لأنه تفضل فأعارنى بعض الكتب التى نفذت طبعاتها .

كذلك أقدم شكرى وامتنانى لأبينا المكرم القمص متى المسكين لاستمراره فى مراجعة كتاباتى بدقته المعهودة .

وأشكر كل الأحبة الذين استجابوا لرجائى فأعطونى الكثير من المعلومات عن الأشخاص والأحداث فى هذه الحقبة الواردة بهذا الجزء .

وإنه ليحلو لى أن أبعث بولائى وإعزازى الى أولئك الأحبة الذين يرفلون الآن فى الفردوس والذين كانت حياتهم نجمى الهادى فى معترك الحياة .

ايريس حبيب المصرى

الاستاذة ايريس حبيب المصرى

نعمة و بركة وسلام من الله لشخصك العزيز

تصفحت مسودة الجزء الخاص « كيف سقط الجبابرة » وراجعت ما فيه كلمة كلمة . وربما كان هذا الجزء من كتابك الكبير « قصة الكنيسة القبطية » يمثل كيف تدخل الكنيسة بارادتها فى منطقة الظل بقدر ما تبتعد عن تراثها الروحى الخالد وتقليدها الأبوى المتقن .

لقد عبرت على حوادثه بشق الأنفس ، وقد تركت فى نفسى شعوراً حزيناً هيهات أن أتخلص منه . لأنه إن كان الكتاب المقدس بعهديه هو بالنسبة لى يمثل مراحل نمو وعيى الروحى ، فتاريخ الكنيسة هو بالفعل مراحل حياتى . بل إنى اعتقد أن هذه الاخفاقات المريرة التى عبرت عليها الكنيسة فى حياة كل من المطوب الذكر أنبا يؤانس التاسع عشر وأنبا مكاريوس الثالث قد أصابت الوعى الروحى للشعب بقصور وأتلفت حاسة تقييمه للتقليد المقدس ، لكن موقف والدك العظيم « حبيب المصرى » كان ولا يزال يمثل عنصر الديمومة للأمانة المطلقة فى الكنيسة من نحو تقليدها وتراثها الحى الذى لن تحجبه عن الإشراق إلا فترات زمنية قصرت أو طالت .

وإنى لا أزال أترجى وجه الرب يسوع أن يمنحك القوة والعزيمة لتكميل هذا التسجيل المتقن لتاريخ كنيستنا لأنه سيبقى للأجيال مصدر تثقيف وإلهام .

راجياً أن تقبلى عظيم شكرى واحترامى
« ولتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى وأنتم بكل حكمة معلمون
ومنذرون بعضكم بعضا »
١١ طوبه ١٦٩٩ / عيد الغطاس المبارك

القمص متى المسكين

مقدمة

كان الهدف الأول هو نشر الكتاب السادس ليتضمن سير الباباوات الثلاثة الذين تعاقبوا على السدة المرقسية ما بين انتقال البابا كيرلس الخامس الى الفردوس الى بداية باباوية الأنبا كيرلس السادس . ولكن حدث مالم يكن فى الحسبان مما أدى الى نشر الكتاب على قسمين الأول يتضمن عهدى الأنبا يؤنس التاسع عشر والأنبا مكاريوس الثالث ، والثانى قاصر على عهد الأنبا يوساب الثانى . فتكون الحقبة الواردة فى قسمه الأول من سنة ١٩٢٨ ـ سنة ١٩٤٦ ، بينما ترد الحقبة الثانية ما بين سنة ١٩٤٦ و بين سنة ١٩٥٦ .

على أن الأحداث التى جرت فى هذه الفترة (التى تضم الحقبتين) وفيرة ، كما أنها لقربها من عهدنا عاصرت شطراً كبيراً منها وعرفت معظم الأشخاص الذين وردت سيرتهم فيها . ولما كان الوفاء للكنيسة للأجيال الآتية يحتم تسجيل كل ما اختبرته شخصيا أو عرفته من أبى فقد جاء هذا الكتاب كبير الحجم على الرغم من قصر المدة الزمنية التى يتناولها .

ورجائى من عمق قلبى الى القراء أن يتمعنوا بصدر رحب ما ورد فى هذا الكتاب ففيه عبرة لكل من يتأمل و يتفكر .

والشكر الوفير للآب السماوى على رعايته الحانية الدائمة .

ايريس حبيب المصرى

كيف سقط الجبابرة [1] ؟ ؟ !

أ ـ الأنبا يونس الـ ١٩

(١) ٢ صموئيل ١ : ١٩ ـ ٢٧ (مرثية داود)

(٢) أيوب ١٧ : ٨

الإهداء

الى كل محب لكنيسة الآباء والأجداد
حريص على تعاليمها وتقاليدها ،
يهمه أن تحتفظ هذه الكنيسة العريقة بطابعها الخاص ،
أقدم هذا الجزء من
« قصة الكنيسة القبطية »
ضارعةً الى الله رب الكنيسة
أن ينير بصائرنا جميعا ــ
فنسير فى ثبات وولاء
للوديعة الغالية
التى تسلمناها من آبائنا
لنسلمها الى أبنائنا
كاملة جميلة

على جبل طابور

قبل أن نتتبع الحوادث التى أقلقت الكنيسة وأزعجتها على أثر انتقال الأنبا كيرلس الخامس الى الأخدار السماوية ، نصعد لنقضى بعض الوقت على جبل طابور (جبل التجلى) لأننا ـ بصعودنا ـ سنرى النور الإلهى يسطع خلال قديس روحانى عاش فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين : إنه القمص ميخائيل البحيرى المحرقى . وصعودنا يهدف الى إدخال البهجة والسكينة على نفوسنا قبل أن تخوض غمار الأحداث المضنية . لأن القديسين يشبهون سيدهم فى أنهم يشددون الأيادى المسترخية والركب المخلعة .

ولد ميخائيل ببلدة اشنين النصارى (مركز مغاغة) خلال سنة ١٨٤٧ . واشنين هذه ـ وإن تكن قرية ـ لها تاريخ كنسى عريق . وكان أبوه فلاحا ، كما أنه هو وزوجته كانا أتقياء خائفى الله ، فربيا ميخائيل فى طريق الرب .

ولما بلغ الثانية عشرة مرض أبوه . وحين أدرك الأهل والأقارب أنه سينتقل من هذا العالم ، خافوا على الصبى فأخذوه الى بيت واحد منهم ، وأصعدوه الى علية على السطح كى يكون بعيداً عن العويل والصراخ . وبينما هو فى هذا المكان رأى الملائكة حاملين أباه وطائرين به الى فوق . وعرف والده الى حد أنه نادى عليه : « ياأبى ... ياأبى ... » فأجابه ملاك منهم : « اطلب أن تكون آخرتك كآخرة أبيك » ... ثم بعد ذلك بثلاث سنوات توفيت أمه .

وكان هناك راهب كاهن اسمه القمص تاوضروس اعتاد أن يزور إشنين مرة فى السنة . ولأن ميخائيل كان ذا روحانية مرهفة ، فإنه كان يلازم هذا القمص الراهب طوال إقامته بإشنين . واستمر على هذا الحال الى أن بلغ سن العشرين . وعندها أعلن لأبيه فى الاعتراف رغبته فى الرهبنة . ففرح أبوه الروحى بهذه الرغبة ومنحه الإذن فى أن يرافق القمص تاوضروس . ونفذ ميخائيل لفوره هذه الرغبة ، وترك أهله وعشيرته دون أن يخبر أحداً . ولما كان مرشده من الدير المحرق فقد ذهب الى هناك .

عاش ميخائيل ثمانية عشر شهراً تحت الاختبار ، خدم إخوته خلالها بكل طاعة وتواضع ثم ألبسوه الطقس الرهبانى باسمه الأصلى « ميخائيل » ، فحمل نير مخلصه وتبعه الى النهاية . وقد عبر عما فاضت به نفسه يوم أن نال هذه البركة بقوله : « لقد أحسست بأننى ولدت ولادة جديدة مع إدراكى لخطورة موقفى . فالرهبنة مسئولية عظمى ، بها عاهدت الله أمام المذبح المقدس بأن أنذر ذاتى بكليتها لخدمته ، ومع ذلك فقد امتلأت سعادة عظمى » .

وقد سار مدبرو الرهبنة على الحكمة التى تلقنوها من الآباء ، فعهدوا بالراهب المبتدىء الى شيخ مختمر فى الرهبنة . لأن القدوة أبعد أثراً من القراءة والاستماع . ثم حضر الى الدير الأنبا أثناسيوس أسقف صنبو وقسقام فى يناير سنة ١٨٧٥ ، عقب عيد الميلاد المجيد ، فرسمه قساً مع الاحتفاظ باسمه أيضا . و بتلاقى الكرامة الكهنوتية مع الفضيلة التبتلية تألفت مظلة سمائية كالسحابة النيرة التى ظللت الرسل على جبل طابور. ولازمته النعمة الالهية ملازمة تامة جعلته متهللا حتى فى الضيقات التى صادفته . لأن الاضطهاد يكسب الشجاع دراية وخبرة روحية . فكانت الثمار التى جناها خلال أتعابه من ألذ ما استطعمه أبناؤه الرهبان فيما بعد .

وفى سنة ١٨٨٣ استقرت أمور الدير. فأخذ يدرب نفسه على تجليد الكتب : فجلد الكتب القديمة بمكتبة الدير لصيانتها . ولما عرف زوار الدير بعمله هذا أتوا اليه بكتبهم أيضا . وكان يقبل منهم أى أجر، و يوزعه على الفقراء من الرهبان ومن الأهالى ، حتى لقد اعتبره الجميع ملاك رحمة لهم . وكانوا هم وغيرهم يأتون للتبرك به و بإرشاداته . والواقع أنه لم يكن ليكتفى بهذه الهبات المادية ، بل كان أباً روحيا ذا شفافية يملأ نفوس المعترفين عليه والمسترشدين به عزاءً وطمأنينة . وإن من يتأمل معاملة القس ميخائيل فى تواضع يجد أنه شابه الأنبا يؤنس كامى الذى قيل عنه إنه حمل بر ية شيهيت على خنصره ، فقيل عن أبينا ميخائيل إنه حمل بر ية قسقام والوافدين إليها على خنصره .

وقد دفعه تجليد الكتب الى قراءتها . ولشغفة بها كان يشجع الرهبان على الاستزادة من القراءة ، فيقول لهم : « إن باب قلايتى مفتوح كل حين فى وجه كل من ير يد الاطلاع ، فالقراءة سمير العباد . والقراءة فى الكتب الالهية نوع من الصلاة . فنحن بالصلاة نخاطب الله ، وهو يخاطبنا عن طر يق كتبه ... ومن الضرورى ألا يكتفى القارىء بالاعتماد على علمه ومعرفته وفطنته الخاصة ، بل لابد له من الرجوع الى آراء ذوى الخبرة والحنكة والإلمام العملى لتحقيق ما يقرأه والتثبت من معانيه ...

ثم انشغل بعد ذلك فى زراعة بستان فى ركن داخل أسوار الدير. وهنا أيضا كان يوزع كل ما يأتيه و بعض محاصيله على المحتاجين .

ولقد أغدق الله عليه مواهب عجيبة منها أن أحد الرهبان رآه وقد آنس اليه ضبعان ــ عند رجوعه الى الدير بعد مغيب الشمس ، وكان قد خرج لقضاء بعض حاجات لإخوته الرهبان . وحينما رأى الراهب الضبعين عند قدمى القديس اشتاق أن يعرف ما هذا السلطان . فسأل أحد الشيوخ عن ذلك . أجابه : « إن السر فى خضوع الوحوش لرجال الله ومؤانستها لهم هو أنها تشم

فيهم رائحة الخالق الحال فيهم فتشعر بقوة خفية صادرة عنهم تسلب وحشيتها . إذن فهى تخضع للخالق فى أشخاص أصفيائه . » (١)

ولم يقتصر سلطانه الروحى على الوحوش ، بل شمل الناس الذين جرفهم العالم . فقد حدث أن جاء الى الدير شاب ممن سيطر عليهم الاستخفاف برجال الله . وما إن وقعت عيناه على أبينا ميخائيل حتى ذهب اليه وأخذ يقبل يديه . و بعد ذلك قال للرهبان : « إننى مندهش مما حدث ، إن بمجرد رؤ يتى لرجل الله شعرت كأن قوة خفية تدفعنى نحوه وتحركنى الى لثم يديه . و بينما أنا ممسك بهما هزتنى قشعر يرة أبكتنى ، فطلبت منه الدعاء الصالح » .

كذلك منحه الآب السماوى سلطة قاهرة على الأرواح الشر يرة ، وعلى السحرة والمشعوذين . فقد كان فى بلدة بنى رافع ساحر أزاغ الشعب وراءه . وحدث أن جاءه يوماً بعض الناس يطلبون إليه أن يرسل أحد عملائه الى قلايه القمص ميخائيل ليرى من هم الجالسون معه . وكم كانت دهشتهم عظيمة إذ رأوا العميل راجعا فى فزع وهو يقول للساحر. « اطلب منى أى طلب غير هذا ، لأننى لا أستطيع دخول قلاية هذا القمص . فكلما حاولت ذلك أراها محاطة بنار كسياج حولها ! » وكان بين السامعين شاب بلغ به التأثر أن جعله يذهب لفوره الى الدير و يترهبن . ثم أصبح بعد ذلك القمص متياس الرافعى المحرقى .

ولما كان قلب أبينا ميخائيل فائضاً بالمحبة والحنان الدافق ، فإنه كان يعمل جهده على تخفيف آلام إخوته فى الانسانية . ولقد شجع هذا الحنان الكثير ين على الاستنجاد به . ومن الأمثلة على ذلك أن رجلاً فقيراً اختصم معه رجل غنى قاس ، بلغت قسوته أن اتهم الفقير تهمة هو برىء منها ، ورفع قضية ضده . فقصد الفقير الى أبينا ميخائيل ، واشتكى له . فصلى الأب الحنون على رأسه ، و باركه ، ثم سأله عن موعد القضية . وفى اليوم المحدد للقضاء اشتد الخوف على الفقير إذ لم يكن له محام يدافع عنه الى حد أنه لم يذهب الى المحكمة . أما أبونا فقد تذكره وصلى لأجله فى القداس الإلهى . واستجابت مراحم القدير لهذه الصلاة . لأن القاضى حين نادى على المشكو عليه ولم يجب ، قام تلقائيا ومن نفسه ــ رجل له مكانته ودافع عنه وأثبت براءته ، واستصدر له الحكم بهذه البراءة . فطار قلب الفقير فرحاً وذهب فقدم شكره لرجل الله .

ولئن ذكرنا هذه الأمثلة القليلة ، دليلاً على أن كل عصر قد جمله الله بالقديسين ، فيجب أن نذكر أن الآيات التى تمت بصلوات أبينا ميخائيل أضعاف ما ذكر .

أما تعاليمه الروحية فهى بلسم شاف للقلوب المتطلعة نحو الكمال . وهنا أيضا يعوزنى الوقت لسردها تفصيليا ، لذلك نكتفى بما يأتى : « يقولون ــ وقولهم ليس بحق ــ إن الهروب من

(١) قارن بين هذا التعليل و بين ما قيل عن خضوع الوحوش للقديسين فى نهاية سيرة الأنبا بولا جـ ١ من هذا الكتاب ص ٨٩ ــ ٩٠

الشرجبن . فلو فرضنا أن الأمر كذلك فجبن مثل هذا ضرورى للخلاص » ... إن الوحدة بمثابة بوتقة للمتوحد المجاهد تستبين فيها كمية حيازته على الشجاعة الروحية الحقيقية .... فالشياطين ، فى حروبهم ضد المتوحد ، يلقون كل شرهم عليه دفعه واحدة ومن دون شفقة » .... « مما يضحك و يبكى معاً ادعاء البعض بأنهم فى غنى عن الاعتراف بخطاياهم بحجة أنهم عقلاء وقادرون على تدريب ذواتهم . وفاتهم أن العقل الذى تنازل لشهوات الجسد ، وجبن أمام هجمات الفساد ، لا يفقه عقب السقوط شيئا من التدبير . وهل يرجى من الثمل أرشاد ؟ » ... « أتريد راحة البال ؟ إذن حافظ على شروط محبة الله ومحبة القريب » .... « الصلاح لا يقتصر على الابتعاد عن الشر فحسب ، بل يتناول أيضا ممارسة الفضائل » ..... « لا تبك على موتى الأجساد بمقدار ما يلزمك أن تبكى وتنوح على موتى الأرواح » (١) .... « المنتقم من أخيه متغلب فى عينى نفسه وأعين الناس . أما عند الله فمغلوب على أمره ، ذو صفقة خاسرة » ... « الراهب الذى ينظر الى الرتب العالية الإدارية ، ويهيم فى بلوغها مزكيا نفسه لأجلها ، يعرقل مساعيه الجهادية » .... « إذا كنا حاقدين فلا تقتصر صلاتنا على أنها تعود إلينا فارغة من الخيرات ، بل وتكون محملة باللعنات » .... « العاقل الخاضع لإرشادات النعمة لا ينخدع لحيل إبليس » .

و يرى القارىء من الأمثلة المسرودة أن أبانا ميخائيل استهدف بناء أولاده الرهبان المسترشدين به بناءً روحيا مؤسساً على الصخر ، و بخاصة لأنه كان أبو اعترافهم جميعا ومبدأ تركيز الاعتراف فى آب واحد — داخل الدير — وضعه الآباء ليسود بينهم الانسجام الفكرى الروحى .

ومن التجارب العصيبة التى جازها فقده البصر سنة ١٩٠٨ ، فتحملها بصبر كأيوب مقتديا بالمعلم الاسكندرى الكبير ديديموس (٢) . وليس ذلك فحسب ، بل إنه كان دائما على استعداد لمغادرة هذا العالم ، مردداً لنفسه قول بولس الرسول الى اشتهاء أن انطلق وأكون مع المسيح . (٣) ولهذا السبب كان ينفذ وصية رب المجد « اسهروا وصلوا » ، إذ كان لا ينام غير فترات قصيرة و يقضى الليل فى الصلوات والتسابيح وقد أنعم الله عليه بصوت عذب حنون يملأ قلوب سامعيه عزاء . وعاش ستاً وسبعين سنة فتنيح بسلام فى ١٦ أمشير سنة ١٦٣٩ (٢٣ / ٢ / ١٩٢٣) .

ويختتم كاتب سيرته بهذه الكلمات : « كفانا عزاء بعد نياحته كوننا دائما نشخص بقلوبنا نحو ذاته المحبوبة ، فنحن — وإن كنا قد فقدناه جسديا — الا أننا لم نفقده روحيا ، فهو معنا بروحه و بذكراه . بركة صلواته تكن معنا آمين » . (٤)

---

(١) كان حبيب المصرى يقول إنه حين يستمع الى صلوات الترحيم يحس فى أعماقه بأن الكنيسة لا تتضرع من أجل الذين ماتوا بالجسد فحسب ، بل إنها تصلى بالحرى عن الذين ضلوا ولم يتوبوا

(٢) راجع ما جاء عنه فى حـ ١ من هذا الكتاب بعنوان « الأعمى البصير » ص ٢٥٠ — ٢٥٦

(٣) فيلبى ١ : ٢٣

(٤) كتاب « بلوغ المرام فى تاريخ حياة خليفة أنبا ابرآم المتنيح القمص ميخائيل البحيرى كوكب برية جبل قسقام » للقمص عبد المسيح واصف الحرقى (أنبا لوكاس مطران منفلوط وأبنوب فيا بعد) — مطبعة رعمسيس بالفجالة سنة ١٩٢٥ .

وبعد أن سطع على قلوبنا النور الالهى المنعكس علينا من هذه السيرة العطرة ، نرى لزاماً علينا أن ننزل من على الجبل المضيء لنعود الى العالم ونعيش وسط تياراته وصراعاته .

« ... الذى يسير دائما فى طريق الحق ، لا يستاء مطلقا من كلمة الحق : أن تقال أو أن تكتب . بل يشجعها ... »
الأنبا شنودة أسقف المعاهد الدينية والتربية الكنسية
(البابا شنوده الآن)
عن مجلة الكرازة ، العددين الثانى والثالث للسنة الأولى ، يناير وفبراير سنة ١٩٦٥ ، ص ٢٨

مقدمة ــ حينما جلست لأكتب هذه المقدمة رنت داخلى كلمة السيد المسيح : « من له أذنان للسمع فليسمع » ، فلم أجد بدأ من تسجيلها لأنها رنت فوراً وتلقائيا . ولقد وجدتها إشارة عجيبة الى ما سيدور الحديث عنه فى هذه الفترة المزمع تسجيلها . وهى الفترة التى أعقبت نياحة البابا الوقور الأنبا كيرلس الخامس . وتطبيقاً لوصية الفادى الحبيب يجدر التمعن فى أحداث هذه الفترة بتدقيق لأنها غريبة تماما على كنيستنا العريقة . وعلى الرغم من تناقضها الدخيل يبدو أن العبرة الناتجة عنها لم تؤثر التأثير المطلوب . وبما أن الأثر البادى باهت فليس من شك فى أنه يرجع الى جهل الغالبية من القبط والى صمت الأقلية العارفة بالأحداث السابقة على عهد البابا الجليل الأنبا كيرلس السادس . ولهذا السبب أهيب بجميع قرائى الكرام أن يستهدفوا التمعن من قراءة هذه الفترة تمعنا خاصا . لأنه يجب علينا أن ندرك جميعا أن كل ما يحدث إن هو الا نتيجة للعوامل السابقة عليه . وفوق هذا علينا أن ندرك أن مجاملة الأشخاص على حساب الكنيسة وتقاليدها خطر على الأجيال المقبلة ... والخالق المبدع بنى خليقته على نظام غاية فى الدقة فجعل النتائج مبنية دوماً على الأسباب ، ألم يقل لنا له المجد « لا يجتنون من الشوك عنبا ولا من الحسك تينا ؟ » ولو أن الانسان تفطن فى هذا الواقع المذهل وحاول أن يتفهم الأمور من غير العنصر الشخصى والانفعالات الفردية لحاول دوماً أن يعتبر بالماضى اعتباراً فعليا تطبيقيا . فمثلا يتشدق القبط دوماً بأنهم أولاد الشهداء ــ فهل دفعهم هذا التشدق الى دراسة سير الشهداء دراسة عميقة فى إمعان وتبصر ؟ وهل الذين درسوها فعلا حاولوا أن يسيروا وفقاً لهذه النماذج المثلى التى درسوها ؟

والتساؤل عن دراسة سير الشهداء انما يستهدف التوصل الى سؤال يليه مباشرة فى الأهمية هو إلى أى مدى تمعنا فى تاريخنا ككل ؟ أو بعبارة أخرى الى أى مدى حاولنا أن نتفهم حياة من سبقونا من العلمانيين الى جانب دراسة حياة الآباء ؟ وهذه التساولات كلها توصلنا الى سؤال يشملها جميعا وهو: إلى أى مدى يعرف أولاد مصر تاريخ مصر ؟ والتاريخ المقصود هنا ليس تاريخ الفراعنة ، ولا هو تاريخ الملوك والحكام الذين تعاقبوا على السلطة فى مصر مذاك ، ولكنه تاريخ شعب مصر .

وشعب مصر يجب أن يكون الهدف الأساسى فى دراستنا لتاريخنا القومى خصوصا فى القرن الأخير لعنف التطورات التى حدثت فيه . وبما أن كل ما يحدث له سبب ــ فما هى الأسباب التى أدت الى هذا العنف فى تاريخنا الحديث ؟ وهل يمكننا ــ إذا ما تمعناه ــ أن نتجنب ما حدث من أخطاء ؟ ومادام المسيح له المجد قد نبهنا الى أن « من له أذنان للسمع فليسمع » فهو يعرفنا بهذا التنبيه أنه فى الإمكان أن نعتبر بأحداث الماضى ، فنسير على ضوء هذا الاعتبار فى طريق أسمى معتمدين على نعمته و بركته . . .

واستكمالاً للتمعن فى الأحداث المزمع سردها نورد هنا اقتباساً يلقى ضوءً قوياً على مجريات الحوادث ، وهو: « وأطرف ما قابلنى فى دراسة هذا الموضوع ــ موضوع قوة التماسك فى المجتمع المصرى ــ أن عاماً جد عادى بين أعوام التاريخ المصرى الحديث وسنيه بدت له أهمية خاصة لم تكن متوقعة ، هو عام ١٩٢٨ . عام قد يمر به القارىء للتاريخ ، أو الباحث نفسه ، من غير أن يوقفه فيه أمر ذو خطر. فهو ليس عام حدث أو أحداث جليلة ، ليس عام ثورة ولا حرب ولا انتفاضات ولا معاهدة ولا تسوية سياسية أو اقتصادية ذات شأن . وهو لا يصلح بداية ولا نهاية لمرحلة تاريخية ما ، فى أى من مجالات النشاط الاجتماعى والسياسى الظاهرة . ولكنه تكشف فى هذه الدراسة عن عام عجيب ، ففيه وفيما سبقه مباشرة من شهور([١]) ، احتدم الصراع السياسى حول الأزهر والكنيسة ، وأثير موضوع التفرقة بين الأقباط والمسلمين فى وظائف الإدارة ، وعربدت فيه بعثات التبشير فى مصر وتركيا وغيرها ، وظهرت جمعية الشبان المسلمين وجماعة الإخوان المسلمين . . . أى أننا نحن المصريين بذواتنا صرنا موضوع الصراع وأرضه وميدانه ، وامتلاك الذات هنا هو أمضى سلاح ([٢]) ، مهما بلغ جبروت الطامعين وعتوهم . . .

« أرجو من الله السلامة والعافيه لهذا الوطن ، ولهذا الشعب الذى اعتز بكونى فرداً فيه ــ فرداً من ملايين سلفت وأتت ، وستجىء إن شاء الله حاملة لواء التحرر والنهضة والحضارة » ([٣]) . . .

تمهيد ــ « وفى أعماقكم أيها القبط ، لا فى المقابر ، يرقد آباؤكم الأمجاد الذين تفاخرون بهم » ([٤])

---

(١) كانت هذه هى الفترة التى تلت نياحة قداسة البابا كيرلس الخامس ، و يقول طارق البشرى عنها فى كتابه « المسلمون والأقباط على ص ٤١١ مايلى : » وقد فجرت وفاة كيرلس الخامس بين الأقباط طاقة من السخط . . . حتى ليبدو النظرة الخارجية أن انقساما خطيراً يتهدد كنيستهم . شب الخلاف فى أيام معدودات حتى صعب التنبؤ بما كان سيكون لو استمر، لولم تأت وفاة سعد زغلول فى ٢٣ أغسطس لتكسر من حدته ولترده الى حجمه المناسب فى نطاق الخلافات والمشاكل الأخرى ، ولتنقل اهتمام المصريين جميعا الى هذا الشعور بالحزن المرير لوفاة زعيم ثورتهم ، والى التربص لما عساه أن تأتى به الأيام . فكانت وفاة سعد كما كانت حياته من عوامل التجميع .

(٢) هنا يرن فى آذاننا قول رب المجد بصبركم اقتنوا أنفسكم ــ لوقا ٢١ : ١٩

(٣) طارق البشرى : المرجع السابق ــ المقدمة ص ٣ وه ــ ٦

(٤) عن أحد الآباء المعاصرين

حينما انتقل البابا الوقور كيرلس الخامس الى مساكن النور، كانت مصر لا تزال فى صراعها مع انجلترا من أجل استقلالها التام . صحيح أنها كانت قد نالت الحق فى أن تكون دولة ذات سيادة قومية يحكمها ملك كما أصبح لها برلمان ، (١) ولكن الجنود الانجليز كانوا مازالوا مرابطين على أراضيها المتاخمة لقناة السويس وللبحر الأحمر بحجة أن عليهم تأمين مواصلات امبراطوريتهم . فكان هذا الصراع السياسى من أقوى العوامل المشتعلة فى أعماق المصريين .

ووسط هذا الجو المشحون بالانفعالات ظهرت مراحم الآب السماوى فى توافق المجمع المقدس والمجلس الملى على اختيار الأنبا يؤنس مطران البحيرة قائمقاما بطريركيا . وقد ارتكز هذا الإجماع على ما امتاز به هذا المطران من وطنية صميمة وضحت فى مختلف المناسبات الثورية بصفة خاصة . ثم إنه كان أكبر المطارنة سنا كما كان سكرتيراً للمجمع المقدس .

ومما يجب ذكره بالشكر للآب السماوى أيضا أن المسئولين من القبط آنذاك اتخذوا كل الخطوات اللازمة للوصول الى هدفهم وهو انتخاب من يجلس على السدة الباباوية . فبعد أن اختاروا القائمقام البطريركى بدأوا يبحثون عن الراهب الذى يتوسمون فيه المزايا اللازمة لهذه الكرامة العظمى . ومن عجب أنه وسط هذا التناغم الحلو رنت نغمة من النشاز : نغمة توجع القلب ، وهى أن شيئاً من الأفكار الغريبة التى كانت بعيدة كل البعد عن كنيستنا أخذ يتسرب داخل العقول . ذلك أن القبط على مدى عصورهم المتتابعة كانوا ـــ إذا ما وقفوا موقف الساعى الى راعيه الأول ـــ يذهبون الى الأديرة و يلتقون بشيوخها و يستعينون بهم فيمن يصلح للخلافة المرقسية . وكانوا خلال بحثهم يداومون على الصلاة . أما فى هذه الفترة فقد تراكوا الصراع السياسى يدب داخل تفكيرهم حتى فى هذا الموضوع الكنسى الحيوى الخطير !

ولقد وضح لنا من سيرة البابا الوقور الأنبا كيرلس الخامس أن المصريين عامة انقسموا الى قسمين كبيرين : قسم ملتهب الوطنية مستعد للتضحية بالنفس والنفيس فى سبيل كرامة مصر واستقلالها ، وقسم منحاز للانجليز زعما منه أنهم يعاونوننا نحو التقدم العلمى ! وكانت القوى المثيرة لهذين الموقفين مازالت سائدة ، و بقوة تأثيرها تقدم المسئولون بترشيحاتهم .

على أن الله لا يدع نفسه بلا شاهد وسط كل الانفعالات والتقلبات الانسانية فتقدم المخلصون للكنيسة إخلاصا صافيا بعيداً عن كل مؤثر سياسى بترشيح الراهب حنانيا الأنطونى (٢) والأرشيدياكون حبيب جرجس . أما التياران السياسيان فقد تقدم التيار الوطنى بترشيح الأنبا يؤنس ، بينما تقدم التيار المعارض بترشيح القمص يوحنا سلامة المحرقى وكيل مطرانية الخرطوم . ومع امتاز به كل من الشخصين من المميزات إلا أن كلاً منهما كان لا حق له

(١) البرلمان كان الهيئة النيابية وكان يتألف من مجلسى النواب والشيوخ ـــ أو الشعب والشورى فى وقتنا الحاضر .

(٢) أصبح فيما بعد الأنبا تيموثيوس مطران الدقهلية ، وكان نعمة عظمى منحها الله لهذا الشعب .

فى أن يقبل الترشيح من البداية . فالقمص يوحنا سلامة كان قد تزوج فى شبابه ، وعاش مع زوجته بضع شهور اختارها الله بعدها الى جواره . وعلى أثر انتقالها الى الدار الباقية قصد الى الدير المحرق حيث قضى عدة سنوات اختير بعدها ليكون وكيلا لمطرانية الخرطوم . وبما أنه من الشروط الأصيلة فيمن يختار للباباوية أن يكون متبتلا لم يسبق له زواج ، فإن هذا الشرط كان يجب أن يجعل القمص يوحنا يعتذر لمرشحيه حين رآهم اندفعوا بانفعالاتهم الى ترشيحه . ولئن أمكن عذرهم بجهلهم إلا أن هذا العذر لا ينطبق عليه . فهو كان من الآباء المتعمقين فى العلوم الكنسية ، وقد وضع كتاباً فى جزئين بعنوان : « اللآلىء النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة(١) فلما رأى المعارضون ليوحنا سلامة أنه قبل الترشيح وجهوا اليه — فى حملاتهم الدعائية — تهمة التودد الى الانجليز. ولا ندرى إن كانوا عرفوا عنه زواجه السابق أم لا (٢) ، إنما الذى نعرفه هو أنهم روجوا ضده هذه الدعاية التى كانت ذا خطر جسيم آنذاك . وبالطبع وصلت شائعاتهم الى مسامع الملك فؤاد حاكم مصر. وكان شخصا لا يرضى بصورة الحكم بل يمارسه فعلا . فاستدعى توفيق دوس باشا وزير المواصلات واستوضحه حقيقة ما سمع . أجابه الوزير : « أنتم تعرفون يا مولانا أن الدعايات لا تعرف التعفف ، وتعرفون كذلك من قراءاتكم الكثيرة أن باباوات القبط أوفياء لوطنهم ولحكومتهم على مدى الأجيال . « قال الملك » . نحن الآن فى موقف شديد التوتر مع الانجليز فلا داعى لانتخابات قد تأتى بشخص يقال عنه إنه مشايع للانجليز. وأنا أعرف الأنبا يؤنس شخصياً وأقدره . ويهمنى أن يكون هو على رأس الكنيسة فى الوقت الحاضر واعترض توفيق دوس قائلا : « إن القانون الكنسى القبطى لا يجيز للمطران أن يعتلى الكرسى الباباوى . » ولكن الملك خطط مع الوزير التحايل على القانون وذلك بأن حصر الناخبين فى ثلاث فئات فقط هى : الوزراء السابقين والحاليين ، أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب السابقين والحاليين ، أعضاء المجلس الملى العام دون المجالس الفرعية بالإضافة الى أعضاء المجمع المقدس وبعض العلمانيين تخيرهم الملك بنفسه أيضا . وعند إحصاء هؤلاء الرجال بلغ عددهم ستة وتسعين فقط وحينذاك أمر الملك وزيره بأن يبلغهم رغبته فى أن يفوز الأنبا يؤنس بالسدة المرقسية .

ومما يزيد القلب وجعاً على وجع أن هذه الرغبة الملكية تردد صداها فى أعماق أولئك الذين كان يجب أن يكونوا أول المعارضين لها : فهم رعاة الكنيسة المطالبون من الله بتوجيه الشعب الى طريق الصواب ، وهم الحفظة على تاريخها وطقوسها وتقاليدها . ولكن مجموعة من الآباء المطارنة نسوا أو تناسوا هذا كله وعادوا الى ذلك الموقف الذى وقفه تلاميذ رب المجد حين تحاجوا مع بعضهم البعض فيمن هو الأعظم فيهم ، إنهم نسوا أو تناسوا الإجابة القاطعة التى رد بها عليهم

(١) طبع بمطبعة عين شمس بالقاهرة وقد قررت وزارة المعارف (التربية والتعليم) تدريسه بمدارسها العالية وقد وردت على صفحته الأولى ، وتحت عنوانه مباشرة هذه الكلمات : « طبع فى عهد وبإذن قداسة البابا المعظم أبينا كيرلس الخامس » . ومما يؤسف له أن الناشر لم يذكر السنة التى صدر فيها .

(٢) طارق البشرى : « المسلمون والأقباط » ص ٤٢١ ، ٤٢٦ — ٤٢٩ حيث يتحدث بالتفصيل عن الوقائع الأليمة التى حدثت آنذاك .

سيدهم ومعلمهم حين أعلن بصراحته الحاسمة : « من أراد أن يكون فيكم عظيما فليكن للجميع عبداً » . ولعلمه — تبارك اسمه — بالضعف البشرى عاد فكرر هذه الوصية المذهلة حين غسل أرجل تلاميذه ليلة العشاء السرى إذ لم يكتف بالدرس العملى بل أكده بعد إتمامه بقوله : « إن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض » . (١) وحينما نسى الرعاة أو تناسوا عقدوا مجمعاً إكليريكيا برياسة الأنبا يؤنس القائمقام البطريركى وحضور أحد عشر مطرانا هم : مكاريوس مطران أسيوط ، لوكاس مطران قنا وقوص ، سرابامون مطران النوبة والسودان ، ثيئوفيلس أسقف منفلوط وأبنوب ، يوساب مطران جرجا ، أثناسيوس مطران بنى سويف والبهنسا ،ميخائيل أسقف أبوتيج طهطا ، باسيليوس مطران القدس الشريف والشرقية ، بطرس مطران الدقهلية والغربية ومركز دمياط ، ايساك مطران الفيوم ، متاووس مطران الجيزة والقليوبية ومركز قويسنا . وقد اجتمع معهم أيضا القمص سرابامون رئيس دير البرموس ، القمص مكسيموس رئيس دير السيدة العذراء (السريان) ، القمص يوحنا رئيس دير الأنبا بيشوى . وكان اجتماعهم بالدار البابا وية الساعة التاسعة من صباح يوم الخميس المبارك الموافق ١٢ أبيب سنة ١٦٤٤ ش (١٨ يوليو سنة ١٩٢٨ م) . و بعد الصلاة والتداول قرروا ما يأتى :—

١ — جاء بالمجموع الصفوى نقلا عن مجمع نيقية ص ٤٧ من الطبعة الثانية فى باب الأساقفة :

« فإن عرضت للأسقف علة تطرده عن بلده حتى لا يجد بداً من التحول عنها ، فهو حينئذ معذور وليوجه الى بلدة أخرى إذا علم منه عفة وحسن سياسة ودين ، **ولايعير لذلك ،** وإن استحق لينقل الى ما هو أرفع لأنه ليس بهواه تحول عن موضعه » .

٢ — إنه سبق أن كان الأنبا بطرس الجاولى التاسع بعد المئة فى عداد البطاركة معينا مطرانا على الحبشة ، ولما خلا كرسى البطريركية وقع عليه الاختيار ورقى للرتبة البطريركية .

٣ — إنه سبق أن رسم الأنبا كيرلس الرابع العاشر بعد المئة مطرانا على القاهرة ونائبا بطريركيا ، و بعد رسامته مطراناً بسنة وشهرين رقى بطريركا .

٤ — إن جميع الكنائس الطقسية تحتم انتخاب البطريرك من بين الأساقفة .

وقبل الاسترسال فى تتبع الأحداث التاريخية لنقف قليلا أمام هذين المثلين اللذين قدمهما هذا المجمع الاكليريكى ، فيقول كاتب سيرة الأنبا بطرس الجاولى إن الأنبا مرقس الثامن استقدمه من الدير ليرسمه مطرانا على الحبشة فتأجلت الرسامة . ومن ثم اتخذه البابا سكرتيراً

---

(١) متى ٢٠ : ٢٥—٢٦ ، مرقس ١٠ : ٤٣—٤٤ ، لوقا ٩ : ٤٦—٤٨ ، يوحنا ١٣ : ٣—١٧ — وفادينا يطلب منا تنفيذ روح التفانى والتواضع كل يوم ، يطلب من جميع المؤمنين باسمه (لا من الكهنة فقط) أن يتواضعوا تحت يد الله القوية لكى يرفعهم فى حينه (١ بطرس ٥ : ٦) طول حياتهم .

ومستشاراً له ورسمه أسقفا عاماً ليعاونه فى عمله الراعوى . أما الأنبا كيرلس الرابع فتزكيته تثبت أنه كان قصا فقط ، وهى تحمل توقيعات المطارنة والأساقفة الذين زكوه . والذى حدث هو أن الدجالين أوهموا الوالى — عباس باشا — بأنه لو رسم القمص داود بطريركا لكان ذلك نذيراً بموته سريعا . فتحايل القبط على واليهم بأن طلبوا رسامته مطراناً عاماً على الكرازة المرقسية وبهذه الوسيلة نجحوا فى اقامته رئيساً عليهم — لأن « المطران العام » ما هو إلا البطريرك وإن اختلفت التسمية . وقد رسمه الأساقفة باسم « كيرلس » فأصبح الرابع الذى يحمل هذا الاسم والبابا العاشر بعد المئة .

ومرة أخرى نتوقف عن متابعة الركب لنتمعن فى مبدأ رسولى : هو عدم انتقال الأسقف من إيبارشية إلى غيرها وعدم جمعه بين إيبارشيتين ، وعدم ترشيح الأساقفة للباباوية بل اقتصار هذا الترشيح على الرهبان . وأن للمطران العام الحق فى الترشيح للكرسى الباباوى أسوة بأبى الأصلاح . ولكن المؤرخين القبط أجمعوا على أنه لم يرسم مطراناً عاماً إلا تهدئة لعباس باشا وأنه كان قصاً فقط أيام تزكيته فهو أقيم مطراناً عاماً على الكرسى عينه الذى تقلد رياسته .

« وهذه تزكية **أبينا القمص داود المنتخب أن يصير بطريرك** على خلافة مار مرقس الرسول بمدينة الاسكندرية والنوبة والحبشة والخمس مدن الغربية .

« بسم الله الواحد الآب والإبن والروح القدس الثالوث المقدس المساوى الغير مفترق بلاهوت واحد . هذا هو الاهنا نحن معشر المسيحيين الأرثذكسيين . نتوكل عليه إلى النفس الأخير . ونرسل له إلى فوق التمجيد فى الأعالى كل امتلأ بيعة الله الجامعة الرسولية . وكل الأرثذكسيين المجتمعين . من الأساقفة الفضلا والقمامصة والقسوس معاً . والشمامسة وكل الشعب المحب للمسيح . الذى بكورة مصر . عندما لحقنا اليتم ووجع القلب . عندما أكمل سيرته أبينا الطوبانى رئيس الأساقفة الفاضل أنبا بطرس . وتنيح هذا المتمسك بالفضايل . الذى نال جميع المواعيد المقدسة . صاحب الذكر الحسن ... ومضى إلى الله الذى أحبه . وسمع من الله ذلك الصوت المملوفرحاً . القايل نعما أيها العبد الصالح الأمين . ادخل إلى فرح سيدك . ولما تيتمنا من أبوته . وصارت كنايس الله المقدسة أرامل . هذا الذى كان يرعاهم بتعاليمه . وبهذا صرنا فى جهد واهتمام عظيم كلنا . وسألنا الله أن يظهر لنا من هو مستحق لهذه الرياسة الكهنوتية العظيمة . ليرعانا فى طريق الرب و يرشدنا إلى مينا البيعة المقدسة . وإن كنا عارفين بمحبة الأبوية التى للمدينة المحبة للمسيح الاسكندرية . وكل كورة مصر . وطيب قلبهم . وليس يريدو أن يصيرو أيتاماً . إلى زمان بعيد . فلهذا اجتهدنا أن نكمل عمل الله . وطلبنا إلى الثالوث المقدس بقلب نقى وأمانة مستقيمة لكى يكشف لنا من هو مستوجب لهذه الوساطة . لنقدمه على هذه الدرجة التى لرتبة رياسة الكهنوت . فبمنحة علوية وفعل الروح القدس . واتفاق منا كلنا وطيب قلب . كشف لنا أن ننظر إلى أبينا البكر الطاهر **القمص داود** المدعو كيرلس الجزيل العبادة لله رئيس دير أبونا الأب البار العظيم أنطونيوس سابق أب جميع الرهبان بجبل العربة . واخترناه لنا أن يصير رئيس أساقفة على الكرسى الرسولى . الذى للقديس مرقس الإنجيلى ناظر الإله بالمدينة العظمى

الاسكندرية . وكل كورة مصر وتخومها . لأنه رجل عابد لله . مزيناً بالفهم . محب للغربا . معلماً نقياً . ومجتهداً على صدق الإنجيل . وأقناه راسا للرعاة ورئيس أساقفة . ولقوام واعتدال كنايس الله المقدسة . ومخلصاً لأنفسنا . لكى يرعانا بكل الرآفة والوداعة . لكى نحن أيضاً نرسل إلى فوق التسبيح والشكر . ونرفع إلى الذى أحسن إلينا مخلصنا يسوع المسيح . إلى الأبد آمين .

ونحن الأساقفة المجتمعين . سطرنا هذه التزكية . وشهدنا فيها وكل الذين اجتمعوا معنا محبين الله الكهنة الفضلا . ومحبين الزهد الرهبان . وكل الشعب المحب المسيح الذى للمدينة العظمى الاسكندرية وما يليها مجداً واكراماً للآب والإبن والروح القدس . الآن وكل آوان وإلى دهر الداهرين آمين .

« تحريراً فى يوم الأحد الثامن والعشرون من شهر بشنس سنة ١٥٧٠ موافق ٤ حيزران سنة ١٨٥٤ الموافق إلى الأحد السادس من الخمسين » .

أنا ابرآم
أسقف كرسى أورشليم
وما يتبعها ارتضيت
بهذه التزكية كما كتبت
(ختم)

أنا مكاريوس
أسقف كرسى أسيوط
ارتضيت بهذه التزكية
كما كتبت
(ختم)

أنا أطناسوس
أسقف كرسى منفلوط
ارتضيت بهذه التزكية
كما كتبت
(ختم)

أنا ياكوبوس
أسقف المنيا والأشمونين
ارتضيت بهذه التزكية
كما كتبت
(ختم)

أنا أبرآم
أسقف كرسى قوص وقنا
ارتضيت بهذه التزكية
كما كتبت
(ختم)

أنا أسحق
أسقف البهنسا والفيوم
ارتضيت بهذه التزكية
كما كتبت
(ختم)

أنا أثناسيوس
أسقف أبوتيج
ارتضيت بهذه التزكية
كما كتبت
(ختم)

أنا يوساب
أسقف جرجا واخميم
ارتضيت بهذه التزكية
كما كتبت
(ختم)

أنا ميخائيل
أسقف كرسى أسنا
ارتضيت بهذه التزكية
كما كتبت
(ختم)

أنا القمص عبد القدوس
رئيس دير العدرى
بالسريان ارتضيت بهذه
التزكية كما كتبت
(ختم)

أنا القمص يوحنا
رئيس دير العدرى
بالبراموس بشيهات
ارتضيت بهذه التزكية
كما كتبت (ختم)

أنا القمص جرجس
رئيس دير الست دميانة
برارى الزعفران
ارتضيت التزكية
كما كتبت (ختم)

أنا القمص ميخائيل
خادم ورئيس دير أبومقار
بجبل شيهات ارتضيت بهذه
التزكية كما كتبت
(ختم)

أنا القمص جرجس
من كهنة دير أبومقار
ارتضيت بهذه التزكية
كما كتبت
(ختم)

أنا الخورى بسقوبس ميخائيل
وكيل كرسى صنبو
ارتضيت بهذه التزكية
كما كتبت
(ختم) (١)

وهكذا نرى من توقيعات عشرة أساقفة وأربعة رؤساء أديرة وقص وخورى بسقوبس أن كيرلس الرابع وقت تزكيته للكرسى كان القمص داود الراهب بدير الأنبا أنطونى . وجهاده فى ميادين العلم ورفع شأن الكهنوت والنهوض بالمرأة والوساطة بين حكام مصر والحبشة دليل حاسم على أن الراهب البسيط يستطيع أن يرتفع إلى مستوى المسئولية البابا وية مادام مستنداً إلى الروح القدس ممتلئاً حباً لشعبه . وقد أثبت تاريخ كنيستنا الطويل أنه ليس فريداً فى جهاده ، وأن الكنيسة طالما أضفت عليهم ألقاباً تعبر بها عن عرفانها لجهودهم . فليس الوعى الحقيقى للواجب نتيجة لحياته فى العالم ولاختباراته كأسقف أو كمطران بل هو مستمد من مصدر النعمة الذى جعل من صيادى السمك رجالا « فتنوا المسكونة »، (١) .

وهنا سؤال يحتمه الولاء للأنبا ديسقورس (البابا الاسكندرى الـ ٢٥) وهو: لماذا لم يساير هذا البابا المقدام الامبراطورة بولشريا والامبراطور مرقيانوس كما فعلت كنائس طقسية أخرى ؟ ولماذا أصرت كنيستنا مراراً وتكراراً على الاحتفاظ بتقاليدها وطقوسها على الرغم من مسايرة بعض الكنائس الطقسية لرغبات خاصة أو عامة ؟ الإجابة سهلة هى أن الكنيسة القبطية التى سارت على منهج الرسل كانت تعرف تماماً أن هناك كنائس طقسية لم تحد فقط عن القانون الرسولى المؤكد على عدم نقل الأساقفة وعلى عدم « ترقيتهم » ، بل لقد حادت عن تعاليم أساسية ذات أهمية خاصة كالتغيير فى قانون الايمان وفى كيفية ممارسة الأسرار المقدسة السبعة وغيرها .... فهل يرضى آباؤنا بمثل هذا التحول أسوة بالكنائس الطقسية ؟ وإن قبلوا اليوم التحول فيما يتعلق بنقل الأسقف — أفلا يمكن ان يكون ذلك بداية لتحولات أخرى ؟

وليسمح لى آبائى الأجلاء بأن أقول إن كلمة « ترقية » هى أيضا تعبير دخيل على كنيستنا ....

والآن لنعد الى انسياب التاريخ فنقول : هذا كان قرار المجمع الاكليريكى فماذا فعل المجلس الملى ؟ لقد أدرك أعضاؤه أن الملك يهمه الإسراع فى انتخاب البطريرك استعجالاً لرسامة مطران لاثيوبيا ، وكذلك لملء الكراسى الأسقفية الشاغرة بانتقال رعاتها الى الدار الباقية . لهذا يرى المجلس إرجاء التصديق على نظام ترشيح وانتخاب البطريرك **فى هذه الدفعة فقط** ، ورجا

---

(١) راجع حـ ١ من هذا الكتاب ص ١٧١ ف ١٥٥ وص ٣٣٢ — ٣٣٣ ف ٤٢٤ ، حـ ٢ ص ٣٧٥ — ٧٣٦ ف ٤٨٠ - ٤٨١ وص ٣٩٩ ف ٥٠٥ ، حـ ٤ ص ٣٤٧ — ٣٤٩ بعنوان « تعليق على سيرة البابا كيرلس الرابع — البطريرك الـ ١١٠ — « ماذا كانت وظيفة المطران العام » ، وهذا التعليق لأحد رهبان دير السيدة العذراء المعروف بالسريان — نشره فى كتاب سلسة تاريخ الباباوات — بطاركة الكرسى الاسكندرى حـ ٥ ص ١٩٧ — ٢٢٠ لكامل صالح نخلة ، مطبوع بمطبعة دير السريان سنة ١٩٥٤ .

من الحكومة بما له من الثقة فيها أن يراعى فى الناخبين وفى المرشحين للكرسى البطريركى ما يقتضيه قانون الكنيسة وتقاليدها وما يتفق ورغبات الشعب .

فرأت الحكومة بعد أن وكل إليها الأمر أن يكون انتخاب البطريرك على النظام الذى تضمنه الأمر الملكى رقم ٨٤ لسنة ١٩٢٨ ، وهذا نصه : « نحن فؤاد الأول ملك مصر : بعد الاطلاع على أوامرنا الصادرة فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٧ ، و١٨ يونيو و١٦ أغسطس و١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٨ بتعيين نائب لبطريرك الأقباط الأرثوذكس لمدد مختلفة ، **ونظراً لوجوب الإسراع فى انتخاب البطريرك دون انتظار إقرار النظام الذى أشارت إليه الأوامر المتقدم ذكرها خاصا بترشيح وانتخاب البطريرك كلما خلا كرسى البطريركية** ، وبناءً على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء ، أمرنا بما هو آت :

مادة ١ ــ تقوم بانتخاب البطريرك جمعية مؤلفة من :

أولاً ــ جميع المطارنة والأساقفة ورؤساء الأديرة ،

ثانيا ــ أعضاء ونواب المجلس الملى العام ،

ثالثا ــ أعضاء الطائفة (١) الآتية أسماؤهم (وقد بلغ عددهم ثمانية وأربعين شخصا) .

مادة ٢ ــ يحدد لانتخاب البطريرك يوم الجمعة ٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨ ابتداءً من الساعة التاسعة صباحاً فى دار البطريركية .

مادة ٣ ــ يرأس الجمعية المذكورة النائب عن البطريرك ، وإلا فأقدم المطارنة الحاضرين . ويساعد رئيس الجمعية فى عملية الانتخاب لجنة مكونة من أربعة من الناخبين : إثنان يختارهما رجال الدين من أعضاء الجمعية واثنان يختارهما الأعضاء الآخرون وقت افتتاح الجلسة . وتحرر هذه اللجنة محضراً بما يحصل .

مادة ٤ ــ يكون الانتخاب بطريق الاقتراع السرى ، ولايجوز للناخب أن يعطى صوته لأكثر من واحد .

---

(١) هنا أيضا تعبير دخيل لأن الأقباط - حتى فى العصر التركى ــ لم يشيروا الى نفوسهم إلا بكلمة « الكنيسة القبطية » أو « الشعب القبطى » فلم يعتبروا أنهم طائفة إطلاقا لأن فى مثل هذا التعبير تفرقة واضحة .

مادة ٥ ـ لا يكون انعقاد الجمعية صحيحا إلا إذا حضرها أكثر من نصف الناخبين ، فإذا لم يتوافر هذا العدد يؤجل الانتخاب ليوم الاثنين ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢٨ و يكون الاجتماع صحيحا أيا كان عدد الحاضرين .

مادة ٦ ـ يعتبر منتخباً قانونيا من ينال الأغلبية المطلقة للأصوات المعطاة . فإذا لم يحز أحد الأغلبية المطلقة المذكورة يعاد الانتخاب بعد أسبوع بنفس الطريقة المبينة فى المادتين الثالثة والرابعة . وعند تساوى الأصوات بين أثنين أو أكثر تعمل القرعة بينهم .

وبعد فرز الأصوات بمعرفة اللجنة المبينة فى المادة الثالثة من أمرنا هذا يعلن رئيس الجمعية للناخبين الحاضرين نتيجة الانتخاب و يثبتها فى المحضر .

مادة ٧ ـ عند نهاية الانتخاب تبلغ نتيجته مصحوبة بصورة من محضر الانتخاب مصدق عليها بأنها طبق الأصل الى الحكومة لاستصدار أمر ملكى بتعيين البطريرك .

مادة ٨ ـ على رئيس مجلس وزرائنا تنفيذ أمرنا هذا و يعمل به من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية .

صدر بسراى المنتزه فى ١٩ جمادى الثانية سنة ١٣٤٧ (أول ديسمبر سنة ١٩٢٨)

فؤاد

ملك مصر

١ ـ وهنا يتحتم علينا أن نقف لنمحص هذه الاتجاهات الدخيلة لعلنا بذلك نعرف أسبابها فنعتبر بما حدث ونتحاشاه فى المستقبل وأول سبب يبدو لنا هو أن الانفعالات العنيفة والأغراض الخاصة كانت لها أبعد الأثر فيما جرى من أحداث . وقد تدعمت الانفعالات والأغراض بالبريق الذى يشع من السدة المرقسية ، فهذا البريق بهر العيون الى حد جعلها تتغاضى عما وراءه من المسئولية العظمى الملقاة على من يتبوأ هذه السدة والتى تتضح صراحة من البداية فى الشعائر الكنسية . فإن الأساقفة يكملون هذه الشعائر بالدخول به الى الهيكل ليسلموا للبابا الصليب وعصا الرعاية من فوق المذبح وعند استلامهما يقول له كبير المطارنة : « تسلم عصا

الرعاية من يد راعى الرعاة الأعظم يسوع المسيح ابن الله الحى الدائم الى الأبد (١) ، لترعى شعبه وتغذيه بالتعاليم المحيية . فقد ائتمنك على نفوس رعيته ومن يديك يطلب دمها » (٢)

ولكن ما الذى استثار هذه الانفعالات وهذه الأغراض فى هذه الفترة بتلك القوة التى جعلت المسئولين أنفسهم يحيدون عن تعاليم كنيستهم مع علمهم بها ؟ ولكى نستطيع أن نجيب الإجابة الصحيحة الصريحة ــ وهذه ضرورة موضوعة علينا ــ يجدر بنا أن نرجع الى ما سنه الرسل من قوانين وسارت عليه المجامع المسكونية ، ثم حرصت عليه كنيستنا القبطية فى كل المناسبات .

وإذا ما تأملنا أعمال الرسل نجد أنهم حين أرادوا أن يختاروا من يحل محل يهوذا الاسخريوطى لم يختاروا واحداً من السبعين تلميذاً بل اختاروا واحداً من « الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذى فيه دخل إلينا الرب يسوع وخرج » (٣) ، وبهذا المبدأ انضم متياس الى الاثنى عشر . ثم حين سن الرسل قوانينهم ، سجلوا فى قانونهم الرابع عشر مايلى : « لا يجوز للأسقف أن يغادر جهة إقامته الى جهة أخرى ولو اضطره الكثيرون الى ذلك ... » (٤) ولقد سن الرسل هذا القانون استناداً الى أن الأسقفية كرامة فى حد ذاتها موهوبة من الله جل اسمه ، ولا ترتكن كرامتها على الأهمية المدنية للكرسى الأسقفى . فأسقف أصغر إيبارشية متساو فى الكرامة مع أسقف العاصمة . ومن أسمى الأدلة على الوعى بهذه المساواة أن الشعائر الكنسية التى تقال لرسامة الأسقف واحدة بغض النظر عن مكانة اسقفيته ، بل إنها هى هى بعينها التى تقال لرسامة البابا بوصفه أسقفاً للعاصمة . وإثباتا لهذا الوعى الروحى العميق اعتبر الآباء الرسوليون البابا كبير إخوته الأساقفة ، أى أنه أخ بينهم وليس أباً . لهذا فهو يخاطبهم بقوله « أخى وشريكى فى الخدمة الرسولية » . ولقد أكد مجمعا نيقية والقسطنطينية المسكونيان هذا القانون الرسولى فى قراراتها . ومما يجدر توكيده هنا أن الذى قاد المناقشة فى هذا الشأن وأقنع الآباء المجتمعين معه كان البابا الاسكندرى بالذات (٥) .

وحافظت كنيستنا القبطية بكل حرص على هذا القانون الرسولى كما حافظت على كل ما تسلمته بغاية الدقة . ومرت سبعة قرون ونصف وصلت بعدها هذه الكنيسة العريقة الى باباوية الأنبا ميخائيل الأول (البابا الـ ٤٦) وجاءه رسول من الخليفة جعفر بن المنصور العباسى يطلب اليه الموافقة على تنصيب أسقف حاران بطريركا على أنطاكية . وقد اقترن هذا الطلب

---

(١) ولكونها رعاية مستمدة من راعى الرعاة الأعظم فليس فيها ترقية ، فالعطايا الالهية ليست مناصب عالمية حتى إن استلزمت حسن السياسة فى المواقف العالمية .

(٢) راجع ما جرى بين أنبا مكارى الأول وبين أمه ــ حـ ٢ من هذا الكتاب ف ٦٢٢ ص ٤٨٦ ــ ٤٨٧ .

(٣) أعمال ١ : ٢١ .

(٤) تاريخ الكنيسة (بالفرنسية) للأرشمندريت جيتى حـ ٢ ص ٤٠٨ ، (تاريخ المجامع) (بالفرنسية) للمنسنيور هيفيليه حـ ١ ص ٦٢٠ ــ ٦٢١ .

(٥) راجع ما جاء عن هذين المجمعين فى حـ ١ من هذا الكتاب ص ١٦٨ ــ ١٨٥ ، ٢٢٨ ــ ٣٣٦ .

بتهديد قداسة البابا بالموت فى حالة الرفض . فعقد هذا البابا الجسور مجمعه أعلن خلاله تلك الكلمات الرائعة : « السيف أو النار أو الرمى الى الأسد أو النفى أو السبى فما يقلقنى . ولست أدخل تحت حرمى الذى كتبته بخطى و بدأت به بأن لا يصير أسقف بطر يركا . والآباء الفضلاء حرموا من يأخذ رتبة من رتب الكهنوت بيد السلطان أوعنايته . لأن الأساقفة كانوا قد كتبوا الى من أنطاكية فى زمان أنبا يوحنا البطرك أن كل من ثبت بعده من الأساقفة على الكرسى يكون محروما ، فكتبت هذا بخطى . فكيف يجب أن أحرم نفسى وأحلل اليوم ما حرمته بالأمس ، وما أنكرته بالأمس أرضى به اليوم . وما أنكروه الآباء القديسون . . . » (١) واستمرت الكنيسة فى حرصها الدقيق على الوديعة المؤتمنة عليها مدى القرون الممتدة من عهد قداسة الأنبا ميخائيل الأول الى سنة ١٩٢٨ .

ولقد بلغ حرص الآباء على المبدأ من الدقة جداً جعلهم يختارون العلمانى المتبتل (حتى لولم يعش فى الدير يوماً واحداً) ولا يقبلون « ترقية » أسقف الى البابا و ية مهما بلغت مكانة هذا الأسقف . وقد بلغ عدد الباباوات الذين اختيروا من بين العلمانيين ستة وعشر ين ، من بينهم الأنبا ابرآم الذى جرت فى أيامه معجزة جبل المقطم (٢) .

ثم حدث سنة ١٨٦٥ أن ظن بعض القبط أنه فى الإمكان انتخاب مطران للسدة الباباو ية . فاجتمع المجمع المقدس وأصدرقراراً بعدم جواز ترقية الأسقف الى البطر يركية . وقد استند المجمع فى حيثياته الى الكتاب المقدس والى القوانين الرسولية والتار يخ الكنسى وأقوال الآباء . ثم اختتم قراراته بهذه الكلمات : « لا نسلم ولا نسمح قط للكهنة وشعب الكرازة المرقسية بحل وتعدى الحدود الأبوية . وكل من يطلب هذه الرتبة من الأساقفة أو المطارنة أصحاب الكراسى أو سعى فيها أو رضى بها ، أو أحد سعى له فى شأن يطلبونه لها ـــ كاهناً أو رئيس كهنة أوعلمانيا يكون محروما . » (٣)

إذن فسلسلة الباباوات الممتدة من مار مرقس كاروزنا الى خليفته المئة والثانى عشر كانوا من الرهبان : سواء من جيء بهم من الدير أو من جيء بهم من الحياة المدنية .

هذا من جهة القانون والتقاليد الكنسية ، ونجد بالإضافة إليها أن المطارنة والأراخنة هم

---

(١) « تار يخ البطاركة » (مخطوط) للراهب شنودة الصوامعى البرموسى حـ ٢ ص ٦١٧ ـــ ٦١٩ ، الخطاب الذى ألقاه حبيب المصرى فى دار نادى الشباب الجامعى للإصلاح القبطى بشبرا فى مساء الاثنين ٩ أغسطس سنة ١٩٤٣ (طبع للمرة الثالثة فى ٢٤ مارس سنة ١٩٥٤) . أما البابا ميخائيل الأول فكانت باباو يته من سنة ٧٤٣ ـــ سنة ٧٦٦ م .

(٢) هو البابا المرقسى الـ ٦٢ (سنة ٩٧٦ ـــ ٩٧٩) ، راجع سيرته فى حـ ٣ من هذا الكتاب ص ٢٢ ـــ ٣٥ .

(٣) راجع مجلة مدارس الأحد عدد أغسطس ـــ سبتمبر سنة ١٩٥٥ ـــ وكان عدداً خاصا بالتشر يعات القبطية ـــ ص ٩ ـــ ١٠ ، الجوهرة النفيسة فى علوم الكنيسة (طبعة حديثة) ليوحنا زكر يا بن السباع ، طبع بمطبعة عين شمس سنة ١٦١٨ ش (سنة ١٩٠٢) ص ١٢٦ ، راجع سيرة أبن السباع فى حـ ٣ من هذا الكتاب ص ١٤٧ .

الذين كانوا يبحثون عمن يريدونه للرياسة الكنسية العليا . ونجد أيضا أن الراهب كلما ازداد روحانية ازداد تباعداً عن الظهور وسعيا فى الاختفاء . ولهذا نجد كثيراً من الأمثلة عن تقييد المرشح بالسلاسل وأخذه قسراً لرسامته .

وثمة واقع آخر هو أن المسئولين كانوا كثيراً مايتريثون ليتناقشوا و يبحثوا معاً : فيزوروا الأديرة و يتفاهموا مع رؤسائها . ولقد ثبت من دراسة تاريخنا الطويل أن الانتخاب الذى كان يتم فى تريث واتزان وفى صلوات مستمرة كانت نتيجته كسباً للشعب . وذلك على العكس من الانتخاب فى تسرع واستعجال وفى اندفاع بقوة الانفعالات .

على أن القبط ــ فى مطلع القرن العشرين ــ كانوا على شيء من عدم الاستقرار بسبب التيارات الغربية التى بدأت تتجاذبهم منذ الاحتلال الانجليزى . و يبدو عدم الاستقرار واضحاً فى رغبة كل من المجمع والمجلس الى التعجل فى الانتخاب وفى مسايرتهم لرغبة الملك والاحتكام إليه . وهذا طبعا مغاير تماما لتقاليد الكنيسة وعلى امتداد تاريخها . ومن الغرابة بمكان أن يطلب المجلس الملى الى الحكومة « مراعاة ما يقتضيه قانون الكنيسة وتقاليدها ، وما يتفق مع رغبات الشعب » . ولقد سجل المجلس فى طلبه هذا على نفسه أنه لم يراع قانون الكنيسة ولا تقاليدها ، ولم يلتفت إطلاقاً الى رغبات الشعب !

٢ــ وقد أدت قرارات المجمع الاكليريكى والمجلس الملى العام الى صدور أمر ملكى رقم ٨٤ لسنة ١٩٢٨ (سبقت الاشارة اليه) بتحديد شروط الانتخاب وموعده . وإذا ما أحصينا عدد الناخبين الذين حددهم الملك نجد أنه ستة وتسعون، لم يذهب منهم للانتخاب فعلا غير خمسة وثمانين . والنتيجة أن حصل الأنبا يؤنس على سبعين صوتا ، والقمص يوحنا سلامة على تسعة أصوات ، والقمص حنانيا الأنطونى على صوتين ، وحبيب جرجس على صوتين . ووجدت بين الأوراق واحدة تحمل اسم مطران كرسى سوهاج وواحدة بيضاء (١)

٣ــ وحالما فرزت الأصوات ــ فى آخر ذلك النهار ــ أبلغت النتيجه فوراً الى السراى الملكية ، ومن ثم صدر الأمر الملكى التالى :

نحن فؤاد الأول ملك مصر

بعد الاطلاع على القانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٧ ، وعلى أمرنا رقم ٨٤ لسنة ١٩٢٨ الخاص

(١) هذا ما سجله يوسف جرجس الذى كان سكرتيراً للأنبا يؤنس فى كتابه عن أبيه الروحى ــ ص ١٧ على أننى ذكرت فى كتاب قصة حبيب المصرى ص ٢٠٤ أن الأنبا يؤنس حصل على واحد وتسعين صوتاً ، وسواء كان الواقع سبعين أو واحد وتسعين فالنتيجه هى أن المطران قد فاز بأغلبية عظمى .

و يؤسفنى أن أقول إن النسخة المحفوظة عندى من كتاب يوسف جرجس ينقصها الغلاف الحامل للعنوان لذلك لا أعرفه ، أما تاريخ الطبع فهو أبريل سنة ١٩٣٠ م . غ .

بطريقة انتخاب بطريرك الأقباط الأرثوذكس، وعلى محضر الانتخاب الذى أجرى فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨،

وبناءً على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء ـ أمرنا بما هو آت:

١ ـ يعين الأنبا يؤانس مطران البحيرة والمنوفية ووكيل الكرازة المرقسية بطريركا للأقباط الأرثوذكس.

٢ ـ على رئيس مجلس وزرائنا تنفيذ أمرنا هذا،

فؤاد

٤ ـ ولنقف قليلا لنقارن بين التزكية التى كتبت للأنبا كيرلس الرابع (وقد وردت على ص ٧ أ ـ ٧ ب) وبين تلك التى كتبت للأنبا يؤنس الـ ١٩ التى جاء فيها: «باسم الآب والابن والروح القدس الثالوث القدوس غير المفترق الاله الواحد إلهنا نحن المسيحيين الأرثوذكسيين: نتكل عليه الى النفس الأخير: ونرسل إليه فى الاعالى المجد والإكرام الى الأبد.

نحن المطارنة والأساقفة والكهنة والشمامسة وكل الشعب المحب للمسيح بمدينتى الاسكندرية والقاهرة وأقاليم مصر جميعا.

عندما حلت بنا جائحة اليتم بانتقال طيب الذكر مثلث الرحمات الأنبا كيرلس الخامس الى الأخدار السمائية، الذى نال جميع المواعيد المقدسة ومضى الى الله الذى أحبه فسمع منه تعالى ذاك الصوت المملوء فرحاً القائل: نعما أيها العبد الصالح والأمين، ادخل الى فرح سيدك: عندما تيتمنا وترملت [1] كنيسة الله المقدسة التى كان يرعاها بتعاليمه، تضرعنا الى العلى أن يرشدنا إلى من هو جدير برياسة الكهنوت العظمى، ليرعانا فى طريق الرب ويهدينا ميناء الخلاص، فبمنحة علوية وفعل الروح القدس، اتفقنا جميعا بطيب قلب فانتخبنا المتعبد لله الأنبا يؤنس مطران البحيرة والمنوفية، من رهبان دير البرموس رئيس أساقفة للكرسى الرسولى كرسى القديس مرقس الانجيلى كاروز الديار المصرية والحبشة والنوبة وخمس المدن الغربية، وقد وقع اختيارنا عليه، لأنه رجل محب للغرباء مجمل بالفهم والمعرفة، طاهر مجد فى نشر تعاليم الانجيل، ساهر على حفظ طقوس الكنيسة وتقاليدها وأقمناه رأس رعاة و بطريركا لبيعة الله المقدسة، لكى يرعانا بالرأفة والوداعة.

---

(١) إن مجرد نظرة عابرة توضح الفرق بينهما فتبين لنا أن التزكية الأولى لراهب والثانية لمطران. والتشابه بينهما هو فى الجزء الأول حيث يتكلمون عن «اليتم» و«الترمل» وهذان التعبيران الأصيلان فى التقليد الكنسى القبطى اعتراف صريح بتحريم الانتقال من ايبارشية الى أخرى، وبتحريم الجمع بين الأسقفية والباباوية. لأنه هل من الممكن فى المسيحية أن يترك الأب أولاده ليصير أباً لغيرهم؟ وهل أباح السيد المسيح لزوج أن يترك زوجته أو أن يجمع بين زوجتين؟ فإن كان الأب بالجسد ملتزماً بأولاده مدى حياته هكذا الأب الروحى. وإن كان «ما جمعه الله لايفرقه إنسان» فى الزواج هكذا ما جمعه الله روحيا لا يفرقه إنسان.

لهذا سطرنا هذه التزكية ، ووقعنا عليها مقدمين الشكر للثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس — آمين (١) .

ولقد تمت إقامة الأنبا يؤنس بطريركا صباح الأحد ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٨ .

ويجدر أن نقول هنا بأن الخروج عن التقليد يتضمن أيضا حرمان الشعب من الشعور بتلك النشوة الروحية التى تغمره حينما ينعم عليه الآب السماوى بحضور رسامة راهباً للكرامة البابا وية . لأن هذه الشعائر ذات روعة خاصة تجعل المتمعن فيها يدرك الى أى مدى يؤازر الروح القدس الرجل الذى كان حتى تلك اللحظة راهباً مغموراً بعيداً عن العالم ، ثم حوله روح الله العلى الى الراعى الأول لشعبه . فالروح القدس الذى حل على الرسل فحولهم فى لحظة من رجال « عديمى العلم وعاميين » (أعمال ٤ : ١٣) الى كارزين « فتنوا المسكونة » (أعمال ١٧ : ٦) هو بعينه الذى يعمل من خلال الشعائر المقدسة الرهيبة فيحول الراهب الى أب للشعب كله .

٥ — ولنعد الى الوراء بضع سنوات لكى نقف على نشأة هذا الأب الجليل قبل ارتقائه السدة المرقسية . فنجد أنه ولد فى بلدة دير تاسا (محافظة أسيوط) فى ٦ يناير سنة ١٨٥٨ ، وتسمى « حنا » (٢) من البداية . ثم تعلم فى الكتاب كما جرت العادة . فلما بلغ السابعة عشرة من عمره تاقت نفسه الى الحياة الرهبانية التى تلقن أنها « حياة ملائكية » . وتلبية لنداء قلبه ذهب الى الدير المحرق لقربه من بلدته . ولكنه اضطر الى مغادرته بعد شهور قليلة لضغط أبويه عليه . على أنه لم يستطع الاستقرار تحت السقف الأبوى لأن حنينه الى الرهبنة سيطر عليه الى حد جعله يقصد هذه المرة الى دير السيدة العذراء الشهير بالبرموس . ولكى يضمن عدم ممانعة أبويه له ذهب أولاً الى الأنبا كيرلس الخامس الذى كان قد تولى رعاية الكنيسة فى تلك السنة عينها . وبما أن هذا البابا الوقور كان قد قضى سنى رهبنته بدير البرموس أشار عليه بدخوله . ومن نعمة الله أن دخوله هذا الدير كان فى فترة تمتع فيها الرهبان برعاية الأب عوض البرهيمى الذى اشتهر بتواضعه وتقواه ، كما استمتعوا بتوجيهات القمص عبد المسيح المسعودى الكبير الذى نال لقب « أبو رهبان دير السيدة العذراء برموس » . ولقد كان هذا الأب الروحى عالماً بحاثة ترك للكنيسة عدداً غير قليل من الكتب : بعضها من تأليفه والبعض الآخر من تنقيحه وتبويبه (٣) .

ومنذ بداية رهبنة حنا درب نفسه على الطاعة والخدمة ، وكان حاراً فى العبادة نشيطا فى العمل . ولتواضعه وسرعة تلبيته احتياجات إخوته أحبه الجميع . فما أنقضت سنتان على رهبنته

---

(١) برنامج حفلة تنصيب غبطة الحبر الجليل الأنبا يؤنس الـ ١٩ بابا وبطريركا على الكرازة المرقسية . وغبطته الـ ١١٣ فى عدد باباوات الاسكندرية — المطبعة المرقسية بالدرب الواسع نمرة ١٥ بمصر — ص ٤ — ٥ .

(٢) يقول القمص صموئيل تاوضروس السريانى إن اسمه كان بخيت .

(٣) راجع ف ١١٢ من حـ ٥ من هذا الكتاب .

حتى رسم قسا . و بلغت أخبار ورعه واجتهاده آذان البابا كيرلس الخامس فامتلأ قلبه فرحاً ، وأرسل في طلبه واتخذه له تلميذاً . على أن الحنين الى الحياة النسكية داخل الدير عاود القس يوحنا . وأدرك البابا ذو البصيرة النافذة مدى هذا الحنين فسمح له بالعودة الى ديره . و بعد خمس سنوات من التعبد والعمل المتواصل رسمه الانبا كيرلس قمصاً كما اقامه رئيساً على الدير في الوقت عينه .

وقضى القمص يوحنا عشر سنوات في ر ياسة الدير كان خلالها مثال الهمة والحزم وحسن التدبير والغيرة على مصالح الدير فوجه للزراعة اهتماما خاصا : وكان للدير ما يقرب من سبعة وثمانين فدانا حين تسلم ر ياسته أوصلها الى مائتين على مدى السنين العشر . ذلك لأنه ركب آلات بخارية لريها فتضاعف محصولها وزاد إيرادها . فكان يشتري بالفائض أطيانا إضافية .

ثم حدث أن خلا كرسي اثيوبيا فاتجهت نية الأنبا كيرلس الى رسامته عليه ، ولكنه اعتذر وقبل اعتذاره . على أنه لما خلا كرسي البحيرة تقدمت التزكيات له من شعب الإيبارشية . فعارض وتمنع هذه المرة أيضا . ولكن البابا الوقور الذي وافقه على اعتذاره في المرة الأولى لم يوافقه في هذه المرة ، ورسمه في مارس سنة ١٨٨٧ باسم يؤنس ، وأضاف الى مسئولية المطرانية مسئولية الإشراف على ديرى البرموس وأنبا بيشوى ، كما جعله في الوقت عينه وكيلا للكرازة المرقسية بالاسكندر ية . كذلك عهد اليه البابا الاسكندرى بافتقاد الشعب المنوفي حينما مرض مطرانه مرض الشيخوخة . فلما انتقل — على أثر مرضه — الى الأخدار السماو ية زكا شعب الإيبارشية الأنبا يؤنس ليكون مطرانهم لما وجدوه فيه من حسن الرعاية . وهكذا أصبح مطراناً للبحيرة وللمنوفية معاً بالاضافة الى استمراره في تأدية مسئولياته الأخرى .

على أن مقره الرئيسى كان في الاسكندر ية . فبدأ بتجميل الكاتدرائية المرقسية بأن جدد أثاثها وركب لها الثر يات الفخمة . ثم وجه انتباهه الى الأوقاف البطر يركية بالعاصمة الثانية . وكانت ايراداتها لا تز يد على ألف وستمائة جنيها مصر يا سنو يا حينما تسلمها ، فتركها وقد تضاعف عشرة أمثالها . وكان للكنيسة احكار دخلها مئة وخمسون جنيها سنو يا بلغت عشرة أمثالها هى أيضا بالحكمة الإدار ية التى أبداها . ثم بنى للأوقاف الكنسية سبع عمارات كبرى للاستغلال ، ووهب إدارة هذه الأوقاف منزلا كان ملكا له .

و بعد أن رسخ الناحية المالية التفت الى التعليم : فأقام ثلاث مدارس اثنتين للبنين وواحدة للبنات [١] . ومع اهتمامه بالتعليم التفت بالتبعية الى الكتب ، فلم يكتف بالكتب

---

(١) علينا أن نذكر أن هذا كان منذ قرن تقر يبا حين كانت الغالبية العظمى ترفض تعليم البنت .

المدرسية فحسب بل امتد اهتمامه الى الكتب اللازمة لإيقاظ الوعى الشعبى بشعائر الكنيسة . ومن هذه الكتب الضرورية « كتاب الطروحات والابصاليات التى تتلى فى برمونى وعيدى الميلاد والغطاس المجيدين » (١) . وقد ورد على صفحته الأولى ما يلى : « طبع بأمر نيافة الأب الجليل الأنبا يؤانس مطران البحيرة والمنوفية ووكيل الكرازة المرقسية الجزيل الاحترام » — عنى بتصحيحه وتنقيحه وضبطه وطبعه القمص باخوم البرموسى والشماس عريان فرج سنة ١٩٢٠ . ومما تجدر الإشارة اليه أن الشماس عريان كان مدرس اللغة القبطية بالمدارس المرقسية بالاسكندرية .

بعد ذلك شرع فى بناء كنيستين بمدينة مار مرقس : إحداهما وسط المدينة فى حى محرم بك باسم السيدة العذراء ، وثانيتهما فى الرمل باسم مار مينا على أرض من أوقاف الكنيسة . وبما أنه وجد الأرض فسيحة فقد بنى الكنيسة فى وسطها ، ثم شيد على ناصيتها المطلة على شارع الحرية وشارع جانبى عمارة سكنية لصرف مرتبات الكهنة وخدام الكنيسة من ريعها . ولقد كان هذا العمل مبدأ سار عليه فى جميع الكنائس التى بناها فى كل من البلاد الى بنى فيها كنائس فى البحيرة والمنوفية . فقد بنى فيهما ثلاثين كنيسة ، أوقف على كل واحدة منها ما أمكنه من الأطيان حرصاً منه على كرامة خدامها .

ثم وجد أن الكنيسة بمدينة رشيد — وهى تحمل اسم كاروزنا الحبيب — فى حاجة الى الترميم ، فجددها كما جدد لها المنزلين الموقوفين عليها ، واشترى لها جملة مخازن . وبهذا المسلك جعل دخل هذه الكنيسة من اوقافها يبلغ مائتين وخمسين جنيها مصريا سنويا . (٢)

ولم يكتف بالمشروعات اللازمة للشعب الذى يرعاه مباشرة ، بل ساهم قدر استطاعته فى المشروعات العامة مبرهناً على وعيه الشامل . ولقد سبق القول عن مساندته للبابا كيرلس الخامس عند بنائه الاكليريكية ومدرستى الصنائع والتدبير المنزلى (٣) . وحين نشطت الجمعية الخيرية القبطية الكبرى لبناء المستشفى القبطى سارع الى المساهمة فى نشاطها . كذلك ساهم فى مساندة القائمين ببناء كلية البنات القبطية بالعباسية وفى غيرها من المؤسسات التعليمية التى نشرها آباؤنا فى كافة أنحاء الوادى وفى معاونة منشىء المتحف القبطى .

---

(١) « برمونى » كلمة يونانية الأصل قبطية بالاستعمال معناها « خارج المحلة » — أى الاستعداد ، وتطلق على اليوم (أو الثلاثة أيام) السابق لكل من العيدين المجيدين حين يمتنع الصائمون عن أكل السمك كما هو الحال فى الصوم الأربعينى . ويهمنى أن أشير الى أن المسئولين فى الكنيسة كانوا يهتمون اهتماما خاصا بالكتب الطقسية التعليمية . أما فى هذه الأيام فمعظم الكتب التى تطبع وعظية ، وأحيانا مبلبلة للأفكار . ومن المؤلم أنه حتى نسخة الكتاب المقدس المتداولة بين أيدينا نسخة بروتستانتية ترجمها الى العربية المستشرقون الأمريكيون ! .

(٢) يبدو هذا المبلغ ضئيلا اليوم ولكنه كان آنذاك يساوى عشرة أضعافه على الأقل فى وقتنا الحاضر .

(٣) راجع فقرتى ٣٧ و٥١ من سيرة البابا كيرلس الخامس جـ ٥ من هذا الكتاب .

ومما يجدر ذكره أنه كان على وعى مرهف بالروحيات كما تدلنا القصة التالية : كان ذات مرة داخل الهيكل يرقب كاهنا يؤدى شعائر القداس الإلهى . وحينما بدأ الكاهن « صلاة القسمة » وأخذ يقسم الحمل الذبيح داخل الصينية رأى الأنبا يؤنس أنه يقسمه فى تسرع وحدة ، فقال له : « على مهلك عليه ده وحيد أبيه ! » (١)

ومع تأديته كل هذه المهام الراعوية والوطنية لم ينس الدير الذى قضى فيه سنوات عديدة . وكان يعلم أن البئر المحفور داخل الدير ماؤه يميل الى الملوحة مع كونه المورد الوحيد للشرب والرى . فرأى سنة ١٩٠٢ أن يعمل على إصلاحه واستحضر خبيراً فى المياه الجوفية . وقام الخبير بجهد مشكور إذ وضع ماسورة واسعة أدخلها الى عمق أمتار تحت سطح مياه هذه البئر . وبالفعل خفت الملوحة قليلا ولكنها لم تتلاشى نهائياً . ومرت سنوات والموضوع يشغل بال نيافة الحبر الجليل ، فعاد سنة ١٩١٤ اليه واستحضر خبيراً آخر ، فدق للرهبان طلمبة أرتوازية فأضافت الى تخفيف الملوحة . فلما ارتقى السدة المرقسية رأى أن يعاود العمل على توصيل الماء الحلو الى ديره . فاشترى آلة تصلح للرى والإنارة ولطحن الغلال . وأدت هذه الآلة الى النتيجة المطلوبة . فقرر تعميمها فى بقية الأديرة (٢) .

٦ــ وتقديراً لكل هذه الجهود الوفيرة فى تدعيم الشعب القبطى ، ونظراً لكونه أكبر المطارنة سنا ، اختير ليكون القائمقام البطريركى بعد نياحة البابا الوقور أنبا كيرلس الخامس . ولقد أثبت جدارته لهذا التقدير خلال تلك الفترة . وكانت بداية أعماله بشيراً بالخير إذ قد وجه انتباهه الأول الى الرهبان . فعقد مجمعاً اكليريكيا فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٨ ، وأصدر قراراً بوجوب إقامة الرهبان فى أديرتهم . وعلى ذلك تحتم أن يعود كل راهب عائش فى العالم الى ديره مالم يكن منتدباً من رئيسه للقيام بخدمة معينة تقتضى إقامته خارج الدير وقت صدور هذا القرار . وبالطبع ارتكن هذا القرار على تعليم الأنبا أنطونى أبى الرهبان نفسه إذ قال : « إن الراهب خارج الدير كالسمكة خارج المياه ! » كما أن كرامة الرهبنة والحياة بمقتضى مطالبها تحتم على الراهب أن يعيش فى الدير ــ فهو الذى ارتضى هجر العالم فكيف يعود اليه ؟

---

(١) ويجب التمعن فى هذه الملحوظة بصفة خاصة لأن بعض الكهنة يعظون أو يسمحون بالوعظ أثناء التناول . والصلاة فى القداس ، استناداً الى الكتاب المقدس ، تقول إن « الملائكة يغطون وجوههم من بهاء عظمة الله » . فالذى يغطى الملائكة وجوههم من بهاء عظمته لا يلتفت إليه الناس ، بل يجلسون على مقاعدهم ليصغوا الى إنسان يعظهم ! وأجسر أن أقول إن مثل هذا التصرف يدل على عدم ترهف الوعى بأن الذى على المذبح هو بعينه الذى علق على الصليب : فالذبيحة الدموية هى بعينها الممتدة على مدى الأزمان والأماكن . لهذا يقول الكاهن الخديم حين يرش الماء الى فوق إيذانا بانتهاء الصلوات : « ياملاك هذه الصعيدة الطائر بها الى العلو بهذه التسبحة اذكرنا قدام الرب ليغفر لنا خطايانا » . وهذا الوعى بواقعية شخصية حاضرة فى الجسد والدم الأقدسين هو الذى جعل واضعى القداس أن يصروا على التسبحة بالمزمور المئة والخمسين أثناء التناول ثم استكماله بتسبحة مناسبة للموسم الكنسى عند الانتهاء منه إذا ما وجدوا أن المتناولين مازالوا يأخذون السيد المسيح من يد الكاهن الخديم وهو السبب بعينه الذى جعلهم يوصونا بعدم الركوع طوال اليوم الذى تناولنا فيه ، لأن الذى نسجد له هو بأكمله فى داخلنا فعلاً

(٢) « الاديرة المصرية العامرة » لصموئيل تاوضروس السريانى ــ ص ١٩٢ .

والموضوع الثانى الذى نال عناية الأنبا يؤنس موضوع كانت له أهمية كبرى آنذاك — وهو التوكيد على عدم رسامة أى شخص للكهنوت مالم يكن من خريجى الاكليريكية . وقد ندهش الآن من هذا القرار، ولكن الذى يجب أن نذكره أن البابا كيرلس الخامس هو الذى أنشأ الإكليريكية ، فكانت حديثة العهد وكان القبط فى العصور الوسطى محرومين من مدرسة كهذه ، فجروا على القاعدة التى كان معمولاً بها فى العهد القديم وهى أن ابن الكاهن على كنيسة يحل محل أبيه متى بلغ أشده (١) . وليس من شك فى أن هذه كانت خير قاعدة فى تلك العصور . لأن ابن الكاهن ينشأ منذ نعومة أظفاره على معرفة الكنيسة وعلى الاشتراك الفعلى فى شعائرها . فلما انفتحت الاكليريكية قدمت الدراسة الكنسية لكل راغب فيها . لهذا نادى البابا كيرلس الخامس بوجوب رسامة خريجها ، فأطاعه البعض ولم يطعه البعض الآخر. لذلك رأى القائمقام البطريركى أن يؤكد هذا النداء بدوره . وقرن توكيده هذا بأنه غير مسموح لأحد أن يعظ فى الكنائس الاخريج الاكليريكية أيضا ، مشهود له بحسن السيرة ، وأقرت لجنة الكنيسة التابع لها بمقدرته و بأرثوذكسيته ، وصادق المطران أو الأسقف على إقرارها .

وثمة مشكلة أخرى ظلت فترة طويلة مثار النزاع بين رؤساء الأديرة من جهة ورجال المجلس الملى من الجهة الأخرى ، هذه المشكلة هى من الذى له الحق فى إدارة الأوقاف . فجمع الأنبا يؤنس الطرفين وتناقش وإياهما فى الموضوع فى ٥ نوفمبر سنة ١٩٢٨ . ومن نعمة الله أن اتفق الجميع يومذاك وأصدروا قرارهم بذلك فتوصلوا بهدوء الى حل ارتضاه الجميع (٢) — وهو تأليف لجنة نصفها من آباء المجمع ونصفها من أعضاء المجلس يرأسها مطران تشرف على إدارة الأوقاف .

٧— بعد هذا السجل الحافل بالأعمال الدالة على اللهب التى اشتعل بها قلب الأنبا يؤنس — ماذا أصابه حتى رضى بأن يخالف تاريخ كنيسته المحبوبة وتعاليمها وتقاليدها (٣) ؟ وأيضا ماذا أصاب إخوته وشركاءه فى الخدمة الرسولية فجعلهم يوافقونه على هذه المخالفة ؟ لقد

---

(١) هنا أيضا نرى واقعية القول الإلهى بأن واحداً يزرع وآخر يحصد — فحيثما نحصد ما زرعه غيرنا علينا أن نشكر الله ونشكر الزارع لحصولنا على الحصاد ، واعترافاً له بالفضل .

(٢) للاطلاع على نشأة الأنبا يؤنس وأعماله كمطران للبحيرة والمنوفية و بصفته قائمقاما بطريركيا راجع كتاب يوسف جرجس المطبوع فى القاهرة سنة ١٩٣٠ — ص ٢ — ١٢ (وقد سبقت الإشارة الى هذا الكتاب على هامش (١) ص ٩) ، تاريخ البطاركة (مخطوط) للراهب القمص شنودة الصوامعى البرموسى (نقلا عن مخطوط بالدير) حـ ٢ ص ٦٠٣ — ٦٠٦ .

(٣) سألتنى إحدى الطالبات فى قسم اللاهوت بالمعهد العالى للدراسات القبطية (بالأنبا رويس) أثناء الدرس الذى استمعت اليه منى صباح الجمعة ١٣ / ١١ / ٨١ — سألتنى مستفهمة : « وهل رضى الأنبا يؤنس بأن يكون بطريركا ؟ » أجبتها : « لولم يكن راضيا لأعلن ذلك من البداية ولقدم بنفسه أسماء الرهبان الذين يتوسم فيهم الكفاءة لهذه المسئولية العظمى » . وهنا يحق لنا السؤال : « لولم يكن هناك رهبان جديرين بالسدة المرقسية ، فكيف وجد من هو جدير برياسة الكنيسة الاثيوبية ؟ ومسئولية مطران اثيوبيا لا تقل عن مسئولية البابا الاسكندرى إن لم تزد عنها . لأن الأحباش أكثر عدداً وأقل وعياً ، كما أنهم متناثرون فى أنحاء بلادهم الجبلية المترامية . ثم كيف استطاع الأنبا يؤنس أن يجد العدد اللازم من الرهبان لرسامة المطارنة والأساقفة الذين ملأ بهم كل كرسى شغر ومنهم كرسى القدس ؟

وقف الكثيرون من محبى هذه الكنيسة العريقة فى حيرة لما أصابهم من ذهول . ووسط غمرة هذا الذهول وجد البعض الوعى الكافى لترشيح الرهبان ولإعطائهم أصواتهم يوم الانتخاب . كما وجد شخص فى نفسه القدرة على مناقشة هذا الموقف المغاير لكل ما اعتاده القبط وما توقعوه من الحرص عند آبائهم وبهذه القدرة وضع كتابا بعنوان : « سقوط الجبابرة أو شهوة البطريركية » . هذا القبطى الغيور هو بشارة بسطوروس الذى وصف كتابه شخصيا بهذه الكلمات : « بحث تاريخى قانونى شيق لتثبيت تعاليم الكنيسة والرجوع الى قوانينها المقدسة . الحل الوحيد للمشكلة القبطية » . وقد أهدى كتابه هذا الى « غبطة البطريرك المعظم الأنبا يوساب الثانى ، أحبار الكنيسة الأجلاء وكهنتها الموقرين ، أساتذة الكلية الاكليريكية ووعاظ الكنيسة المحترمين ، قادة الشعب القبطى وأراخنته الأفاضل ، الشباب القبطى أبناء الشهداء الأقباط ، أمهات الجيل الحديث سيداتنا الفضليات اللاتى يساهمن بنصيب وافر فى تكوين نشىء يجاهد فى سبيل الكنيسة » (١)

ولما كنت ضمن الأمهات المسئولات عن تربية الجيل الحديث الذى أتطلع بكتابتى الى توصيل رسالة هذه التربية الى الأجيال القادمة ، فالضرورة موضوعة على لأن أكتب قدر المستطاع من التفصيل عن هذه الفترة مستهدفة أن يعتبر أبناؤنا بما جرى لآبائنا . لأن رب المجد كثيراً ما نبهنا الى أن من له أذنان للسمع فليسمع . ثم أوحى الى تلميذه الحبيب فأعاد علينا هذا التنبيه بقوله : « من له أذنان للسمع فليسمع ما يقوله الروح للكنائس » مردداً هذا التنبيه سبع مرات . (٢) وبما أننا نؤمن بأن الكتاب كله موحى به من الله وجب علينا أن نبذل أقصى جهدنا للعمل بما فيه . ومن الوصايا التى أوصانا بها تلك الوصية القائلة : « لا تقل التخم القديم الذى وضعه آباؤك » (٣) . ولما كان المعنى الروحى هو هدف التعاليم الالهية ، فليس المقصود هنا بكلمة « تخم » مجرد العلامات الموضوعة على الحدود الجغرافية ، بل بالحرى مراعاة روح التعليم لأن الحرف يقتل أما الروح فيحى . فهذه الوصية إذن تدعونا الى الحرص على كل ما علمنا إياه الآباء من طقوس وتقاليد وتعاليم . فما هى إذن التقاليد التى سلمنا إياها آباؤنا منذ أن تسلموها من الرسل فيما يختص باختيار الراعى الأول لكنيستنا المحبوبة ؟ لقد سبق الحديث عن هذا الموضوع ابتداءً من الرسل وعلى مدى القرون الطويلة الممتدة منهم الينا . ولكن بما أن فى الإعادة إفادة نكرر القول بأن التقليد الرسولى الذى حرصت عليه الكنيسة القبطية (كما حرصت على كل التعاليم والوصايا الالهية الى الآن) (٤) هو اختيار البابا المرقسى من المتبتلين سواء أكانوا

---

(١) طبع هذا الكتاب للمرة الثانية سنة ١٩٤٧ ، والنسخة الموجودة عندى من الطبعة الثانية .

(٢) رؤيا ٢ : ٧ و١٧ و٢٩ و٣ : ٦ و١٣ و٢٢ .

(٣) أمثال ٢٢ : ٢٨ .

(٤) اقول « الآن » لأننا نسمع هذه الأيام نغمة غريبة علينا تماما وهى : لماذا نظل « جامدين » ولانساير الزمن ؟ وخير إجابة هى تلك التى قدمها الأسقف الفرنسى أنبا مرقس رداً عليه وهى « إن كل كنيسة أمامها طريق من اثنين لا ثالث لهما — فهى إما أن تنزل الى مستوى العالم ، وإما أن ترفع العالم الى مستواها . والكنيسة القبطية قد اختارت الطريق الثانى » .

متوحدين ، أو عائشين فى الدير ، أو مقيمين فى العالم (١) ، فهى كانت تختار ــ عند الاقتضاء ــ علمانيا متبتلا ولا تختار مطرانا ولا أسقفا . هذا ــ مع أن قصة كنيستنا المحبوبة فائضة بالأساقفة الذين مازالت كتاباتهم نوراً وهاجا يضىء الطريق لكل من يكلف نفسه الاطلاع عليها سواء كان من المصريين أو من الأجانب . فنعود إذن الى السؤال : ماذا أصاب الأنبا يؤنس وشركاءه فى الخدمة الرسولية حتى تناسوا هذا كله ؟! وإن الوجع ليتضاعف حين نحاول الإجابة متى علمنا أن الأنبا يؤنس بتخطيه التعاليم والتقاليد قد جعل من هذا التخطى سابقة يتعثر بها غيره

٨ ــ يسجل لنا بشارة بسطوروس فى كتابه المذكور آنفاً : « شيوخ فى الايمان يسقطون : الأنبا يؤنس الـ ١٩ البابا الـ ١١٣ ، الأنبا مكاريوس الثالث البابا الـ ١١٤ ، الأنبا يوساب الثانى البابا الـ ١١٥ ، باختيارهم المطلق وهم فى حداثة السن انتظموا فى سلك الرهبنة وتدرجوا فى حياة النسك ، ونالوا مراتب الكهنوت ، وعاشوا فى الايمان الى أن وصل كل منهم سن الشيخوخة ، وهم مطيعون لقوانين الكنيسة حاملون لواء المحبة لمسيحهم ومخلصهم ، مجاهدون بناموس فاديهم . و باختيارهم المطلق أيضا ، بعد أن وصلوا الى سن الشيخوخة ، بدون رضا السيد المسيح و بدون خضوعهم لقوانين الرسل والمجامع المقدسة ، قطعوا السبيل الصالح الذى عاشوا فيه ، متجاهلين نظام الكنيسة وقوانينها ، فتركوا أبروشياتهم طمعا فى المنصب البطريركى ... ومع أن هؤلاء الآباء الأفاضل ملمون تمام الإلمام بقوانين الكنيسة وتعاليمها ، وواقفون على ما دونته المجامع المقدسة فى عدم جواز ترك الأسقف لابرشيته والانتقال منها الى ابرشية أخرى ، إلا أنهم فى سبيل شهوة الوصول الى الكرسى البطريركى تخطوا كل نظام فى سبيل أغراء عظمة الكرسى البطريركى ، وسقطوا صرعى أمام المجد الزائل ، فكان سقوطهم سقوط الجبابرة فى الميدان قبل نهاية المعركة » (٢) .

٩ ــ وهنا يرن فى آذاننا أنين كنيستنا المحبوبة وهى تردد قول فاديها ومخلصها « هل رأيتم وجعاً مثل وجعى ؟ ... فلقد جرحت فى بيت أحبتى » . ذلك لأن من يتقدم للترشيح يرضى بالدعاية . والدعاية تستهدف غرضا واحداً هو نجاح المرشح . وللوصول الى هذا الهدف لا تتعفف الدعاية فى وسائلها . ولهذا لم يتراجع مروجو الدعايات عن القذف العلنى من فوق المنابر وفى النشرات والجرائد والمجلات . وتغاضى الساعون الى الكرسى البطريركى عن هذا كله . واقترنت هذه الدعايات بالعهود والمواثيق التى قطعها المرشحون على أنفسهم بتحقيق مشروعات معينة أو التنازل عن حقوق خاصة أو عامة ، كما اقترنت بصرف المال على الأنصار والمؤيدين . وهذا أدى

---

(١) راجع سجل البابوات الوارد فى آخر حـ ٥ من هذا الكتاب ــ وهو الجزء الخاص بحبرية البابا الوقور الأنبا كيرلس الخامس .

(٢) المرجع نفسه ص ١١ ــ ١٢ ، ومرة أخرى نذكر القراء بأن كنيستنا الحبيبة لا تؤمن بعصمة أى إنسان مهما بلغ من القداسة . وهى فى الوقت نفسه منحت الأبناء « حرية مجد أولاد الله » و بالتالى أعطتهم حرية التعبير والنقد من غير خوف وأوصت الآباء بسعة الصدر مع أبنائهم : « أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا » (أفسس ٦ : ٤) .

بالطبع الى إيجاد الفرقة والتحزب بين أولئك المفروض فيهم أن يتحابوا و يتعاونوا ، وسرت منهم هذه الفرقة الى أبنائهم طبعا .

١٠ — ولقد جرى هذا كله أثناء الترشيح — فماذا حدث بعد أن تم الانتخاب إن صح تسميته انتخابا ؟! إن الأنبا يؤنس (وغيره) نسى أو تناسى المواثيق التى قدمها رغبة فى الوصول الى السدة المرقسية مما ملأ قلوب مشايعيه مرارة . وفى الوقت عينه بدأ الانقسام يدب بين صفوف الشعب — بل تخاصموا . وكان مثل هذا الانقسام طبيعيا إذ أخذ المعارضون يعيرون من ساندوا الأنبا يؤنس فى الترشيح ثم فى الانتخاب . أما شعب كل من البحيرة والمنوفية فأصبح بلا راع وانطبقت عليهم الآية القائلة : « منزعجين ومنطرحين كخراف لا راعى لها » لأن راعيهم تركهم ليصبح بطر يركا للكرازة المرقسية ولعلمه بأنه لا يستطيع رسامة مطران لايبارشيه وهو على قيد الحياة لم يرد أن يضيف كسراً جديداً للقوانين الكنسيه ، و بالتالى فقد تركهم لكهنتهم . ومهما بلغت أمانة الكاهن فى الرعاية فهو مسئول عن جزء من الشعب وليس عن شعب الايبارشية بأسره ولو وقف الأمر عند هذا الحد لكان الوجع محتملا ، ولكن الدعايات أوجدت شيئا فى النفوس مما جعل أعضاء المجمع المقدس يتهاونون فى حضور جلساته . فكانت هذه الجلسات تتأجل مرات غير قليلة لعدم تكامل العدد المطلوب . وهذا بدوره أدى الى تعطيل الكثير من الأعمال والمشروعات .

ولما كان المستعدون للصيد فى الماء العكر كثير ين ، فقد برز فى تلك الآونة الأسقف جو ين — الأسقف الانجليزى لشعبه فى الشرق الأوسط — ومقره فى القاهرة . وكان على صلة بالقمص ابراهيم لوقا — (١) أحد رعاة كنيسة مار مرقس بمصر الجديدة . فاتفق معه على أن يدعو له عدداً من كبار العلمانيين القبط لتناول الشاى . و بالفعل دعا ابراهيم لوقا كل من يعرفه من هؤلاء الكبراء الى منزله . و بعد أن تآنس المدعوون حول موائد الشاى ومستلزماته ، وقف الأسقف جو ين يخطب فيهم فقال : « إننى متعجب من تصرفكم أيها القبط ! إذ كيف ترتضون بطر يركا فرضه عليكم الملك ؟ » فسألوه : « وماذا تر يدنا أن نفعل ؟ » أجاب لفوره : « اخلعوه وارسموا من تر يدونه أنتم » . قال حبيب المصرى : « حينما كان الأنبا يؤنس مرشحا أبدى الناخبون رأيهم فيه . أما الآن وقد جلس على الكرسى المرقسى فقد أصبح بابانا جميعا — لا فرق

---

(١) عن كتاب طارق البشرى « المسلمون والأقباط » ص ٤٢٦ — ٤٣٤ حيث أورد بالتفصيل صلة إبراهيم لوقا بالانجليز وتأييد يوحنا سلامة زعماً منه إنه يستطيع توجيهه وهو بطر يرك نحو التحالف مع الكنيسة الانجليز ية . وهذا هو السبب الذى حدا به الى استجابة رغبة الأسقف جو ين فى دعوة العلمانيين لعله يجد منهم سنداً فى الوصول الى بغيته . وقد رجع د . طارق فيما كتبه الى جرائد : مصر ، كوكب الشرق ، المنبر الأرثوذكسى ، والى مقابلات شخصية مع عدد من الذين عاصروا هذه الفترة ، والى المنشورات التالية : « فى سبيل الدفاع عن الكنيسة القبطية » لبشارة بسطوروس بوزارة الداخلية وفر يد مترى أبادير المدرس الأول بمدرسة أسيوط الثانو ية للبنات وجورجى إبراهيم بوزارة المالية ، « الإصلاح الذى يدعيه إبراهيم لوقا وجمعية الأصدقاء هو عبث وتمز يق لعظمة الكنيسة » لراغب مفتاح من الأراخنة وهو قد سجل كل الألحان الكنسيه القبطية بدقة تامة ، كتاب « قصة حبيب المصرى » .

بين من انتخبه ومن لم ينتخبه . ولن نسمح لأحد بأن ينال من كرامته . ثم أن طلبك هذا معناه انقسام الكنيسة بين مؤيدى البابا ومعارضيه . ونحن غير مستعدين لأن نكون الأداة لشطر كنيستنا . وأنتم قد لعبتم هذه اللعبة عينها فى الهند وشطرتم الكنيسة الأرثوذكسية العريقة (١) . ولكننا لن نرضى بأن نمكنكم من هذا العمل بكنيستنا القبطية الحبيبة ... وحسم هذا الرد الاجتماع وفشلت المؤامرة الانجليزية .

١١ــ ولما كان الخالق المبدع قد خلق الكون على قاعدة التدرج والتطور كى يهىء للإنسان الفرصة لأن يسمو ، فإن هذه القاعدة عينها قد تؤدى به الى التدهور . لذلك فكل خطوة يخطوها الانسان نحو التسامى تسهل له الخطوة التالية ، وكل خطوة تنحدر به تسهل الانحدار بعدها ــ صحيح أن الآب السماوى ــ فى شامل محبته ــ قد منح الانسان فرصة للتوبة والعودة اليه ولولا هذه المنحة ما استطاع إنسان أن يبلغ القداسة . وصحيح أن الإنسان فى جهده المتسامى قد يسقط أحيانا ثم يعود . ولهذا فطريق الإنسان ليس خطاً تصاعديا مستمراً ، ولا هو بخط تنازلى مستمر ، إنما هو خط متعرج بين الصعود والانحدار . على أن قاعدة التدرج فى هذه الفترة وضحت فى أن البابا الذى خالف قانون الكنيسة وتقاليدها بضمه البطريركية الى مطرانيته قد تدرج من هذه المخالفة الى ما يشبهها ــ وذلك بنقل الكهنة من كنائسهم . فالقانون المسيحى العام الذى سن بأن يكون للرجل زوجة واحدة يرتبط بها مدى الحياة ، قد سن أيضا أن كلاً من المطران والأسقف والكاهن يلازم شعبه الذى رسم عليه لأنه أبو الشعب وزوج الكنيسة . وهناك تعبير قديم يوضح لنا تفهم الآباء لهذا الوضع وهو : « لا يترك الكاهن المذبح الذى كشف رأسه عليه » (٢) . ولاداعى الى القول بأن هذا المسلك قد أوجد القلق وعدم الاستقرار وشيئا من الضيق داخل الصدور

ومما زاد الطين بلة أن الحاشية البابا وية و بعض المقربين انتهزوا فرصة هذا القلق وضاعفوه بتسلطهم على الشعب . ولقد بلغ تحديهم درجة جعلتهم يتطاولون بلا ورع على سلطة قداسة البابا نفسه ! فكان يحدث أحيانا أن يصدر قداسته أمراً يلغونه هم بلا تردد ! ولما رأى بعض أعضاء المجلس الملى هذا التعدى رأى أن يشارك فيه هو أيضا ، فبدأ يغتصب معظم أموال الأوقاف ، وامتد به الأمر الى أن يغتصب الايراد الخاص الذى لقداسة البابا !

١٢ــ هذه كانت أحاسيس الشعب وتصرفات البعض منه ــ فماذا كان رد الفعل داخل نفس البابا ؟ لقد أوضح لنا تتبعنا لحياة الأنبا يؤنس خلال رهبنته ومطرانيته أنه كان مهاباً ،

---

(١) والمقر الرئيسى لهذه الكنيسة فى منطقة كيرلا فى الطرف الجنوبى للهند مقابل جزيرة سيلان . وقد أسسها توما الرسول الذى لم يؤمن بالقيامة المجيدة إلا بعد أن وضع أصابعه على مواضع الجراح المحيية . والكنيسة باقية بنعمة الله وهى أرثوذكسية ، وقد منحت الرعاية الإلهية للمؤمنين أن يتصالحوا و يعودوا الى سابق وحدتهم بعد جلاء الانجليز عن الهند . أما القديس توما الرسول فقد نال إكليل الشهادة إذ قد نشره الوثنيون بالمنشار الى شطرين !

(٢) وكلمة كاهن هنا تشمل كل درجات الكهنوت .

حريصا على كرامته وعلى كرامة كل من يخدم الكنيسة من كهنة وعلمانيين . كذلك كان حاسماً ، مسموع الكلمة ، يحترم الجميع كل أوامره ونواهيه وتوصياته . بل إن شعب المنوفية هو الذى طالب بالانضمام تحت رعايته لما رآه منه من الأبوة الحافية ولكنه ما إن ترك إيبارشيته سعياً وراء البابا وية ، مخالفاً بذلك القوانين والتقاليد ، حتى اهتزت أعماقه فجعلته يدرك بأنه لا يستطيع الشعور بالراحة « داخل الدار البابا وية » . ولكى يسترجع طمأنينته النفسية دعا سبعة من الكهنة ليصلى كل منهم صلاة القنديل على مدى سبعة أيام متوالية . فيحضر هو شخصيا هذه الصلوات ، ويرجو منهم ـــ بالتتالى ـــ أن يدهنوه بهذه المسحة المقدسة . والسبب فى التجائه الى هذه الصلوات ـــ بل تكرارها السُّباعى أيضا ـــ هو أنه كان يرى مرأى العين رؤى تزعجه وتقضّ مضجعه . وقد عبر بنفسه صراحة عن هذا القلق الأليم لعله يكون عبرة لغيره . فكان أثناء تأدية الشعائر يتلفظ بألفاظ الندم لنقضه تقاليد الآباء مردداً قول أيوب [1] ولكن بصيغته الخاصة . كذلك لاحظ المقربون اليه أنه لم يكن يقبل الجلوس على الكرسى البطريركى فى الكاتدرائية ، بل كان يجلس دائما داخل الهيكل .

١٣ ـــ تلك كانت الحالة النفسية العامة ، وواضح أنها كانت أسيفة . لقد كانت أشبه بالسحابة القاتمة التى تحجب نور الشمس فى رائعة النهار . ولكن الفادى الحبيب وعد أن يكون مع مريديه الى انقضاء الدهر . فكما أنه له المجد لم يستطع لمحبته أن يترك آدم وذريته فى الهوة التى ترددوا فيها ، كذلك لم يستطع لمحبته أيضا أن يتخلى بالكلية عن كنيسته . فمن مراحمه اللانهائية يتدارك الإنسان وسط أخطائه ، ولا يترك الظلمة التى تكتنفه حالكة السواد إنه يومض خلالها بوميض تحننّه . فهذه الظلمة التى غشيت الكنيسة تخللها بصيص من النور فكّن الأنبا يؤنس الـ ١٩ من أن يجمع شتات نفسه المهتاجة و يفتتح مدرسة لاهوتيه، للرهبان . فقد وجد أن كنيسة السيدة العذراء بحلوان مركز مناسب لهذه المدرسة لما يحيط بها من منازل مقامة وسط الأشجار والأزهار التى تزين حديقتها الفسيحة (وهى التى كان قد أقامها سلفه الوقور البابا كيرلس الخامس) . فأصدر أمره بإخلاء أربعة منازل وتنظيمها وتأثيثها لتصلح لسكنى الرهبان . ثم أخلى منزلاً خامساً لتكون حجراته غرفاً للدراسة وطالب رؤساء الأديرة باختيار الرهبان الذين يجدونهم أهلاً للدراسة فى هذه المدرسة . وبالفعل بلغ عدد الرهبان الذين كونوا النواة الأولى ثلاثين

---

(١) أيوب ٣ : ١ ـــ ٧ حيث يقول فى بدايته : « بعد هذا فتح أيوب فاه وسب يومه ... ليته هلك اليوم الذى ولدت فيه ... » ، فكان الأنبا يؤنس يقول : « ليته هلك اليوم الذى تطلعت فيه الى البطريركية » ، راجع كتاب بشارة بسطوروس الآنف الذكر ص ٩ ـــ ١٧ . ويضيف القمص شنودة الصوامعى البرموسى الى هذه الشهادة قوله : « قيل إن الأنبا يؤنس كان يتندم ويبكى ويقول أنا كان مالى أجعل نفسى تحت حرم الآباء . صلوا من اجلى ياأولادى » ، فى كتابه المخطوط « تاريخ البطاركة » حـ ٢ ص ٦١٩ .

راهبا . ثم عين ميخائيل مينا ناظراً لهذه المدرسة (١) ، كما عين الأساتذة الذين يعاونونه فى تأدية الرسالة التعليمية . فلما تمت كل الاستعدادات اللازمة افتتحها شخصيا يوم الاثنين ٤ مارس سنة ١٩٢٩ . فتجمع رؤساء الأديرة والرهبان المختارون لاستقباله . وقد ذهب قداسته فى العاشرة صباحاً الى مقر المدرسة ومعه أصحاب النيافة : أنبا باسيليوس مطران القدس ، أنبا مرقس مطران إسنا والأقصر ، أنبا ابرآم مطران البلينا ، أنبا إيساك مطران الفيوم وأنبا ميخائيل أسقف ابوتيج . وبالطبع استقبلوا باللحن الكنسى الحلو ، ودخل الجميع فى موكب بديع الى الكنيسة حيث رفعوا صلاة الشكر أولاً . ثم أشار قداسة البابا الى حبيب جرجس ناظر الاكليريكية فتقدم وألقى كلمة عن الرهبنه ، والهدف الأساسى منها ، وعن تاريخها وأثرها فى بلادنا وفى مختلف البلاد . ثم ختم كلمته بتهنئة الأنبا يؤنس وأصحاب النيافة المطارنة على افتتاح هذه المدرسة . وتضرع الى الله أن يجعلها لبنيان كنيسته ولمجد اسمه القدوس .

وعندها وقف قداسة البابا وألقى كلمة أعلن فيها أنه ظل على مدى خمسين سنة يسعى الى تعليم الرهبان ، متمنيا أن يراهم متسامين روحاً وعقلاً . وعبر عن شكره وعرفانه للآب السماوى الذى منحه الفرصة لأن يفتتح هذه المدرسة . ثم زود الرهبان بنصائحه الأبوية ، وبرجائه فى أن يثابروا على الدراسة والبحث ؛ فيسلحوا أنفسهم لخدمة الكنيسة التى اشتراها الفادى بدمه الزكى الثمين

ولما انتهى قداسته من كلمته سار فى موكب كنسى له روعته يتقدمه الشمامسة والرهبان ، ويحيط به المطارنة الأجلاء ، وذهبوا الى المكان الذى أعد للدراسة . فأفتتحه البابا الجليل ببركته الرسولية ، وكرر رجاءه بأن يثابر الرهبان على التسامى . ثم تقدم ميخائيل مينا وألقى كلمة تحدث فيها عن تاريخ إنشاء المدارس الدينية من عهد صموئيل النبى الى أن جاء مار مرقس كارزاً فى بلادنا وأسس المدرسة الاسكندرية اللاهوتية التى شع نورها على جميع طالبى الارتواء من العلوم المسيحية . ثم أضاف أنه يعتبر المدرسة الجديدة بداية جديدة ولو أنها استمرار للجهود القديمة ، معرباً عن أمله فى أن تحمل هذه المدرسة رسالة المدرسة الاسكندرية .

ولم يكتف الأنبا يؤنس بافتتاح هذه المدرسة ، بل ظل يواليها بزياراته من آن لآخر ، ويشجع طلبتها روحيا وماديا ، كما يشجع أساتذتها بكلمات العطف والاستحسان .

أما مواد الدراسة فكانت : ١ ــ اللاهوت ، ٢ ــ دراسة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد وتفسيره ، ٣ ــ طقوس وألحان ، ٤ ــ وعظ ، ٥ ــ القانون والشريعة ، ٦ ــ اللغات القبطية . العربية . الانجليزية . الفرنسية . الحبشيه ، ٧ ــ جغرافيا عامة ومعها الخاصة بالكتاب

---

(١) رُسم بعد ذلك قمصا ، ثم وضع كتابا فى علم اللاهوت فى ثلاثة أجزاء ضخمة ، وآخر جزء منها ظهر فى يونيو سنة ١٩٣٨ ويتألف من ستمائة وثلاثين صفحة . وقد أوضح فى آخره الاختلافات العقيدية بين الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وغيرها من الكنائس مستنداً فى ذلك الى الكتاب المقدس والى الأسانيد العلمية المثوق بها . وقد طبعت جمعية المحبة هذا الكتاب . ومنه نرى أن اهتمام آباء الكنيسة القبطية بالتعليم استمر متأصلاً فيهم حتى فى فترات الضيق والألم . وهنا أجد تأوهات صادرة من أعماقى تلقائيا لتذكرى كل تلك الدعايات المغرضة والجهود الهدامة التى بذلها أدعياء التبشير للحط من كرامة كنيستنا الحبيبة .

المقدس ، ٨ــ تاريخ عام وكنسى ، ٩ــ فلسفة ، ١٠ــ منطق ، ١١ــ علم النفس ، ١٢ــ اللغتين القديمتين العبرية واليونانية .

وثمة خدمة أخرى يمكن اعتبارها تتمة لافتتاح المدرسة اللاهوتية ، هذه الخدمة تحققت بناءً على اقتراح من مرقس سميكة الذى وضع نواة المتحف القبطى ثم تولى رياسته . وقد تقدم باقتراحه الى الأنبا يؤنس وهو تنظيم مكتبات الأديرة وعمل سجلات وفهارس لمحتوياتها ، ثم حفظها فى دواليب خاصة بها . وقد وافق البابا الجليل على هذا الاقتراح ، وانتدب يسى عبد المسيح أمين مكتبة المتحف القبطى للقيام بهذا العمل الشاق . وقد قضى هذا البحاثة الدؤوب فى كل دير المدة اللازمة لتنفيذ هذه المهمة التى ائتمنه عليها باباه المكرم ، وبالفعل وضع سجلا ضافيا لكل مكتبة من مكتبات الأديرة القبطية .

١٤ــ كذلك أقام الأنبا يؤنس شعائر الميرون المقدس مرتين على سنتين متتاليتين . فقد وجد أن كمية الميرون المقدس ضئيلة وخشى أن ينفذ . ومن ثم سار على خطة سلفائه واشترى كل ما يلزم من الأفاويه والعطارة وزيت الزيتون ، وأرسل يدعو إخوته المطارنة ليشتركوا معه فى هذه الصلوات ذات الروعة الخاصة . وبالطبع كان المقدار المتبقى هو الخميرة القديمة التى أضيفت اليها المقادير الجديدة كما جرى به التقليد منذ أن أحضر مارمرقس الرسول نصيبه من الحنوط المقدس . وقد تمت الصلوات فى الأحد الرابع من الصوم الأربعينى ، وكان موافقا ليوم ١٢ برمودة سنة ١٦٤٦ (٢٠ ابريل سنة ١٩٣٠) ، فى كنيسة القديس الشهيد اسطفانوس (الملاصقة للكاتدرائية المرقسية بالأزبكية)

أما فى المرة الثانية فقد كانت فى السنة التالية مباشرة ، وقد أقامها خصيصا للكنيسة الاثيوبية (١) . واشترك فى الصلاة معه نيافة الأنبا كيرلس مطران اثيوبيا ومعه أسقف اثيوبى ،

١ــ صنع الميرون المقدس لاثيوبيا :

قام قداسة البابا يؤنس التاسع بصنع الميرون المقدس لإرساله إلى اثيوبيا . فبدأ فى الأسبوع الثانى المقدس بدق مواد الميرون وسحقها . وفى الأسبوع الثالث من الصوم بدىء بطحنها حسب الطريقة الكنسية .

وبهذه المناسبة حضر من اثيوبيا يوم ١٥ / ٢ / ١٩٣١ صاحبا النيافة الأنبا كيرلس المطران القبطى لاثيوبيا ومعه الأنبا بطرس الأسقف الحبشى . ومعهما رسائل من جلالة الامبراطور وأساقفة الحبشة الى قداسة البابا . وكذلك رسالة من رئيس إديرة اثيوبيا . واستقبل المطران استقبالا رسميا وشعبيا ، واستقبله الملك فؤاد . . .

---

(١) إن تكريس الميرون الذى أدى شعائره الأنبا يؤنس كان قد أداه من قبله واحد وعشرون من الباباوات ، فكانت شعائر التكريس هذه تقام للمرة الثانية والعشرين . وهى الشعائر الوحيدة التى يجب أن يؤديها قداسة البابا ، ويدعو إخوته الأساقفة للاشتراك معه فى تأديتها . لذلك فكلما وجد أحد الباباوات أن الكنيسة فى حاجة الى المزيد من الميرون المقدس قام بصلوات التكريس . وبهذه المناسبة نشرت مجلة (الكرمة) التى كان يرأسها الارشدياكون حبيب جرجس مدير الكلية الاكليريكية ، هذه الأخبار فى سنة ١٩٣١م .

كما اشترك عدد من المطارنة المصريين . وقد أقيمت الشعائر المقدسة هذه المرة خلال أسبوع الآلام فى الكنيسة عينها. وهكذا أصبح معداً يوم الأحد ــ عيد القيامة المجيدة فى ٤ برمودة سنة ١٦٤٧ . فاستطاع طالبو الميرون المقدس أن يحملوه معهم عند عودتهم الى أديس أبابا فى الأسبوع الثانى من الخمسين .

كذلك رأى الأنبا يؤنس أن الدار الباباوية أصبحت فى حاجة الى ترميم وتجديد ، فأمر بإجراء اللازم لإصلاحها . وقد تبرع بألف جنيه من جيبه الخاص مساهمة منه فى هذا العمل . وبناءً على توجيهاته أقيم فى الدور الأول لهذه الدار الديوان البطريركى ، ويحتوى أيضا على قاعة فخمة لاجتماعات المجلس الملى العام .

١٦ ــ وكان مرقس سميكة قد سعى سعيا جديراً بأبناء الشهداء فى أنه بدأ بتجميع الآثار التى كان المنقبون يعثرون عليها بين أطلال الكنائس والأديرة والبيوت ، وبوضعها فى قاعة ملحقة بكنيسة السيدة العذراء (المعلقة) بمصر القديمة . فكان هذا التجميع النواة لما أصبح يعرف بالمتحف القبطى . على أن الحكومة المصرية أصدرت مرسوماً بقانون رقم ١٤ لسنة ١٩٣١ يقضى بضم هذا المتحف الى أملاك الدولة . فأرسل وزير المعارف (التربية والتعليم) خطاباً الى الدار الباباوية يبلغها فيها هذا الأمر. فاستثار هذا الخطاب استياء كبيراً بين القبط . ودعا الأنبا يؤنس المجلس الملى العام الى جلسة رأسها شخصيا ، وتداولوا معاً فيما يجب اتخاذه للحفاظ على هذا المتحف ضمن أملاك الكنيسة . وأدت مداولاتهم الى إرسال إنذار على يد محضر الى كل من رئيس الوزراء ووزير المعارف . وعهد قداسة البابا الى حبيب المصرى بكتابته ــ وبالطبع كتبه ، ومما جاء فيه : « حيث أنه لا نزاع فى أن المتحف القبطى بما فيه ومحتوياته إنما هو جزء غير منفصل عن كنيسة المعلقة وعن الأملاك الخاصة للكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، ومعظم هذه المحتويات ذخائر كنائسية مكونة من كتب قديمة ومن أيقونات وصلبان وملابس كهنوتية . . . . ، وحيث أنه إذا كانت الأديرة والكنائس قد قبلت نقل بعض تحفها وذخائرها الى هذا المتحف ، فإنما حدث ذلك على أساس أن تودع هذه التحف وديعة فى كنيسة أخرى ، وأنها لا تزال على أية حال ضمن ذخائر الكنيسة القبطية ومخلفاتها لأن الكنائس لا تتجزأ . . . . وحيث أن ملكية الكنيسة لهذه الذخائر والتحف الدينية لا يصح التعرض لها ولا نقلها من يدها بأى وجه من الوجوه . . . وحيث أن واضع المرسوم نفسه بلغ من شدة شعوره بهذا الحق ومن عدم جواز التعرض له ، عقب على النص بإلحاق المتحف ومحتوياته بأملاك الدولة العامة بالنص على أن هذا الإلحاق لا يترتب عليه المساس بما للكنائس من حق الوقف على المتحف والأشياء المذكورة ، ولكنه واضح من مجموع القانون ومما ورد فيه من الأحكام والقيود أنه لا يترتب عليه أى أثر فعلى لمصلحة الكنائس إو أن الأشياء الموجودة بالمتحف لا يجوز نقلها من مكانها فى أى وقت بحكم القانون . فلا تستطيع أية كنيسة إذن أن تستعمل أية ذخيرة من تلك الذخائر فى طقوسها الدينية ولا فى غيرها . وبذلك تكون الكنيسة القبطية قد فقدت جميع خصائص الملكية أو الوقف أو مظاهرها .

و يكون الغرض الوحيد من هذا النص إنما هو مجرد الاحتياط اللفظى لما تضمنه القانون فعلاً من المساس بحق الكنيسة فى المتحف وهو حق مقدس لا يجوز قانوناً التعرض له أو العبث به . وحيث أن ما ورد فى ديباجة ذلك المرسوم بقانون من وجوب رعاية المتحف القبطى لضمان تقدمه ونجاحه لا يبرر بأى وجه من الوجوه التعرض الفعلى لملكية الكنيسة القبطية له ولا يستلزم مصادرتها فى إدارته لأن معاونة الحكومة فى صيانة المتحف وإنمائه مستطاعة من غير إلحاقه بأملاك الدولة العامة .... والمجلس الملى يتلقى بالترحاب كل ما تبذله الحكومة من المعاونة أو تسديه من النصح فى سبيل ترقية المتحف وحسن إدارته .... وفضلاً عما تقدم فإن إلحاق المتحف بأملاك الدولة العامة على الوجه الذى قرره القانون قد يؤدى من وجوه عدة الى الوقوف عائقاً فى سبيل ترقية المتحف على عكس ما قصده الشارع من وضعه ، وذلك لأن الكنائس والأديرة التى أمدت المتحف فى الماضى وساعدت على تكوينه بما أودعته فيه وأهدته اليه من التحف والنفائس ستمتنع من الاستمرار على هذه الخطة فى المستقبل حرصاً على بقاء هذه التحف مملوكة للكنيسة . وحيث أن المجلس الملى العام هو المختص بحفظ وصيانة الكنائس ومقتنياتها بمقتضى أحكام المادتين ٨ و١٤ من القانون رقم ١٩ لسنة ١٩٢٩ .... وحيث أن المجلس الملى العام فوجىء بصدور المرسوم بقانون المشار اليه بدون مفاوضة سابقة معه ، وهو على ثقة أن الحكومة لو كانت اتصلت به و باحثته فى أمر ما يراد اتخاذه من الوسائل والتدابير الكفيلة بصيانة المتحف وترقيته ، لما كانت فكرت فى إصدار هذا المرسوم فلهذه الأسباب :

قد أعلنت حضرتىْ صاحبىّ الدولة والسعادة المعلن إليهما بتمسك المجلس الملى العام بصفته المذكورة آنفا بحقوق الكنيسة فى ملكية المتحف القبطى بما فيه وجميع محتو ياته وفى إدارة هذا المتحف .... وقد كلفت حضرتيهما بأن يتخذا ما يلزم من الإجراءات حتى يستمر المتحف جزءً غير منفصل من الكنيسة . ومع تصميم المجلس على المحافظة على هذه الحقوق ، فإن أمله وطيد فى أن ترى الحكومة أنه لم يقصد من هذا الإنذار إلا وضع الأمور فى نصابها وهو يعتقد أن هذا الإنذار سيكون كافيا للوصول الى هذا الغرض .

وقد وقع على الإنذار قداسة الأنبا يؤنس ، كما وقع عليه ستة عشر عضواً من أعضاء المجلس الملى العام (١) . إلا أنه رغم هذا الإنذار ، ورغم المقابلات الشخصية التى جرت بعد ذلك بين مندوبى البطريركية ومندوبى الحكومة ، فقد ضُمّ المتحف الى أملاك الدولة لأن الملك فؤاد أصر على ضمه بل لقد بلغ من إصراره أن أصدر أمره بسد الباب الموصل بينه و بين الكنيسة

---

(١) إن العدد الكامل لأعضاء المجلس الملى العام أربعة وعشرون ، فيكون ثلثاهم قد وقّع على هذا الأنذار بالإضافة الى قداسة البابا الذى يرأسهم بحكم رياسته الكهنوتية ولا يدخل ضمن عددهم . انظر أيضا « قصة حبيب المصرى » ص ٢٥١ ـــ ٢٥٢ .

المعلقة لفصله تماما عنها ! (١) فانطبق على الذين بذلوا الجهود فى هذا المضمار قول الشاعر :

على المرء أن يسعى الى الخير جهده   وليس عليه أن تتم المقاصد

١٧ــ إن كل من تتبع قصة الكنيسة القبطية يعلم بأن الصلة التى تربط كنيسة مصر بكنيسة اثيوبيا ترجع الى عهد الأنبا أثناسيوس الرسولى الذى رسم أول مطران لهذا القطر الشقيق (٢) . ولكن على الرغم من أن هذه الصلة قديمة العهد وثيقة ، إلا أنه لم يتيسر لغير اثنين من الباباوات زيادتها ، وهذان هما الأنبا ميخائيل الرابع (البابا الـ ٦٨ــ سنة ١٠٨٤ ــ سنة ١٠٩٤) للتفاوض فى موضوع مياه النيل ، والأنبا كيرلس الرابع (البابا الـ ١١٠ــ سنة ١٨٥٤ــ سنة ١٨٦١) للتوسط فى الصلح وتفادى الحرب بين الجيشين المصرى والحبشى .

أما الأنبا يؤنس الـ ١٩ ، فلئن كان البابا الثالث الذى يزور اثيوبيا إلا أنه الأول فى زيارتها زيارة راعوية .

على أنه يجدر بالذكر أن الأنبا كيرلس الخامس أولى هذه البلاد اهتماما كبيراً رغم عدم زيارتها . ففى سنة ١٨٩٨ــ وكان عمره آنذاك أربعا وسبعين سنةــ أرسل خطاباً الى كل من الامبراطور منليك ونيافة الأنبا متاوس يوصيهما بجرانت عصفور . وحالما وصل الخطابان ، استدعى الامبراطور الشاب الموصى عليه وسأله عما يبتغيه ، فأجاب بأنه يستهدف افتتاح مدارس ابتدائيه يتولى التعليم فيها شبان أقباط لكى يضمن القبط والاثيوبيون أن التعليم الدينى فيها يكون أرثوذكسيا صميماً . فراقت الفكرة للامبراطور وأرسل رده الى قداسة البابا قال فيه : « غلب الأسد من سبط يهوذا منليك الثانى ملك ملوك الحبشة الى غبطة الراعى الصالح والأب البارــ عامود البيعة الأرثوذكسية غير المتزعزع ، الجالس باستحقاق على كرسى الانجيلى مار مرقس الرسول المعظم ، الأنبا كيرلس بطريرك الاسكندرية والحبشة ، أدام العلى لنا حياته ونفعنا ببركاته .

من بعد القبلة الروحية البريئة من كل غش وطلب إمدادنا بصالح دعواتكم المقبولة لدى العزة الالهية ، نبدى أننا نحن ومملكتنا وشعبنا بنعمة الرب يسوع المسيح ابن الله الوحيد و ببركة صلوات قداستكم الطاهرة حاصلون على كل راحة ورفاهية ، متمتعون بكل صحة وعافية .

أما بعد أيها الأب الجليل صاحب الفضائل والعفة نبدى لغبطتكم أننا بكل احترام مع

---

(١) يبدو عن هذا التصرف أن الملك فؤاد قد استمرأ التدخل فى شئون الكنيسة القبطية ، فما دام قد أفلح فى فرض رغبته بتنصيب الأنبا يؤنس بطريركاــ فلماذا لا يتحكم فى غير ذلك من أمور الكنيسة ؟ وهى بلا شك أقل خطراً من السابقة الأولى ؟ !

(٢) انظر حـ ١ من هذا الكتاب ص ١٩٧ .

الفرح والسرور تلقينا كتابكم الشريف المختص بحضرة جرانت أفندى عصفور الذى لما دعوناه فى حضرتنا لإبداء ما عنده من الأفكار، عرض على مسامعنا شروعاً جليلا وهو إنشاء مدارس ابتدائية فى الحبشة تكون إدارتها موكولة الى نخبة من شبان الأقباط الأرثوذكس فسررنا غاية السرور من الاقتراح الذى ما منعنا من تنفيذه فوراً إلا حدوث موانع وقتية تشغلنا فى الوقت الحاضر عن القيام بهذا العمل العظيم الفوائد.

على أنه لما كان هذا الاقتراح قد وقع عندنا أحسن وقع ولقى كل القبول والاستحسان لدينا لاسيما أنه من أهم الموضوعات التى تشغل فكرنا رأينا أن نعِدّ هذا الشاب وجئنا لنؤيد وعدنا هذا لغبطتكم بأنه عندما تزول هذه الموانع — وإن شاء الله يكون ذلك قريبا — ونعزم على إدخال التعليم ببلادنا فلا نوكل أمر إنشاء وإدارة المدارس إلا لشبان الأقباط الأرثوذكس الذين نطلبهم من قداستكم. وهنا نزيد أبوتكم توكيداً بأن كل آمالنا وأفكارنا ليست متجهة إلا نحو أبنائكم القبط الأرثوذكس. فأيقنوا أننا لا نَكِلُ الى سواهم أمر تربية وتعليم أولاد الحبشة أخوانهم فى الدين والمذهب.

وفى الختام نطلب من البارى أن يديم لنا صحتكم و يؤيد كرسيكم العالى الشأن و يشمل ابناء حبور يتكم بكل راحة «وأمان — إنه السميع المجيب».

أما الأنبا متاوس فقد أرسل الى البابا الوقور خطاباً بتاريخ ٢٠ كيهك سنة ١٦٢٤ (٢٩ ديسمبر لسنة ١٩٠٨) يقول فيه: «.... وقد أنجز الامبراطور منليك وعده المدون فى كتابه إذ قد أصدر فى أول سنة ١٩٠٧ مرسوماً بأن يكون التعليم إجباريا لجميع الذكور من أثنتى عشرة سنة فما فوق ...»

ومن ذلك الحين ظل الامبراطور يطلب أساتذة من القبط للتعليم فى المدرسة التى أنشأها باسمه فى أديس أبابا. وسار الملك تفرى (الامبراطور هيلاسلاسى فيما بعد) على منواله بأن فتح هو أيضا مدرسة باسمه يقوم القبط بالتعليم فيها (١).

---

(١) رأينا من سيرة البابا الوقور الأنبا كيرلس الخامس مدى اهتمامه بنشر التعليم على مختلف درجاته فى مصر، وهنا نجد اهتمامه بنشر التعليم بين الأحباش. وجدير بنا أن نتمعن فى مثل هذا الاهتمام لندرك مدى افتراء الأجانب على آبائنا فى دعاياتهم التى لم يكن لها من هدف غير تقليل قيمة هؤلاء الآباء المكرمين فى عيون أبنائهم واحفادهم! اما خطاب البابا الوقور والإجابتان عليه فقد أوردها يوسف جرجس فى كتابه آنف الذكر، ص ٦١ — ٦٢. ومما يجب أن نذكره هنا هو أنه قد جاء على ص ٨١ من الكتاب عينه رسالة كان الانبا كيرلس الخامس أيضا قد بعث بها الى الملك يوحنا كاسا (السابق على عهد منليك الثانى) يوصيه فيه بأن يعامل المسلمين فى البلاد الحبشية بالرفق والعدل. ثم جاء رد الملك على ص ٨٢ قال فيه: «... اما ما ذكر فى رسالة أبوّتكم عن المسلمين المقيمين فى السلطنة الحبشية النجاشية وما يتبعها من الأقاليم، ووصيتكم لنا بأن نترفق بهم ونعاملهم بالرأفة ونسهل لهم ممارسة شعائر ديانتهم فأحيط شريف علمكم أنه لم يصدر منا شيء يكدر خاطرهم. وحاشا لنا من ظلم خليقة الله ...»

١٨ ــ وقبل الحديث عن الرحلة البابوية تجدر الإشارة الى أن البرلمان المصرى بمجلسيه : الشيوخ والنواب كان قد أصدر قراراً بإنشاء قنصلية مصرية فى عاصمة اثيوبيا . وتنفيذاً لهذا القرار أرسل وزير خارجية مصر خطاباً الى وزير الخارجية باثيوبيا قال فيه : القاهرة فى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٢٧ .

ياسعادة الوزير

لى الشرف أن أحيطكم علماً بأن حكومة جلالة ملك مصر رغبةً منها فى ترقية المصالح المشتركة بين مصر واثيوبيا الى أقصى حد مستطاع وتوثيق عرى العلاقات الموجودة بين البلدين قررت أن تمثل مصر تمثيلا قنصليا فى الحبشة فتنشىء منصب قنصل فى أديس أبابا .

فأكون ممتنّا لسعادتكم إذا تفضلتم وأبلغتمونى هل تروم الحكومة الحبشية الموافقة على إنشاء هذا المنصب ؟

واقبلوا خالص التحيات ،

وزير الخارجية بالنيابة
(إمضاء) أحمد زكى أبو السعود

فجاءه الرد التالى :

أديس أبابا فى ١ أكتوبر سنة ١٩٢٧

يامعالى الوزير

علمت حكومة الامبراطورية الاثيوبية بملء الارتياح من كتابكم المؤرخ ٢٠ أغسطس سنة ١٩٢٧ بأن حكومة جلالة ملك مصر قررت إنشاء قنصلية فى أديس أبابا .

فأتشرف بإبلاغكم بأن حكومة الامبراطورية الاثيوبية التى ترغب هى أيضا أشد الرغبة فى توثيق عرى الروابط الودية بين البلدين توافق على إنشاء هذا المنصب القنصلى المصرى .

واقبلوا خالص السلام ،

المدير العام لوزارة الخارجية
(إمضاء) بلاتن جيتا هيروى

وتنفيذاً للرغبة المتبادلة بين البلدين عينت الحكومة المصرية دكتور فرج بك ميخائيل موسى ليكون أول قنصل لها فى أديس أبابا . كما عينت محمود أفندى رامز مأموراً للقنصلية ، ونر

أفندى شنودة سكرتيراً لها . وتسلم ثلاثتهم مهام عملهم الجديد فى العاصمة الاثيوبية فى ٢١ فبراير سنة ١٩٢٩ ([١]) .

١٩ــ ولقد كان الأنبا يؤنس الـ ١٩ يتوق الى زيارة أثيوبيا وهو بعد مطران . وقد أوضح هذه الحقيقة الملك تفرى فى الخطبة التى ودع بها قداسة البابا على رصيف محطة أديس أبابا إذ قال : « ... ونحن نذكر دائماً الفكرة التى ألهمكم إياها الروح القدس وأعربتم عنها لنا فى الحين (أى حينما زار جلالته مصر) ، وقد تحققت بنعمة الله » ([٢]) .

ومما دعم رغبة الأنبا يؤنس فى زيارة إثيوبيا أن مطرانها الأنبا كيرلس أرسل اليه دعوة بعد انقضاء أربعة شهور على إقامته فى أديس أبابا بوصفه مطرانا لها . فلقد بعث هذا المطران الوقور بتقرير مؤرخ فى ١٧ إكتوبر سنة ١٩٢٩ ضمنه ما اختبره من الأحوال الروحية والاجتماعية فى إثيوبيا . وقد وردت دعوته فى آخر هذا التقرير .

فرحب قداسة البابا بالفكرة ، وأرسل الى نيافة المطران الجليل رسالة فى ٢٢ نوفبر سنة ١٩٢٩ قال فيها : « ... حيث أن طلب أخوتكم زيارتنا للحبشة قد صادف من نفسنا كل ارتياح وقبول ، لأن هذه الزيارة كانت فى نيتنا من قبل ، وذلك نظراً لما يكنه قلبنا من المحبة الأبوية لشعبنا الحبشى المبارك ، ولاشتياقنا روحيا للتمتع برؤية أصحاب الجلالة الامبراطورة زوديتو والملك تفرى والملكة منن . ويهمنا جداً تفقد أحوال أولادنا المحبوبين كهنة الحبشة ورؤسها وقوادها وحكامها وشعبها المباركين لتعلقنا بهم ورغبة فى الاطمئنان على سلامتهم .

فلذلك قررنا إن أحب الرب وعشنا أن ننفذ هذا العزم ونلبى الدعوة فى أول يناير القادم ، ونكون ممتنين إذا وافيتمونا بمعلومات تلغرافية عن الطريقة الواجب اتباعها لإخطار صاحبى الجلالة الامبراطورة والملك بهذه الزيارة ، وهل الوقت مناسب لذلك ، وغير هذا من التفاصيل الضرورية التى لا يخفى على فطنتكم وجوب العلم بها لإتمام الاستعداد قبل أول يناير .

وقد أعلنت الامبراطورة ، هى والملك ، ترحيبهما فوراً وطلبا الى القنصل المصرى أن يرسل تلغرافاً الى وزارة الخارجية المصرية ينبئوها بذلك ، فوصل التلغراف بالفعل فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٢٩ ، وأبلغت الوزارة نص التلغراف الى قداسة البابا .

---

(١) يوسف جرجس ص ١٢٥ــ١٢٦ .

(٢) المرجع عينه ص ١٣٥ حيث أورد النص الفرنسى وهو.

« nous nous souvenons toujours des pensees inspirees de l'Esprit saint que vous nous auez exprinees ence tempsla en nous faisant part de votre desir desir de irsiter l'Elhiopie, et notre jaie est maintenant tres viue d'avair vuce prajet se realiser par la Grace de Dieu».

وحالما بلغه ترحيب الامبراطورة والملك بدأ يتخذ الخطوات الازمة للسفر . وكانت الخطوة الأولى هى مقابلة الملك فؤاد والتفاهم معه فى هذا الموضوع . فتحددت له الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٧ ديسبر سنة ١٩٢٩ لهذه المقابلة . وحينما التقى البابا المكرم بالملك فؤاد أعرب له الملك عن ارتياحه التام لهذه الرحلة . ثم أشار الى ما يتوقعه من توثيق الروابط بين البلدين نتيجة لها . كذلك طلب الى الأنبا يؤنس أن يحمل أصدق تمنياته الى الامبراطورة والملك والملكة ، ولشعبهم ورؤوسه . ومن نعمة الله أنها كانت زيارة مليئة بالتفاهم .

ولقد فرح المصريون جميعا : المسلمون والقبط على السواء — لهذه الزيارة المزعمة ، وعبّروا عن فرحتهم كما عبروا عن إعجابهم بعزيمة البابا الجليل الذى لم تقعده السنون عن اتخاذ هذه الخطوة الهامة رغم مشقات السفر آنذاك .

وبعد أن اطمأن الأنبا يؤنس الى ترحيب الملك فؤاد بالرحلة التى اعتزمها أخذ يختار أعضاء الوفد الذى سيرافقه . فوقع اختياره على الأنبا لوكاس مطران قنا وقوص والأنبا يوساب مطران جرجا (وكلاهما كان ممن أرسلهم البابا الوقور كيرلس الخامس الى أثينا) ، والقمصان جرجس ودوماديوس البرموسيان ، فالأستاذ حبيب جرجس مدير الاكيركية والدكتور فرنسيس أبادير طبيبه الخاص و يوسف جرجس سكرتيره وعبد المسيح جرجس تلميذه ، (١) ومعهم يوسف كما و بدوى موسى : أولهما حبشى وثانيهما قبطى ليكونا مترجمين . كذلك اختار عبده عبد الملك رئيس شمامسة الكاتدرائية المرقسية والشمامسة الاكليريكيين أديب نخلة وفوزى يسطس وشوقى مينا وجرجس اسكندر.

ولقد شاء أعضاء المجلس الملى آنذاك أن يعبروا عن حسن تقديرهم لهذه العزيمة البابا وية تعبيراً عمليا فقرروا المساهمة بألف وخمسمائة جنيه مصرى من تكاليف الرحلة ، وتقابل يوسف سليمان باشا وكيل المجلس مع قداسة البابا مساء الخميس ١٩ ديسمبر سنة ١٩٢٩ ومعه الأعضاء وأبلغوه هذا القرار فشكرهم و باركهم .

واستكمل البابا الجليل استعداداته بأن عين الأنبا ميخائيل أسقف أبوتيج ليكون نائباً عنه أثناء غيابه عن مصر .

٢٠ — ولقد كان توديع البابا الجليل على جانب كبير من الروعة والفخامة . على أن الذى يجب تذكره هو أن الشعب القبطى يتزاحم فى كل مناسبة على باباواته بلا استثناء منذ البداية والى الآن . ولقد اشترك المسلمون مع إخوتهم القبط فى توديع الأنبا يؤنس — وهذه الظاهرة

---

(١) يوسف جرجس : ص ١٣٦ — ١٣٩ ، ولنذكر أن الفرق بين السكرتير والتلميذ هو أن الأول يؤدى الخدمات المتصلة بالعلاقات العامة ، فى حين أن التلميذ يؤدى للبابا الجليل الخدمات الشخصية .

هى أيضا العادة التى جرى عليها مواطنونا المسلمون فى كثير من المناسبات . وغنى عن القول أن المودعين لم يتزاحموا على رصيف محطة القاهرة فقط ، بل لقد تزاحموا على امتداد محطات القطار الى الاسكندرية . وفى مدينة الكاروز العظيم كان استقبال قداسته أولاً ثم توديعه عند سفره الى بورسعيد . وكانت المحطة التى وقف عندها القطار هى محطة بنها . وهناك وجد البابا الجليل أن عبد الرحيم صبرى باشا وزير المواصلات آنذاك قد أصدر أمره فأعدت المصلحة صالوناً فخما لركوب قداسته ، وألحقت هذا الصالون بقطار الاكسبريس الذى قد غادر القاهرة فى الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٩ .

ولقد قصد الى بورسعيد الأنبا باسيليوس مطران القدس والشرقية قبل أن يصلها قداسة البابا ، واستصحب معه القمص أنطونيوس رئيس أديرة القدس ، وأرخناً معروفاً هو سيداروس بشارة بك . فأشرفوا على الترتيبات اللازمة لاستقبال الأنبا يؤنس ومرافقيه .

وبالطبع تجمعت الجماهير على المحطة يتقدمهم نيافة المطران الجليل ، ووقف الى جانبه السيد محمود الصياد شيخ السادة الصوفية ، وأعضاء مجلس بلدية المدينة .

وما إن نزل قداسة البابا ومرافقوه على الرصيف وسلموا على المستقبلين حتى ركبوا السيارات التى كانت قد أعدتها الجمعية الخيرية القبطية وطافوا شوارع المدينة . ثم انتهوا الى الكنيسة حيث رفعوا صلاة الشكر . وبديهى أن الشمامسة طافوا مع الموكب وهم يرددون الالحان الكنسيه ، وبديهى أيضا أن تعالت هتافات الشعب حينما مر الركب الباباوى .

وكان قد تقرر أن يبحر البابا المكرم وصحبه الباخرة « چنرال ڤوايارون » التى ستغادر ميناء بورسعيد صباح الثلاثاء ٢٤ ديسمبر . ولكنها لم تصل الى هذا الميناء المصرى الا فى منتصف ليلة الأربعاء (٢٥ منه) . ولما وجد قداسته أنه سينتظر يوماً بأكمله فى بورسعيد أقام قداساً حبريا صباح الثلاثاء ، فأدى التأخير الى أن ينال الجميع بركة القداس الإلهى كما ينعم البعض منهم بسر التناول المقدس .

ولما انتهى قداسة البابا من الشعائر المقدسة زار محافظ بورسعيد وحكمدارها لشكرهم على ما قاموا به من خدمات تسهيلاً لإقامته ولتنقله ثم انتدب البابا الجليل مطران القدس وأسقف أبوتيج ليزورا حضرات العلماء والمشايخ ورؤساء مختلف الطوائف المسيحية وغيرهم ممن ساهموا فى الاحتفاء بهم . وقد تمت كل هذه الزيارات قبل موعد الغذاء . فعاد الجميع الى الفندق حيث تغدوا واستراحوا .

ووصلت الباخرة فى منتصف ليلة الأربعاء . وحالما رست صعد عليها القمص سيداروس اسحق وكيل مطرانية شبين الكوم يصحبه اثنان من الأراخنة . فقابلوا الربان

واستفهموا منه عن موعد قيام الباخرة ، فعلموا أنها لن تغادر الميناء إلا مساء اليوم التالي - الخميس ٢٦ منه - ليتمكن المسيحيون الغربيون من الاحتفال بعيد الميلاد المجيد . ولما عادوا وأبلغوا الأمر الى قداسة البابا فضل البقاء فى الفندق والمبيت فيه للاستراحة قبل الإبحار .

وفى الساعة السادسة من مساء الخميس أقلعت الباخرة . ولقد رأى قداسة البابا قبل الصعود إليها أن يرسل تلغرافاً الى الملك فؤاد وآخر الى الامبراطورة زوديتو والملك تفرى . كذلك لم يفته أن يشكر الشعب وكل من ساهم فى تكريمه ، فنشر شكره على صفحات الجرائد .

٢٠ ــ ولقد قطعت الباخرة قناة السويس فى اثنتى عشرة ساعة ، دخلت بعدها البحر الأحمر . ومن نعمة الله أن البحر كان هادئا ، والجوصافيا ، مما جعل الرحلة مريحة . وخلالها رأى قداسة البابا أن يرسل من وقت الى آخر ببرقياته الى النائب الباباوى ليطمئنه على سلامته هو والوفد الذى معه ، وليبعث ببركته الرسولية الى شعبه . فكان النائب الباباوى يرد عليه ببرقيات أيضا معبراً فيها عن مشاعر الشعب نحوه وفرحته بالوقوف على أخباره .

ولقد بعث فرج بك موسى قنصل مصر فى أديس أبابا ببرقية الى قداسة البابا يحييه فيها هو ومرافقيه ، و يعلن له ولاءه وفرحه لتوقع مقابلته . فرد عليه الأنبا يؤنس يشكره و يباركه .

أما ربان الباخرة فقد نال بركة مقابلة البابا المكرم بعد ظهر الأحد ٢٩ ديسمبر وقال أثناء هذه الزيارة بأنه كان من المقرر أن تصل الباخرة الى ميناء چيبوتى فى العاشرة من مساء الأثنين . ولكنه مراعاة لضيفه الكبير أمر بتخفيف سرعة السير لتصل فى صباح الثلاثاء . وبما أنها ستظل فى الميناء الى ظهر اليوم عينه فإن لقداسته الحق فى أن يختار الساعة التى يشاء النزول فيها الى الشاطىء . كذلك وضع إحدى صالونات الباخرة تحت تصرف البابا الجليل لاستقبال الضيوف الذين سيحضرون للترحيب به . و بالطبع شكره قداسة البابا وأعطاه صورته موقعا عليها بيده هدية تذكارا للرحلة ، كما وزع مختلف الهدايا على الملاحين والركاب .

ولقد كان استقبال الاثيوبين ورؤوسهم لقداسة البابا استقبالاً يليق حقا بمن هو خليفة مارمرقس . فلم تدو الهتافات ولم تتدافع الجماهير الفقيرة فقط ، بل خشعت أمامه الأبصار ، وطأطأت الهامات ، وانحنت الرؤوس ، ولمست الجباه أديم الأرض ، وامتلأت النفوس خشية وهيبة بعامل الاحترام والتقديس والحب لرئيس الكنيسة الأعلى (١) .

وانتدبت الحكومة وفدين لاستقبال البابا الجليل فى ميناء چيبوتى : الأول يمثل الكنيسة والثانى يمثل الحكومة . كذلك أعدت قطاراً خاصا مؤلفاً من صالونين فخمين وثلاث عربات من الدرجة الأولى . وقد أوصل هذا القطار الوفدين الرسميين ومعهما قنصل مصر وسكرتير القنصلية

---

(١) هذا وصف يوسف جرجس فى كتابه ص ١٥١ .

المصرية ومسيحة عبد السيد مستشار وزارة المعارف الاثيوبية ووديع زكى مدير مدرسة منليك الـ(١) وعبد الملك بطرس التاجر فى أديس أبابا . وهؤلاء المستقبلون ظلوا مع قداسة البابا ومرافقيه وصحبوهم فى السفر الى أديس أبابا .

ومما يجدر ذكره أن وفود المستقبلين : الرسميين وغير الرسميين وصلوا الى ميناء جيبوتى قبل وصول الباخرة بأربعة أيام . ولقد حمل الوفدان الرسميان رسائل من الامبراطورة زوديتو والملك تفرى، والملكة منن يعبرون فيها عن غبطتهم التى لا توصف بزيارته ، و يعتذرون عن عدم إمكانهم الحضور شخصيا الى جيبوتى ، وما يخاجلهم من انفعالات توقعاً لرؤيته . كذلك حمل الوفد الكنسى رسالة من الأنبا كيرلس يعتذر فيها عن اضطراره الى البقاء الى جانب الملك تفرى فى حداده على عمه كما يقضى بروتوكول البلاط الاثيوبى(٢) .

وغادر قداسة البابا هو ومرافقوه الباخرة حوالى الظهر واستصحبهم مستقبلوهم الى فندق « كونتننتال » اكبر فنادق المدينة حيث تغدوا . وكانوا قد أعدوا به جناحا خاصا ليستريح فيه قداسة البابا . كما رفعوا عند مدخله الأعلام المصرية والاثيوبية . ولقد سارع الصوماليون(٣) الى استقبال البابا المرقسى : مسلموهم ومسيحيوهم معبرين عن عميق احترامهم .

وبعد الغداء وقليل من الاستراحة ، قال رئيس وفد الحكومة للأنبا يؤنس بأن الامبراطورة زوديتو والملك تفرى لم يحددا موعد قيام القطار الخاص تاركين الأمر له تبعاً لرغبته ولما تسمح به صحته . فأجاب قداسته بأنه مشتاق الى الدخول الى اثيوبيا فى أقرب وقت ، فيفضل السفر حالاً إذا أمكن . أجابه رئيس الوفد بأن كل ما يأمر به البابا المكرم مطاع . وخرج لتوه ليشرف على إعداد القطار الخاص . وبالفعل غادر القطار جيبوتى فى الثامنة والنصف من مساء اليوم نفسه .

وبديهى أن الشعب الحبشى كان آنذاك يتدافع نحو استقبال البابا المرقسى بنفس الحرارة وبنفس المحبة اللتين يتدافع بهما القبط نحوه . فغصت محطات السكك الحديدية التى كان القطار سيمر عليها بالجماهير . وأول محطة وقف فيها القطار ونزل منه قداسة البابا ومرافقوه كانت ديراداوا . وكانت مزينة بالأعلام المصرية والاثيوبية فتقدم الكهنة والشمامسة يحيون البابا الجليل يتبعهم الجنود ، وأحاطوا به وبمرافقيه ، فألفوا بذلك موكبا فخما وساروا بهم من المحطة الى سراى الحاكم للمنطقة . وهى فى الواقع سراى الملك تفرى يقيم فيها الحاكم نيابة عنه أثناء وجوده فى أديس أبابا . وتقع هذه السراى على ربوة عالية تمكن ساكنها من الإشراف على المدينة فى مجملها .

---

(١) هذا دليل على تحقيق رغبة البابا الوقور أنبا كيرلس الخامس باستمرار الكنيسة القبطية فى تأدية رسالتها التعليمية فى اثيوبيا .

(٢) كان عم الملك قد مات على أثر سقوط طيارته التى كان يقودها بنفسه . وكان مصرعه فى الفترة التى قضاها قداسة البابا فى بورسعيد .

(٣) لأن ميناء جيبوتى أرض صومالية .

وعندما وصلوا الى السراى وجد قداسة البابا الكهنة والشمامسة المكلفين بانتظاره هناك ــ وهم قد أتوا من كل حدب وصوب لهذه المناسبة العظمى . وفى جانب من حديقة السراى أقيم سرادق فسيح . فاستراح البابا الجليل على الكرسى الوثير المهيأ له . ثم رفعت الستار عن مسرح مقام فى ركن من السرادق وأخذ الكهنة والشمامسة ينشدون و يرقصون الأناشيد والرقصات الدينية القومية . وكانت وجوههم ونبرات أصواتهم تعبر عن الفرح والحماس اللذين امتلأت بهما نفوسهم لرؤ ية راعيهم الأول .

فلما انتهوا تقدم كاهن الكنيسة اليونانية وألقى كلمة ترحيب باللغة العر بية . وتبعه توفيق ميخائيل (وهو قبطى أيضا) المدرس بمدرسة هرر ، فتحدث أولا بالقبطية ثم بالعر بية مرحبا بالبابا الجليل .

وأختتم قداسة الأنبا يؤنس الحفلة بأن وقف وتحدث الى المجتمعين ثم شكرهم و باركهم لأنهم أتوا من جهات بعيدة متباينة ، مستهينين بمشاق السفر لكى يستقبلوه . فلما انتهى تراكض الجميع ليسلموا عليه الى درجة جعلت المسئولين يخافون عليه من هذا التزاحم . ولكنهم أصروا على تنفيذ رغبتهم فى تقبيل يده قائلين : « إننا لم نستهن بالسفر الطو يل ومتاعبه الا لننال هذه البركة . فأمر قداسته بأن يتركوهم ، وقدم الى كل منهم الصليب الذى فى يده ليقبله . ولما فرح الجميع بحصولهم على هذه البركة الرسولية صعد البابا الجليل الى غرفته ليستر يح قليلا . ثم نزل الساعة الخامسة بعد الظهر وقصد الى كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل حيث رفع صلاة الشكر ، وقصد معه مرافقوه ومستقبلوه وعدد غير قليل من الشعب .

ثم غادر البابا الجليل ومرافقوه والوفدان الرسميان ـ غادروا جميعهم ديرداواا صباح الخميس ٢ ينايرسنة ١٩٣٠ بالقطار الخاص الذى كان يقف على كل محطة فى الطر يق . وكان المسئولون يكتفون أحيانا بمجرد الوقوف ، ولكنهم فى غيرها كانوا يقفون الفترة الكافية لغداء الضيوف ولتقبلهم باقات الزهور التى كان يحملها الأطفال الى قداسة البابا . وفى مثل هذه المناسبات كان البابا الجليل يتحدث الى الجماهير المتدافعة نحوه بكلمات روحية عميقة ويمنحهم بركته الرسوليه .

وحينما تحرك القطار من محطة مودجورأى الجميع طيارتين تطيران على ارتفاع منخفض وتنثران باقات من الزهور مر بوطة بشرائط حر ير ية بألوان العلم الا ثيو بى ومشبوكة الى أوراق مذهبة اللون مطبوع عليها باللغتين الا ثيو بية والفرنسية ما ترجمته : « تستقبل الحبشة بملء الفرح

قداسة أبونا (١) يوئنس بطريرك الاسكندرية والنوبة والحبشة . وأنا الطيار بأمر الملك تفرى ماكونن جئت لأنثر من الطيارة هذه الزهور اشتراكا فى الفرح . الطيار ماييه » .

٢١ ــ أخيراً وصل القطار الى أديس أبابا ــ وصل الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الجمعة ٣ يناير . وكانت المحطة مزدانة بالأعلام الأثيوبية والمصرية (والفرنسية أيضا !) . وما إن وقف القطار حتى صعد نيافة الأنبا كيرلس ، وتعانق الراعيان تعانق الأخوة الذين تربطهم الكرامة الكهنوتية . ثم نزلا معاً يتبعهما مرافقو البابا والمندوبون الذين كانوا قد استقبلوهم فى جيبوتى . وأول من كان واقفا فى انتظارهم على الرصيف عند باب القطار بالضبط كان الملك تفرى ماكونن ، وعلى جانبيه الرؤوس ، ومن خلفه وزراء الدول وقناصلها وكبار الشعب الاثيوبى . وعندما وطئت قدما الأنبا يؤنس رصيف المحطة سجد الملك أمامه ، فرفعه قداسة البابا بيمينه ، وقدم له الصليب فقبله وقبل يده ، ثم قدم له باقة من الزهور .

وبعد أن قدم الملك كبار مرافقيه الى البابا الجليل ، قصد الجميع الى بهو الاستقبال . فجلس قداسة البابا على الكرسى المعد له بينما جلس الملك عن يمينه . وأما الأنبا كيرلس والأنبا لوكاس والأنبا يوساب فقد جلسوا عن يساره . وحالما جلس الجميع وقف الأنبا يؤنس وألقى كلمة عبر بها عن فرحته بزيارة أبنائه الاثيوبيين فى عاصمة بلادهم ، وعن شكره للآب السماوى الذى هيأ له فرصة هذا اللقاء البهيج . ثم تضرع الى الله أن يحفظ الألفة والمودة بين الكنيستين القبطية والاثيوبية ، وأن يملأ قلوب الشعبين بالمحبة التى هى اساس كل البنيان .

ثم قام الجميع : فركب البابا الجليل سيارة ملكية ، وجلس نيافة الأنبا كيرلس عن يساره . بينما جلس الملك على كرسى أمامهما . أما نيافة المطارنة المصاحبين لقداسة البابا فركبا سيارة أخرى وركب معهما الرأس كاسا الذى كان يلى الملك فى المكانة الاجتماعية . ثم ركب الباقون سيارات أخرى سارت خلف السيارة الرئيسية ، وأحاطت بالجميع كوكبة من الفرسان ، بينما تقدمت الركب فرقة الحرس الامبراطورى بملابسهم الرسمية . ومن البديهى أن الشوارع والميادين كانت على أجمل زينة ، وقد أرتفعت الأعلام متناثرة بينها ، وسطعت عليها الأنوار . ومن البديهى أيضا أن القنصلية المصرية تزينت واجهتها بالأنوار التى تتخللها الأعلام . وكذلك كان حال كل المبانى الحكومية والأهلية .

---

(١) مما يجب الإشارة اليه أن أكبر لقب يعطيه الاثيوبيون للراعى الأول فى كنيستهم هو « أبونا » . ولقد كانت هذه الكلمة بعينها هى اللقب الأكبر السائد بين القبط للتعبير به عن أبوة البابا والأسقف والكاهن ، فيقولون « أبونا البطرك » أو « أبونا الأسقف » ، وعند استعمالها من غير صفة تتبعها تعنى أبانا الكاهن . فهم كانوا على يقين من أن الصلة التى تربطهم بكهنتهم (على اختلاف درجاتهم) هى تلك الصلة العليا التى اختارها الله لنفسه « سيدنا » الذى أصبح شائعا الآن فلم يكن له وجود إلا منذ أن حاد المسئولون عن قانون انتخاب الراهب للباباوية . فلم يتغاضوا عن تطبيق القانون فحسب ، بل استعملوا أيضا تعبيراً جديداً تجاه المطران الذى أصبح بابا ، ولم يلبث هذا التعبير أن شمل كل الاساقفة .

ووصل الركب الباباوى الى القصر الملكى فعزفت الفرقة الموسيقية السلام الامبراطورى . ولما جلس البابا الجليل فى الصالة الكبرى قدم له الملك أنجاله وكريماته فباركهم . ثم ألقى أكبر الأمراء سنا خطاباً بالفرنسية . وتبعته أخته فألقت الخطاب عينه بالاثيوبية ثم ألقى فرج بك موسى ترجمته بالعربية . و بعد ذلك قدم أصغر الأمراء باقة من الزهور .

٢٢- وكانت الحكومة قد أعدت برنامجاً لتنقل قداسة البابا من استقباله يوم السبت ٣ يناير الى الاثنين ٢٠ منه ، إذ كان من المقرر أن يعود قداسته الى مصر يوم الثلاثاء ٢١ . فكان مقرراً أن تقام حفلة رسمية فى العاشرة من صباح السبت فى قصر الامبراطورة زوديتو . على أن صحة البابا الجليل انحرفت فى الليل مما اضطره الى ملازمة الفراش ، فألغيت الحفلة . وقد ذهب صاحبا النيافة المرافقان لقداسته الى كنيسة مارمرقس الملحقة بالقصر للابتهال الى الله بأن يتفضل فيشفى البابا الجليل . وقد حضرت الامبراطورة زوديتو هذه الصلاة بنفسها كما انهالت الاستفسارات الشخصية والتليفونية على القصر الذى كان قداسته مقيما فيه . ومن نعمة الله أن صحة قداسته تحسنت عند المساء .

وقد رجا الملك تفرى من البابا الجليل أن يظل فى غرفته يوم الأحد حرصاً على سلامته . فأقام الأنبا لوكاس القداس الالهى . ومن عادة الاثيوبيين أن يبدأوا صلواتهم يوم الأحد فى الخامسة صباحاً و ينتهوا منها فى الثامنة . كما جرت العادة أن يدعو الملك جنوده الحاضرين فى الكنيسة الى الافطار على مائدته .

ولقد حضرت الامبراطورة زوديتو هذا القداس أيضا من بدايته فى مقصورتها الخاصة . أما الملك فكان واقفاً بين الشعب طيلة الصلوات بملابسه العادية ، كما كان يشترك فى ترديد المزامير والمردات . وقد بدى على الوجوه مدى التأثر والتعاطف لسماع القداس القبطى بألحانه المصرية العريقة .

وما إن انتهت الشعائر المقدسة حتى رجا الأنبا كيرلس من الملك أن يزور المطرانان وحبيب جرجس الامبراطورة . فأرسل رسوله اليها فوافقت على الفور . ولما دخلوا مقصورتها وجدوها واقفة وأمامها سفر المزامير وكتاب الصلوات موضوعان على كرسى خاص . وقد أوصلوا إليها البركة الباباوية الرسولية . فشكرتهم وسألت عن صحة قداسة البابا ، وعبرت عن أسفها لعدم إمكانها رؤيته الى تلك الساعة .

ولما غادر الآباء وصحبهم المقصورة الامبراطورية وعادوا الى الكنيسة تزاحمت الجماهير عليهم لنوال بركتهم .

وقد أوصل الآباء المطارنة سلام الامبراطورة وتلهفها على الاطمئنان على صحة قداسة

البابا . فطلب الى الأنبا كيرلس الاتصال بقصرها لتحديد موعد لوفد يرسله قداسته ليقدم لها الشكر على مدى أهتمامها بصحته . فحددت لهم الساعة الرابعة من اليوم عينه ، وأرسلت لهم سيارتين . فذهب المطارنة ومعهم حبيب جرجس والقمص يعقوب الحبشي المترجم الرسمي للأنبا كيرلس . وفي أثناء تبادل التحيات عادت الامبراطورة تعبر عن أسفها لأنها لم تنل بركة رؤية قداسة البابا بعد ، وأنها هي التي كان يجب عليها المبادرة بالسؤال عنه . فقال لها الأنبا يوساب : مادام الشعور متبادلاً بين الأب والابن فلا فرق بين أن يسأل الأب أولاً أو الابن أولاً . وقد انشرحت الامبراطورة لهذه الإجابة .

ثم قام حبيب جرجس فألقى كلمة أوضح فيها الصلات التي تربط بين الكنيستين القبطية والحبشة بصفة عامة ، والصلات التي ازدادت ترابطاً بين الكنيسة القبطية والامبراطور منليك (والد الامبراطورة زوديتو) بصفة خاصة . ثم أكد فرحة الأنبا يؤنس بزيارة اثيوبيا والتقائه مع أبنائه الاثيوبيين وجهاً لوجه . ولكونه ممتلىء حباً بهم فقد قرر تدريس اللغة الاثيوبية في كل من الاكليريكية ومدرسة الرهبان بحلوان .

وعندما انتهى قالت الامبرطورة بأنها كثيراً ما عزمت على زيارة القبر المقدس ثم الاتجاه من القدس الى مصر لتزور قبر مارمرقس وتتزود ببركته وبركة خليفته . ولكن الله لم يهىء لها الفرصة بعد لتحقيق هذا الأمنية العزيزة .

وفي اليوم التالي – الاثنين ٦ يناير – تحسنت صحة البابا الجليل الى حد أن الأطباء المسئولين عن علاجه أذنوا بإمكانية مقابلته . وما إن علمت الامبراطورة زوديتو بهذا النبأ حتى سارعت الى زيارته في التاسعة من صباح اليوم عينه . وبعد أن قبّلت يديه وجلست لم تستطع أن تضبط دموعها التي انهمرت على خديها . وأعلنت أنها كانت مشتاقة الشوق كله الى رؤيته ونوال بركته ، ولم يعقها عن ذلك إلا أمر الأطباء ، فاضطرت الى الاكتفاء بالمكالمات التليفونية . وهي ترفع الشكر لله الذي أتاح لها أخيراً أن تحظى بالبركة الرسولية مباشرة . ولم تكد تخرج من الغرفة حتى دخل الملك تفرى والملكة منن . وبعد تبادل التحية قال البابا الجليل للملك إنه يرغب في وضع الحجر الأساسي لكنيسة قبطية في الدار المطرانية . فتهلل وجه الملك وهو يعلن ترحيبه بهذه الرغبة ، وأضاف قائلا بأنه هو أيضا قرر بناء كنيسة في قصره ويسعده أن يضع قداسة البابا حجرها الأساسي .

ونظراً لتحسن صحة البابا تقرر إقامة حفلة الاستقبال الرسمية في التاسعة والنصف من صباح الثلاثاء – أي صباح عيد الميلاد المجيد ومع كونها رسمية إلا أن الشعب خرج عن بكرة أبيه ليتبرك برؤية قداسة البابا . فكانت حفلة رسمية شعبية في آن واحد إذ قد حمل الشعب طبوله ونواقيسه ، كما حمل الكهنة الصلبان والمجامر ، وسار الجميع أمام السيارة الباباوية .

وكانت الحفلة فى القصر الامبراطورى . فبعد أن أخذ الجميع أمكانهم فى قاعة الاستقبال ، وقف الأنبا لوكاس وألقى كلمة نيابة عن قداسة البابا الذى كان قد طلب اليه ذلك . وقد تحدث باللغة الفرنسية فى وضوح وسلاسة ثم ترجمها إلى الأثيوبية كاتب المطرانية القبطية . ولما انتهى المترجم تحدث الأنبا كيرلس مطران الكرسى الاثيوبى . وبعده قدم قداسة البابا شكره على كل هذه الحماسة الدافقة وأعطى الجميع بركته الرسولية . وحالما انتهى بدأ الكهنة الاثيوبيون ترانيمهم الروحية ورقصاتهم الدينية ، وبذلك أختتموا الحفلة . وقبل الأنصراف وزع البابا الجليل الهدايا على العائلة الملكية .

ومن نعمة الله أن صحة قداسة البابا تحسنت الى حد مكنه من أن يؤدى شعائر القداس الالهى صباح الخميس ٩ يناير . وقد تناول الأسرار المقدسة من يده الكريمة الامبراطورة والملك وأولادهما .

وبعد الظهر من اليوم عينه ذهب البابا الجليل ومرافقوه الى القنصلية المصرية حيث تناولوا الشاى . وكان فرج بك موسى ومن معه قد اعتزموا إقامة مأدبة غداء يوم الأحد احتفاءً بالضيوف الكرام ، ولكن نظراً للوعكة التى أصيب بها قداسة البابا تقرر الاستعجال فى العُودة الى مصر مما أضطرهم الى إلغاء هذه المأدبة .

٢٣ـ وعندما انتهوا من حفلة الشاى ذهب قداسة البابا وصحبه لمشاهدة عمارة منيفة تقرر إنشاء مدرستين بها : إحداهما لاهوتية وثانيتهما تعليمية ، كما تقرر إطلاق اسم الأنبا يؤنس على كلتيهما . وكان الملك والرأس كاسا وكبار رجال الدولة فى أنتظارهم ، فطافوا بهم فى حجراتها وقاعاتها ، وامتلأت قلوبهم سروراً بما شاهدوه . وقد سلم وزير الأشغال (وهو بانى العمارة) مفتاحها لقداسته معلنا أنها أصبحت ملكاً له مادامت تحمل اسمه الكريم .

وكان عصر ذلك اليوم فائضا بالبركة إذ قد انتقل قداسة البابا ومرافقوه بعد ذلك الى الدار المطرانية . وهناك أقيمت الشعائر الكنسيه الخاصة بإرساء حجر الأساس ، وخلالها أرسى البابا الجليل حجر الأساس للكنيسة التى كان الأنبا كيرلس متشوقا الى بنائها . ثم اتجه الركب كله الى المكان الذى كان الملك قد انتقاه داخل حديقة قصره لإقامة كنيسة عليه . فأدى البابا الجليل الشعائر المقدسة وأرسى حجر الأساس لكنيسة الثالوث الأقدس . وحينما شرع قداسته فى الصلوات أخذ المطر يهطل ، فخاف الملك عليه وطلب اليه التأجيل . ولكن البابا الجليل قال له بأن المطر علامة خير وبركة ، وأنه يحس بفرح روحى حين يجد نفسه قادراً على تأدية خدمة لأبنائه الاثيوبيين . وهكذا أقيمت الشعائر الروحية وتم وضع الحجر الأساسى للكنيسة المطلوبة . وتقديراً لهذه الخدمة الروحية التى أصر الأنبا يؤنس على تأديتها ، أهدى اليه صاحبا الجلالة الامبراطورة زوديتو والملك تفرى أعلى وشاح فى دولتهم وهو (وشاح صليب سليمان) ، كما أهديا اليه تاجاً

وصولوجا ومظلة من القطيفة ذات اللون النبيذى مزركشة بخيوط ذهبية ، وساعة من الذهب مرصعة بالماس عليها صورة الملك . وفوق هذه الهدايا التى ترمز الى المجد العالمى ، أهدى إليه الأمراء كتابين دينيين ، غلافاهما مذهبان ، كما قدمت له الملكة صليبا لليد من الذهب الخالص . ثم وزعوا مختلف الاوسمة والهدايا على المرافقين .

أما قداسة البابا ــ فبالإضافة الى الهدايا الشخصية ــ فقد أهدى مجموعة من الأوانى الذهبية لاستعمالها فى حمل الأسرار المقدسة ، وغطاء للمذبح ، ومجموعة من اللفائف.: وكلها من الحرير الطبيعى . ثم بعد أن وصل قداسته الى مصر بعث يطلب من فرنسا ثلاثة نواقيس وأرسلها هدية : إحداها للكنيسة التى كان قد بناها الامبراطور منليك ، وثانيتها لكنيسة المطرانية ، وثالثها لكنيسة الثالوث الأقدس .

وقد أهدى الى الامبراطورة زوديتو نسخة من الكتاب المقدس بالا ثيوبية مغلفة بغلاف من الذهب الخالص المرصع بالجواهر الثمينة ، ومعه حامل للكتاب مصنوع من العاج المزخرف . بينما أهدى الى الملك دواة يعلو غطاءها ملاك رافع جناحيه الى أعلا ، وساعة للمكتب عليها صورة للسيد للمسيح . وفى توزيعه الهدايا لم ينس قداسة البابا أحد ممن أدوا له اية خدمة : فمثلا أعطى ألف ريال للرجال الذين خدموه فى قصر الضيافة ، ومبالغ مماثلة للعاملين فى المطرانية القبطية وفى القنصلية المصرية ، ولعمال السكك الحديدية فى المحطات التى توقف فيها قطاره .

٢٤ - ونظراً للوعكة الصحية قرر البابا الجليل أن يغادر العاصمة الأثيوبية يوم الجمعة ١٠ يناير، فلم يقضِ بتلك البلاد غير ستة أيام من الثمانية عشرة التى كانت مقررة فى البداية . ففى الثامنة والنصف من صباح ذلك اليوم ترك قداسة البابا قصر الضيافة متجها الى محطة السكة الحديدية ، يتبعه موكب ملكى فخم . وقد أصرت الامبراطورة زوديتو على أن تكون على رأس هذا الموكب - وهى المرة الوحيدة التى ودعت فيها ضيفاً على رصيف المحطة . وغنى عن القول بأن الجماهير ودعت خليفة مارمرقس بالحماسة والتهليل اللتين استقبلته بهما . واستراح قداسته فترة فى قاعة الاستقبال حيث تبادل الجميع الخطب التى عبروا فيها عما تكنه القلوب من الود والمحبة . وبعدما منح البابا الجليل بركته الرسولية لمودعيه صعد الى صالونه الخاص بالقطار. وأبت الامبراطورة إلا أن تصعد معه . ثم قدمت لقداسته ولمرافقيه هدايا شخصية من أكواب فضية أثرية وميداليات ذهبية . ثم قبلت يد البابا الجليل ووقفت على الرصيف الى أن توارى القطار عن الأنظار.

ولقد كانت العودة على باخرة فرنسية أيضا تحمل اسم « رولون جارو » التى أقلعت من جيبوتى فى السادسة من مساء الأحد ١٢ يناير، فوصلت السويس فى الرابعة من بعد ظهر السبت ١٨ يناير. وما إن ألقت مرساها حتى بادر محمد بك صادق خلوصى المحافظ ومعه عدد من كبار

الموظفين وأعضاء الجمعية القبطية بالصعود إليها لاستقبال البابا الجليل . كذلك تزاحمت الزوارق المزينة بالأعلام حول الباخرة .

ولقد تلقى المحافظ إشارة تليفونية من الديوان الملكى قبيل صعوده الى الباخرة هذا نصها : « قد تفضل صاحب الجلالة الملك فأصدر أمره الكريم بأن تقابلوا غبطة البطريرك بالنيابة عن جلالته وتبلغوا تمنيات جلالته بمناسبة عودته من الحبشة » . فرد قداسة البابا على هذه الإشارة التليفونية ببرقية الى كبير الأمناء بسراى عابدين ليرفعها الى الملك . كذلك أرسل قداسته برقيات الى كل من الأنبا كيرلس والامبراطورة زوديتو والملك تفرى يخبرهم فيها بسلامة وصوله هو ومرافقيه الى أرض الوطن .

ومن نعمة الله أن الليلة التى قضاها الأنبا يؤنس وصحبه بالسويس كانت ليلة عيد الغطاس المجيد ، فأقام صلوات قداس هذه اليلة المجيدة من الثامنة الى العاشرة مساءً . وازدحمت الكنيسة تماماً إذ قد اشترك المسلمون والأجانب مع القبط فى الاحتفاء بالعيد .

ومما يجب ذكره أن المحافظة أقامت سرادقا فخماً للاحتفاء باستقبال البابا الجليل . وفى منتصف الساعة العاشرة من صباح الأحد ١٩ يناير توافدت الجموع على هذا السرادق . و بعد تقديم الحلوى والسجاير قام فضيلة الشيخ الشرعى فألقى خطبة ضافية نقتطف منها ما يلى : « لقد كان من الحظ المسعود لهذه المدينة أن يكون لها شرف السبق فى استقبال ذلكم الحبر الجليل . والاحتفاء بمقدم ذياكم البطريرك العظيم . ألا وهو الأنبا يؤنس . كما كان من نصيبى المحمود أن أكون وأنا أمثل الشريعة الإسلامية والقضاء الشرعى فى هذا البلد الأمين ــ أول خطيب يحى غبطته و يرحب بمقدمه و ينثر بين يديه زهور التكريم والتبجيل . نعم ياصاحب الغبطة إنا نحييك . وهو الواجب القومى إنا نكرمك . فإنك الخلف الطيب لذلك السلف العظيم ألا وهو القديس المثلث الرحمات الأنبا كيرلس الذى ألف الله على يديه المباركتين عنصرى هذه الأمة حتى محا من سجل تاريخها كلمة مسلم وقبطى ومسجد وكنيسة . وأبدل ذلك بما وحد الصفوف وجمع بين العالِم والقسيس فصار الكل مصرياً والدين لله والوطن للجميع وتألفت ببركته من أول يوم من أيام الجهاد الوطنى تلك الكتيبة القوية التى كان قائدها سعدا وأركان حربها مرقصا ومكرما وو يصا وواصفا وغيرهم من أولئك الذين حملوا راية الاستقلال وتقدموا فى جبهة الدفاع . وأذّنوا فى الناس بأن علينا أن نعيش أحراراً أو نموت كراما . فدخل الناس فى دين الوطنية أفواجا أفواجا . وهم على قلب رجل واحد ولسان واحد حتى أصغت القوة لكلمتهم بعد أن كانت قد صمّت الآذان عنهم . ونظرت فى مطلبهم بعد ما رمته فى سلة المهملات .... ولا غرابة يا أصحاب الغبطة والنيافة فى مودة المسلمين لإخوانهم الأقباط والأقباط لإخوانهم المسلمين فقد جمعهم الله فى صعيد واحد وتحت سماء واحد وما جمعه الله لا يفرقه العباد . والله تعالى يقول فى كتابه الكريم : « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى وذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم

لا يستكبرون » و يقول رسول الله (صلعم) : « من أذى ذميا فى نفسه أو ماله أو عرضه كنت خصما له يوم القيامة .... » (١) .

ولما انتهى القاضى الشرعى من كلمته خطب الدكتور ناشد فهمى وتبعه أحد مدرسى المدرسة القبطية معبر ين عن فرحتهم برؤ ية قداسة البابا ومرافقيه ، ومهنئين بسلامة الوصول .

وقد غادر الأنبا يؤنس هو وصحبه مدينة السو يس فى ظهر ذلك اليوم عينه . وكانت الجماهير من قبط ومسلمين تزحم أرصفة المحطات على طول الطر يق ، لأن القطار رسا فيها جميعا . فوصلوا بسلامة الله الى القاهرة الرابعة والنصف من بعد الظهر . و بالطبع كان المستقبلون بالآلاف ، وفى مقدمتهم فايق بك يكن تشر يفاتى بالقصر الملكى مندو باً عن الملك فؤاد ، ومحمود بك فؤاد موفداً من رئيس الوزراء ، ومعهما رئيس مجلس النواب ومحافظ القاهرة وعدد وفير من رجال الدولة ورجال الكنيسة .

أما الدرب الواسع (٢) فقد اصطف على جانبيه تلاميذ مدرستى الأقباط الكبرى والسلام مع فرقة موسيقى ملجأ الأيتام . بينما اصطف شمامسة جمعيتى نهضة الكنائس وأبناء الكنيسة ومعهم شمامسة الكاتدرائية المرقسية داخل فناء الكنيسة بملابسهم البيضاء ، وفى أيديهم الشموع والدفوف . وما إن وصلت سيارة البابا الجليل الى مدخل الدرب الواسع حتى رنت أجراس الكنيسة ، ثم أخذ الشمامسة يترنمون بالألحان الكنسية أتبعوها بنشيد ألفه وهبى بك الذى كان مديراً للمدارس القبطية (٣) . وقد ظل سيل الوفود والأفراد يتدفق على الدار البابا و ية للتهنئة بسلامة الوصول ، وللتعبير عن فرحتهم ومحبتهم . بينما توافد الوزراء ومندو بو الكنائس المختلفة من مساء الأحد الى مساء السبت ـــ أى خلال الأسبوع كله .

ثم قصد الأنبا يؤنس الى السراى الملكية بالقبة فى الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والأربعين من صباح الأثنين ٢٧ يناير ـــ فى الموعد الذى سبق تحديده . فقابل الملك فؤاد وأبلغه تحيات الامبراطورة زوديتو والملك تفرى وتمنياتها لجلالته ولأهل بيته وللشعب المصرى . ثم وصف له أهم معالم رحلته ومالقيه خلالها من الإكرام ، و بعدها شكره على اهتمامه من البداية بهذه الز يارة لاثيوبيا . فأعلن له الملك فؤاد عن ارتياحه العميق لكل ما سمع وتمنى له المز يد من التوفيق .

---

(١) يوسف جرجس ص ٢٠٢ ـــ ٢٠٤ ، والذميون أو أهل الذمة هم المسيحيون .

(٢) هو الآن « شارع الكنيسة المرقسية » إذ تقوم فيه الكاتدرائية المشيد الى جانبها مقر البابا المرقسى ، وقد ظلت المركز للباباوات من عهد الأنبا مرقس الثامن (البابا المئة والثامن سنة ١٧٩٧ ـ سنة ١٨١٠) الى عهد أنبا كيرلس السادس (البابا الـ ١١٦ ـــ سنة ١٩٥٩ ـــ ١٩٧١) ، ثم نقله البابا شنودة الثالث ـــ أطال الله حياته ـــ الى الأنبا رو يس بالعباسية .

(٣) راجع ما جاء عنه فى حـ ٤ من هذا الكتاب ص ٣٨٧ .

ولما انتهى المهنئون من التعبير عن مشاعرهم نشر قداسة البابا شكره إياهم جميعا على صفحات الجرائد كذلك أرسل بطاقات شخصية للوزراء . وهكذا انتهت هذه الرحلة الراعوية بسلام وارتاح لها الجميع .

٢٥- على أنه وسط هذه الأحداث المفرحة رنت نغمة من النشاز ــ ذلك أنه كان قد حدث أن استولى المجلس الملى على أوقاف الكنائس بالقاهرة وضواحيها ، وعلى أوقاف الأديرة الخمسة للراهبات ، كما وضع اليد على أوقاف المدارس وارداتها . ثم وحّد الوارد من كل هذه المنشآت على اعتبار أنه سيصرف مرتبات العاملين فى المدارس و يسد احتياجات الراهبات . إلا أنه من بوؤنة سنة ١٦٤٨ (يونيو سنة ١٩٣٢) ظل شهوراً طويلة لا يصرف مرتباً لأى شخص ولا يدفع لأى دير شيئا . وكلما طالبوه بحقوقهم أجاب بأنه لا يوجد مال لديه ! و بالطبع لا يستطيع المدرسون والمدرسات (على الأقل) أن يعيشوا من غير مرتب حتى لو افترضنا جدلاً بأنه فى مقدور الكهنة والراهبات أن يصبروا ! ونتيجة لهذه الإجابة المقلقة التى بدا انها لن تنتهى رفع الكهنة عريضة الى رئيس مجلس الوزراء راجين منه أن يستصدر قراراً بفصل أوقاف الكنائس وأديرة الراهبات والمدارس عن المجلس الملى العام وإعادتها الى البطريركية . ومع أن القرار المطلوب لم يصدر إلا أن المظلومين نالوا حقوقهم بأن صرفت لهم مرتباتهم (١) . وذلك لأن مجلس الوزراء قرر منح البطريركية القبطية ثلاثة آلاف جنيها مصرياً لمعاونتها على الخروج من ضائقتها المالية . ثم منحها بعد عدة شهور ألفى جنية أخرى . وهكذا أراحت الحكومة الكهنة والمدرسين والمدرسات والراهبات الذين عاشوا فى ضيق بضعة شهور . فحقا إن الله لا ينسى تعب المحبة .

٢٦ ــ ومما يجدر ذكره أن تصاعد الوعى القومى لازمة بالضروره تزايد الوعى بالتراث القومى . وقد نتج عن هذا التصاعد أن دعا مريت غالى (حفيد لبطرس باشا غالى) بعض الأراخنة وتشاوروا معاً فى وجوب توجيه الرأى العام الى التراث القبطى العريق . فأدى تشاورهم الى عقد جمعية عمومية يوم ٢٤ أبريل سنة ١٩٣٤ أعلنوا فيها تأسيس « جمعية محبى الفن القبطى » ، واختاروا صاحب الدعوة رئيساً للجمعية الناشئة . وللوصول الى هدفهم أصدروا مجلة سنوية ظهر أول عدد منها سنة ١٩٣٥ ، ونظموا رحلات للأماكن الأثرية . كذلك قام بعض العلماء من مشتركيهم بحفريات فى بعض مناطق الصعيد لم يكن المنقبون قد عملوا فيها . ولقد كانت المقالات التى تنشرها المجلة تنشر بلغات كاتبيها ، فتضمنت المجلة أبحاثا بالفرنسية والانجليزية والألمانية الى جانب القبطية والعربية . وكان يأتى فى آخر البحث ملخص له بالعربية . ولقد كان المقال الافتتاحى للعدد الأول على شكل « مقدمة » لتوضيح الغرض الأساسى من إنشاء الجمعية ومن إصدار المجلة ، وكان بالفرنسية ليتمكن الأجانب المهتمون بالدراسات القبطية من مطالعته . ونقتبس هنا منه ما يأتى : « ... إن التصوف الفكرى لمصر

(١) هذه المعاملة هى إحدى الأدلة على أسباب تشبث البابا الوقور الأنبا كيرلس الخامس بوجوب إستمرار الأوقاف تحت إدارة أصحابها ، وهم البطريركية ورؤساء الأديرة إذ كان يتميز بالشفافية الروحية .

المسيحية له روحانيوه والمتبحرون فيه . ففى مصر نشأ آباء الصحراء ومؤسسو الرهبنة ، وخلفوا تلاميذهم ومر يديهم ومؤلفاتهم ، والفنون القبطية لها روعتها ومحبوها » ... ومن الخطأ أن يزعم البعض أن بضعة القرون التى تؤلف العصر القبطى هى حقبة منفصلة ، لأن مصر بعراقتها وثبوت تقاليدها تشمل كل أحقاب تاريخها الطويل الغائر فى القدم الممتد الى اليوم ... وهكذا نجد من حقبة الى أخرى بصمات الشخصية المصرية ... إذن فليس من المنطق فى شىء لأى محب للتراث المصرى أن يظل على الحياد فيما يتعلق بالحياة العنيفة الفوارة ـ روحيا وفنيا ـ التى اتسمت بها الحقبة القبطية . ولهذا فجمعيتنا توجه نداءها الى كل مصرى صميم متشوق الى الارتشاف من المنهل العذب الذى فجره له آباؤه . كما توجه نداءها الى كل إنسان مرهف الإحساس بالإنتاجات الإنسانية العليا ... ونحن نرجو أن نقدم الى هذا وذاك كل ما يمكننا تقديمه من معرفة خاصة بالحقبة القبطية ليجد أن مصر باندفاعتها الروحية والفكرية لم تسطع على الشرق الأوسط فقط بل امتد نورها أيضا ليشمل حوض البحر الأبيض المتوسط ، ومنه الى انجلترا وايرلندا ، ثم استدار لينير سو يسرا وما حولها .... (١)

ثم رأى مريت غالى والعاملون معه أنه من الأوفق تغيير اسم الجمعية الى « جمعية الآثار القبطية » ، وذلك ابتداءً من سنة ١٩٣٨ . والسبب لهذا التغيير كثرة العلماء الذين ساهموا بأبحاثهم أو بحفرياتهم مما وسع دائرة العمل ورفعه من مجرد « هواية » أو « محبة للفن » الى دراسة علمية مدعمة بالأسانيد فى كل مجالات العلوم والفنون . ومن نعمة الله أن الجمعية مازالت باقية تباشر نشاطها قدر إمكانياتها . وهى مازالت أيضا تحت رياسة مؤسسها مريت غالى . ومما يجدر ذكره بالاعتزاز أن المجلة التى تصدرها موجودة فى كل المكتبات العالمية الكبرى كمكتبة المتحف البريطانى والأهلية بباريس والعامة بنيو يورك . و يصحب المجلة عدد من الكتب نشرتها الجمعية على نفقتها ، وأشهر هذه الكتب الأجزاء الأخيرة من « تاريخ البطاركة » ...

٢٧ ـ ولما كانت اثيوبيا هى الدولة المستقلة الوحيدة بين الدول داخل افريقيا ، فإن هذا الاستقلال لم يرق فى عيون الأوربيين الطامعين . وتلفتت ايطاليا فرأت أن لانجلترا وفرنسا بلاداً واسعة تحت سيطرتها . وبما أنها أوربية مثلهما ـ فلماذا لا يكون لها هى أيضا مستعمرات تحكمها وتمتلىء غروراً بسيطرتها عليها ؟ ! وحين تزاحمت هذه الخيالات فى عقول الحكام الايطاليين قرروا الهجوم على اثيوبيا ، خصوصا وأنهم كانوا قد حاولوا قبل ذلك الاستيلاء على هذا البلد الامين ففشلوا (فى المعركة المعروفة بمعركة عدوى) . وعلى ذلك أرسلوا جيوشهم لمحاربة الاثيوبيين فى نوفمبر سنة ١٩٣٥ .

وقامت معارك ضارية بين طرفين غير متكافئين ، فالأحباش مازالوا يستعملون الأسلحة

---

(١) صدر هذا العدد فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٥ .

القديمة التى اعتادوها منذ أجيال ، والطليان مستعدون بأحدث الأسلحة . ورغم هذا التفاوت الشاسع فقد استمرت المعارك سبعة شهور قبل أن يتمكن الطليان من الاثيوبيين ! ولو كان الضمير الإنسانى صاحيا لسارع البعض على الأقل الى مد الشعب المدافع عن أرضه بالأسلحة التى تمكنه من أن يذود عن حريته . ولكن المثل الانجليز يقول : « من كان عائشاً فى بيت من الزجاج لا يستطيع أن يرمى بحجارة على غيره » . فلو فرضنا أن أحداً من تلك الشعوب الغربية رفع صوته احتجاجاً لقيل له بأن يلتفت الى ما يعمله قومه فى البلاد الواقعة تحت سيطرتهم . على أن الدول التى كانت موصوفة بأنها « عظمى » (وقد دارت عليها الدوائر الآن) سلمت بالسيطرة الايطالية على اثيوبيا رغم مبادىء « عصبة الأمم » (١) .

٢٨ — وقد وجد الامبراطور هيلاسلاسى (الملك تفرى سابقا) أنه يتحتم عليه مغادرة بلاده كى لا يقع فى أسر أعدائه . فقابل الأنبا كيرلس وأخبره بهذا القرار ، وائتمنه على الشعب ثم هرب هو وعائلته وكل من استطاع الخروج معه من الأمراء والرؤوس . وقد عانى الشعب الاثيوبى ألوانا من التعذيب والإرهاب مدى السنوات الست التى حكمه فيها الطليان . وقد أبدى الأنبا يؤنس اهتماماً كبيراً بالشعب الكسير : فوجه نداء الى القبط ليجمعوا كل ما يمكنهم من مال وطعام وملابس وأدوية لإرسالها عن طريق الصليب الأحمر اليه و بالفعل سارع أبناؤه الى تلبية هذا النداء . كذلك لجأ بعض الأمراء الى مصر فأنزلهم البابا الجليل فى بيوت على حساب البطريركية ، وأنفق على تعليم من كان منهم لا يزال فى سن التلمذة . وهكذا ساندهم فى الرخاء وفى البؤس . أما الامبراطور وزوجته فقد لجآ الى انجلترا حيث استثار الرأى العام ضد فظائع الطليان . ومن نعمة الله أنه نجح الى حد أن عدداً من الدول الأوربية أعطته السلاح الذى عاود به الحرب وانتصر وأجلى الطليان عن وطنه . و يسعدنى أن أقول إننى كنت ضمن من جمع التبرعات وقدمها الى قداسة البابا لنجدة الشعب الشقيق .

٢٩ — ولقد كان للقبط — منذ بداية المسيحية — نشاط روحى إجتماعى : يتضاعف أحيانا و يتناقص أخرى . كذلك كانت تختلف أساليبه . ففى العصور الأولى درجت العائلات القادرة على تبنى الأيتام : فتأخذ العائلة طفلا (أو أكثر) تضمه الى أولادها وتعامله بالضبط كما لو كان واحداً من أولادها بالفعل . ومن أعظم الأمثلة الأنبا يوساب الأول (٢) الذى رباه أبوان بالتبنى . أما فى بداية القرن العشرين فقد أنشئت « الملاجىء » التابعة لجمعيات خيرية يرعى

---

(١) كان هذا الأسم هو الأول للمنظمة الدولية المعروفة الآن باسم الأمم المتحدة ، راجع دائرة المعارف البريطانية الطبعة ال ١٥ حـ ٦ ص ١٠١١ حيث ورد ما ترجمته : « ... على الرغم من مبادئ عصبة الأمم فإنه حتى وزير خارجية انجلترا (سير صموئيل هور) ووزير خارجية فرنسا (بيير لافال) استسلما للواقع وهو إقامة حماية ايطالية على اثيوبيا ... » ، ايضاح حـ ١٢ ص ٧٥١ حيث قيل بأن أوروبا اكتفت بإبداء استشفاعها شفويا !

(٢) هو البابا المرقسى الثانى والخمسون (سنة ٨٢٣ — سنة ٨٤١) ، راجع سيرته فى حـ ٢ من هذا الكتاب ص ٤٢٣ — ٤٣٤ .

أعضاؤها الأيتام الذين يعيشون فى هذه المنشآت . ولقد تزايد عدد الجمعيات التى كانت تستهدف خدمة الفقراء والمعوزين وتعليم أولادهم دينيا وعلميا . ومن أبرز هذه الجمعيات « جمعية الايمان » التى أنشأها القمص جرجس بطرس والتى جمعت بين نشر العلم ونشر الوعى الدينى ، كما كان لها مستشفى ومستوصف .

إلا أن بعض الجمعيات ركزت نشاطها على الناحية الفكرية الروحية ، واحداها هى « جمعية أصدقاء الكتاب المقدس الأرثوذكسية » . ولقد احتفلت هذه الجمعية بيوبيلها الفضى فى فبراير سنة ١٩٣٦ ، ثم خصصت عدد مجلتها لذلك الشهر لتسجيل هذا الاحتفال على صفحاتها . وكان الاحتفال على جزئين : أولهما لتقديم كلمة الجمعية عن أعمالها ألقاها سكرتيرها العام . ثم تكلم طالب من كلية العلوم كان واحداً ممن استمتعوا بالإقامة فى المنازل التى كانت الجمعية قد أنشأتها للطلبة الآتين من الأقاليم . وتبعه رئيس فرع الجمعية بالمنصورة . وبما أن الجمعية كانت لها فروع فى عدد من الأقاليم فقد كان لها سكرتير متجول ليتفقد سير العمل فيها . فقام بدوره وقدم تقيراً عنها .

وتلى هؤلاء المتحدثين باسم الجمعية حبيب المصرى الذى ألقى كلمة جاء فيها : « بعد ذلك الاشتراك الجميل من جانب الجنس الذى منه أمهاتنا وزوجاتنا وأخواتنا و بناتنا ــ أنشدتنا ألحانا عذبة ، ذلك الاشتراك الذى يمثل دوما فى نظرنا الرحمة والعدل والتشجيع .... أقول كلمة موجزة أوجهها الى الشباب .... من حسن حظ العالم ، أو من مقتضيات التطور الاجتماعى ، أننا نعيش الآن فى نظام من الحرية .... وفى ظل الحرية وحدها تنمو الشخصية كاملة .... والحرية خير ولكنها خير مقترن بشر. هى كالحياة تماما . ولكن شر الحرية لا يجوز أن يحملنا على أن نقضى عليها لكى نتخلص من هذا الشر. بل يجب علينا أن نعالج شر الحرية كما نعالج شر الحياة . فيجب أن ندرك أن الحياة خير و بركة ، وأن الواجب علينا أن ننقيها ، وأن نسموبها ، وأن نجعلها جديرة بأن تعاش حقا ... فالعلاج الصحيح لشر الحرية هو رفع الروح الأدبية فى الجماعات لايجاد التوازن بين الحرية والشعور بالمسئولية ... إن الشعور بالمسئولية القائم على الخوف من القانون ليس كافيا ، وانما يجب أن يكون الضمير هو قانون الإنسان المهذب يحتكم اليه قبل أن يحتكم للقضاء ... وهذه الجمعية ــ وغيرها (١) ، التى تعمل على نشر روح الثقافة وتقوية روح البر والتضامن الإنسانى ، وهذه الجهود التى تبذلها ، إنما هى مظهر من مظاهر علاج شرور الحرية برفع المستوى الأدبى فى الجماعات . وهى تتكون من رجال وفتيان قد يظنون أنهم يعملون عملا صغيراً لأنهم ليسوا من ذوى الأسماء الضخمة ، ولأن الأعمال التى يقومون بها ليست من الأعمال البارزة التى تخلب لب الجماهير. ولكن الواقع أنهم يجاهدون جهاداً عظيماً فى سبيل ايجاد التوازن

(١) للوقوف على عدد الجمعيات القبطية فى القاهرة والأقاليم راجع : « الدليل العام للأقباط المسيحيين فى الشرق » ، لواضعه الصحفى عادل سامى ــ الطبعة الأولى مصر سنة ١٩٥٠ ــ ص ١١٧ ــ ١٣٦ ، وعددها اثنتان وتسعون جمعية بالقاهرة ، وخمس وثلاثون بالاسكندرية ، ومائه وسبع وسبعون بالأقاليم (حينذاك) .

الأدبى فى مصر . فإن لم ينقذوا إلا فرداً واحداً - وهم حتما ينقذون الكثيرين ويحولونهم الى طريق التفكير واليقظة - فإنهم يكونون قد قاموا حقا برسالتهم .

أما الجزء الثانى من الاحتفال فقد كان حفلة سمر أنشدت فى بدايتها تلميذات كلية البنات بالعباسية ترنيمتين كما أنشدن لحناً باللغة القبطية . ثم أنشد بعض شبان الجمعية لحن « ياملك السلام » . وقد تخللت هذه الترانيم وهذه الألحان كلمات تتضمن التحية لمناسبة اليوبيل الفضى . وآخر هذه الكلمات ألقاها حبيب المصرى أيضا ، قال فيها : « أريد أن أرفع هذه الكأس الممتلئة ماء لكى أشرب نخب أعضاء الجمعية ومؤسسيها : الأحياء منهم . وأنا لا أستطيع وأنتم تقيمون عيدكم الفضى - أن أنسى أصحاب الفكرة الذين سبقونا الى عالم الخلود . ولا يسعنى إلا أن أبعث إليهم بالتحية . فإن الإنسانية مكونة من الموتى والأحياء على السواء - ولعل جهاد الموتى أكبر أثراً من جهاد الأحياء . ولا شك عندى فى وجود الصلة بين الأحياء وبين إخوانهم وأصدقائهم الذين جاهدوا الى جانبهم ثم انتهت حياتهم على الأرض . ومادام هناك شىء فى الحياة غير المادة سيبقى بعد الممات ، فإن هذه البقية الباقية ترفرف الآن على هذا المكان ... وأنا أحب اسم جمعيتكم . أحب هذه الصداقة التى توجدونها بينكم وبين الكتاب . فإن الصداقة القائمة بين انسان وكتاب أو مؤلف هذا الكتاب لهى أعمق الصداقات (١) . والكاتب الذى تقرأ له وتستريح الى أسلوبه وآرائه تتولد بينك وبينه صداقة وبخاصة لأنك لا ترى منه إلا النواحى العالية الجذابة فى شخصيته . فينشأ بينكما ذلك الاتصال العميق القوى الكائن بين فكر وفكر ... فإن كنتم أصدقاء الكتاب فأنتم أصدقاء الفكرة التى يعبر عنها الكتاب . وأى كتاب أسمى من ذلك الكتاب المقدس الذى استهدف أن يوجد للبشرية نجما تهتدى به ؟ والمبادىء والأفكار التى تضمنها هى المبادىء والأفكار التى تتطلع إليها البشرية فى تطلعها نحو الكمال ، وتتلمسها لكى تضىء لها طريقها ... وأنا أحمل شباب اليوم وأطفاله أن يقولوا لمن سيكملون الجهاد من بعدنا : إن إخوانا وآباء وأصدقاء لهم قد جاهدوا وعملوا لكى تكون شبيبة اليوم خيراً من شبيبة الأمس . وشبيبة الغد خيراً من شبيبة اليوم . بلغوهم تحية إخوتهم الكبار وقولوا لهم إننا سنحضر معهم بالروح ، ونشترك فى أفراحهم - وأتراحهم - وإن أعجزنا الاشتراك معهم بالجسد (٢) .

أما جمعية التوفيق فقد دأبت على الاحتفال بعيد النيروز احتفالاً وطنيا عاما . ففى سنة ١٩٣٥ كانت حفلتها تحت رعاية البابا يؤنس ورياسة شرف أحمد نجيب الهلالى باشا (وزير

---

(١) من نعمة الآب السماوى على أن هيأ لى فرصة لمعرفة مدى هذه الصداقة . فقد حدث أننى حضرت القداس الالهى صباح الأحد ١٩ يوليو سنة ١٩٨١ فى كنيسة مارمرقس بجرزى سيتى (بولاية نيوجرزى) . ولما انتهت الصلوات المقدسة ، وكنت فى طريقى الى الخروج إذا بشابة أمريكية لا أعرفها تطوقنى بذراعيها وتقول (رداً على دهشتى) : أنا أعرفك . نعم . أنا أعرفك . فقد قرأت كتابك .

(٢) راجع « رسالة جمعية أصدقاء الكتاب المقدس الأرثوذكسية » - العدد الثانى فبراير سنة ١٩٥٠ - ص ١٩ ، ٢١ ، ٢٣-٢٧ .

التربية والتعليم) ، وبحضور رجال القصر الملكي وكبار الزعماء الشعبيين . وتحدث عن الجمعية حبيب المصرى الذى ركز على الكفاح الروحي والكفاح العقلي والكفاح السياسي : أي أنه أوضح كفاح المصريين المستمر في الميادين وفي تآلف وتعاون .

كذلك كانت حفلة النيروز لسنة ١٩٣٧ تحت رعاية الأنبا يؤنس ، أما رياسة الشرف فقد أسندت الى عبد السلام فهمي جمعة رئيس مجلس النواب . وحين وقف حبيب المصرى ليلقى كلمة الجمعية استعرض كل الأدوار التى مر فيها الكفاح : من المظاهرات الشعبية والمصادمات ضد جيش الاحتلال والمفاوضات الرسمية الى إقامة حكومة دستورية .

ثم احتفلت الجمعية في يونيو سنة ١٩٣٨ بمرور سبع وأربعين سنة على تأسيسها . ولكنها إكتفت في هذه الذكرى بمقال نشرته في عدد مجلتها الصادر في ٨ بوؤنة سنة ١٦٥٤ ش (١٥/٦/١٩٣٨) . وكان أول عدد للمجلة فصدرته الجمعية بالمقال المذكور ضمنته تلخيصا لأعمالها منذ تأسيسها . و يسعدنى أن أقول إن أحد المؤسسين كان مينا منقريوس — وهو جدى لأمى .

أما فى سنة ١٩٤٢ فلم يكتف كبار المصريين بحضور حفلة النيروز ، بل لقد قررت الحكومة إذاعة الخطاب الذى ألقاه حبيب المصرى أيضا فى تلك المناسبة . ولقد ختمه بقوله : « ... ففى هذا المكان الذى وقف فيه سعد العظيم منذ إحدى وعشرين سنة كاملة فأعلن مبدأ التضامن الوطنى و بذلك جعله مكانا تاريخيا مقدساً ، فى هذا المكان الذى يشرفه بحضوره اليوم خليفة سعد وأقطاب الأمة المصرية ، لنقف لحظة كى نجدد عهودنا القديمة وذكرياتنا الماضية ، ونستمد الأمل والقوة والعبرة من تلك الذكريات . لنحى ساعة من ساعات الثورة المصرية الحكيمة الجامحة التى تعانق فيها الصليب والهلال . لنذكر أن مصر الخالدة هى فوقنا جميعاً وأن مصلحتها فوق كل مصلحة (١) .

كذلك أبدت جمعية السلام نشاطاً فى مجالات مختلفة : فقد كان لها كنيسة هى كنيسة مارجرجس بالجيوشى (بشبرا) ، كما كان لها ملجأ لليتيمات — ولو أنه فى بيت بالإيجار . فرأى رئيسها — متى ساو يرس — أن يقتحم ميداناً جديداً كتبت عنه جريدة « الوطنية » مايلى : (٢)

---

(١) قصة حبيب المصرى ص ١٦٧ — ١٧٠ .

(٢) فى عددها الصادر يوم الخميس ٥ يناير سنة ١٩٣٩ .

مدام حبيب بك المصرى تعمل بنشاط فى ميدان الرحمة والإحسان

تلقيت نشرة مطبوعة من جمعية السلام القبطية للسيدات بالقاهرة تحت عنوان « أسبوع اليتيمة » وجهتها الجمعية بتوقيع رئيستها الفخرية الى حضرات السيدات فى القاهرة وضواحيها رأيت أن أنشرها بحروفها بنصها الآتى قالت : « حضرة الفاضلة المحترمة — بعد تقديم عاطر التحيات ، ووافر الاحترامات — إن من بواعث اغتباط جمعية السلام القبطية للسيدات ، أن تتقدم اليك بأجمل آيات التهانى والتبريك بقرب حلول عيد ميلاد السيد المسيح له المجد . وتتشرف بأن تعرض على كرم مسامعك فكرتها الإنسانية التى ترجو أن تجد من شريف معاونتك ، ما يثير إعجابها بعواطفك الجميلة وما يسجل لك فى ملكوت السموات أجمل الجزاء .

وتلك الفكرة الإنسانية تنطوى على أرحم الدعوات وأروع الرسالات وهى أننا استلهمنا ما نشعر به من حسن ميولك نحو البر بالفقراء والعطف على المحتاجين فأوحت الينا بأن نرسل اليك بهذا الصندوق الذى نأمل أن يتجمع فيه ما يفيض عن حاجياتك وما تضحين به فى سبيل الخير من ضرور ياتك مهما بلغت قيمته فى مدة أسبوع واحد أسميناه « أسبوع اليتيمة » ليخصص إيراده جميعاً لمعاونة الفتيات اليتيمات الائى يضمهن ملجأ السلام القبطى والترفيه عنهن والعمل على إسعادهن كى يشتركن معنا فى مباهج العيد ومسراته الفياضة . لتذكرى أيتها السيدة الكريمة أن أولئك اليتيمات هن من أسر كانت عريقة المحتد طيبة الأرومة وفى بحبوحة العيش ثم أخنى عليها الدهر وسلبها عزها التليد . فكل مساعدة تقدم الى فتيات ملجأ السلام لليتيمات ، يتضاعف أجرها فى السماء ، و يردها الله الى اليد التى امتدت بها اضعافاً مضاعفة — ووقت أن يشعر هؤلاء الفتيات اليتميات بحرارة هذا العطف الصادق ، الذى تجلى فى معاونتك لهن وإسعادك لنفوسهن — تشعر قلوبنا بالفرح العميق يتماوج فى حنايا الصدور دلالة رضى الضمير وارتياح الفؤاد . ونكون بذلك العمل النبيل قد تضافرت جهودنا فى استجلاب رضى صاحب العيد الذى عملنا بوصاياه الثمينة فى مؤاساة المساكين واسعاد البائسين ،

رئيسة الجمعية الفخرية
مدام حبيب بك حنين المصرى

وقرأت فى أمهات الصحف اليومية البيان الآتى مشفوعا بصورة السيدات المجتمعات — تحت عنوان « بناء ملجأ ليتيمات جمعية السلام بشبرا » فرأيت نقله عنها بدون الصورة لأعلق عليه بما يأتى :

دعت حضرة السيدة الفاضلة مدام صاحب العزة حبيب حنين المصرى بك الرئيسة الفخرية لجمعية السلام القبطية للسيدات بشبرا طائفة من كرائم السيدات والآنسات الى حفلة شاى أقامتها بدار الجمعية فى الساعة الخامسة بعد ظهر أمس للنظر فى مشروع بناء دار فى شبرا لملجأ السلام لليتيمات .

وقد لبت الدعوة نخبة من السيدات والآنسات و بعد تناول الشاى . نهضت حضرة الداعية فتكلمت عن الغرض من الاجتماع وتناولت هذا المشروع الخيرى الذى يرمى الى البر باليتيمات بالافاضة والتفضيل .

و بعد تبادل الرأى تقرر تأليف لجنة برياسة صاحبة الدعوة وعضوية ثمانى عشرة من السيدات والآنسات اللواتى لبين الدعوة. و بنعمة الله نجحن فى الوصول الى هدفهن وأصبح للجمعية بيت تعيش فيه اليتيمات .

وفى سنة ١٩٣٨ أيضا ولكن فى شهر نوفمبر أصدر حبيب جرجس كتابا بعنوان « المدرسة الاكليريكية القبطية الأرثوذكسية بين الماضى والحاضر » بمناسبة مرور خمس وأربعين سنة على إنشائها . وهنا نكرر حقيقة طالما رددناها لأنها تضيع هذه الأيام وسط التحزبات الموجعة . وهذه الحقيقة علّمنا إياها رب المجد بقوله إن واحداً يزرع وآخر يحصد إذ طالب تلاميذه أن يرفعوا أعينهم و ينظروا الحقول (١) . فهذه المنشآت وغيرها بدأت عملها فى عهد البابا الوقور الأنبا كيرلس الخامس ، فاستمرت فى جهادها وأتت بثلاثين وستين ومائة من الثمار. لهذا فحينما نتأمل نهضتنا الحديثة علينا أن نذكر أن « آخرين تعبوا ونحن دخلنا على تعبهم » . ومن هذا المنطلق يجب أن نذكر أيضا أننا مادمنا نجنى ما زرعه سابقونا وجب أن نضيف تعبنا لكى يستمر الإثمار بل لكى يتزايد كذلك .

وبمناسبة هذه الذكرى ، واستمراراً لجهاد الأنبا كيرلس الخامس أصدر الأنبا يؤنس الـ ١٩ منشوراً باباو يا هذا نصه :

خريجو المدرسة الاكليريكية والرتب الكهنوتية

تلقينا من الاستاذ حبيب جرجس ناظر المدرسة الإكليريكية صورة المنشور البطريركى الصادر من غبطة البطريرك المعظم إلى أصحاب النيافة المطارنة ، والخاص بقصر رسامة القسوس على خريجى المدرسة الإكليريكية .

---

(١) يوحنا ٤ : ٣٥-٣٨ .

ونحن ننشره بمناسبة الاحتفال بمرور ٤٥ عاماً على تأسيس المدرسة الإكليريكية .

حضرة صاحب النيافة أخينا الحبيب الروحى الأنبا ... مطران كرسى ... دامت قداسته ....

بعد القبلة الرسولية والمصافحة الأخوية ، نرجو بنعمة الله أن تكونوا بأتم صحة وأكمل رفاهية .

نخبر أخوتكم أن حضرات أولادنا المباركين أعضاء المجلس الملى العام ، طلبوا منا أن نوجه نظر حضرات أصحاب النيافة إخوتنا الأحباء المطارنة ، إلى وجوب قصر رسامة القسوس فى أبروشياتهم على خريجى المدرسة الإكليريكية من الآن . وعدم قبول تزكية إن لم تكن مشفوعة بشهادة المدرسة النهائية .

ولكى يكون المرشحون فى المستقبل معروفين للابروشية ، التى يرسمون قسوساً فيها ، ولأصحاب النيافة المطارنة ثقة فيهم ، رأيى أن يرشح كل مطران فى أول كل سنة دراسية عدداً من أبنائه الشبان الذين تلوح عليهم دلائل النعمة ، و يتوسم فيهم الصلاح واللياقة للرتبة الكهنوتية المقدسة ، وتتوافر فيهم شروط القبول بالمدرسة ، و يرسلهم إلى مدرستنا الاكليريكية ، لكى يقضوا مدة الدراسة المقررة فيها ، و ينالوا شهادتها النهائية ، ثم يعودوا الى أبروشياتهم لترشيحهم للرتب التى تخلو بها .

وقد وافق هذا الرأى استحسانا ، إذا بواسطته يزداد عدد الكهنة المتخصصين لرتبتهم السامية ، شيئا فشيئا . و بذلك يرتقى مستوى الاكليروس العالمانى فى الكنيسة علميا . ولا شك عندنا فى أن نيافتكم بصفتكم أحد أحبار الكنيسة يهمكم تقدمها ونجاحها وكل متمناكم إسناد الخدمة الكهنوتية الى من يستحقها . فتساعدون على تنفيذ هذا الرأى الصالح الذى يراد به تمجيد اسم الله القدوس فى كنيسته وخلاص النفوس .

نعمة الرب تشمل جيعنا ولعظمته تعالى الشكر دائماً ٢٩ برمهات سنة ١٦٥٤ ١٠ أبريل سنة ١٩٣٨ .

يؤنس بابا و بطريرك الكرازة المرقسية

قرار المجمع الاكليريكى المقدس

ولما اجتمع المجمع المقدس للكنيسة القبطية الارثوذكسية فى الدار البطريركية بحضور الآباء المطارنة ورؤساء الأديرة والمجلس الاكليريكى ، فى يوم الاثنين ٩ بشنس سنة ١٦٥٤

الموافق ١٧ مايوسنة ١٩٣٨ و يوم الثلاثاء ١٠ بشنس سنة ١٦٥٤ الموافق ١٨ مايوسنة ١٩٣٨ برئاسة حضرة صاحب الغبطة الأنبا يؤانس بابا و بطريرك الكرازة المرقسية . أصدر المجمع القرار الآتى ضمن قراراته ،

« وجوب تنفيذ المنشور البطريركي الصادر فى ٢٩ برمهات سنة ١٦٥٤ الموافق ١٧ ابريل سنة ١٩٣٨ والقاضي بعدم جواز اختيار قسوس الكنائس إلا من طلبة المدرسة الاكليريكية الحاصلين على دبلومها النهائي

منشور بطريركى

يوأنس التاسع عشر ، بنعمة الله ، بابا و بطريرك الاسكندرية ، وسائر الكرازة المرقسية .

القبلة الروحية والمصافحة الأخوية ، لحضرات إخوتنا الأحباء المطارنة والأساقفة . والبركة الرسولية والنعمة والدعوات الخيرية ، الى أبنائنا المباركين ، الكهنة ورؤساء الجمعيات ، ونظار المدارس القبطية .

وبعد : تعلمون أن من أقدس واجباتنا الراعوية ، السهر على تربية أبنائنا التربية الروحية ، ولا يخفى أن الأولاد الأحداث هم أعز ما لدينا ، لأنهم الأزهار اليانعة والثمار الزاهرة فى حقل الكنيسة ، ومنهم ينشأ الجيل القادم . ومن الواجب بذل الجهود فى سبيل العناية بهم والمحافظة على أرواحهم .

ولما كانت المدرسة المبنية على الأسس الصحيحة ، هى المكان المقدس الذى يبنى عليه أساس الإصلاح الحقيقى ، وأن الغرض من المدارس ليس التعليم ، ولا إزالة الأمية من الأمة فقط ، بل الغرض منها أن تكون معاهد تبعث الحياة فى نفوس النشء ، وواسطة لتقويم نفوسهم ، وتكوين اخلاقهم ، والأخذ بيدهم للسير فى مناهج الحياة الحقيقية السعيدة ، بالحصول على خير ما يمكن الحصول عليه من وسائل الكمال المسيحى .

ولقد أثلج صدرنا وزاد فى اغتباطنا ، ما لمسناه من اهتمام إخوتنا المطارنة والأساقفة ، والغيرة التى دبت فى نفوس كثيرين من أبناء و بنات شعبنا المبارك ، وسعيهم المتواصل فى تأسيس المدارس الأولية . لا سيا فى القرى والبلاد المحرومة من نعمة التعليم ، مما يذكرنا بقول القديس افرام « من يعلم أميا كمن يفتح عين أعمى » وقول من قال « من يفتح مدرسة يغلق سجناً » .

ولما كان التعليم الدينى هو الأساس القويم ومنبع الكمالات ، وعليه تبنى أسس التربية الصحيحة لذلك يسرنا أن نرسل لكم ..... عدد نسخة ، من البرنامج الذى أقره مجلسنا الاكليريكى ولجنة مراقبة طبع ونشر الكتب الدينية تحت رياستنا ، ونسخة من كتاب المبادىء المسيحية الأرثوذكسية للمدارس الأولية ، الذى كلف بوضعه ابننا المبارك الأستاذ حبيب جرجس

مدير مدرستنا الاكليريكية ، المتضمن المواد التى يدرسها التلاميذ من المحفوظات من نصوص الكتاب المقدس ، والمزامير ، والعقيدة الأرثوذكسية ، والألحان والترانيم الكنسية ، واللغة القبطية . (١)

ولنا ملء الثقة بأن تشاركونا فى سرورنا ، ومباركتنا لهذا العمل ، وتبذلون أقصى الجهد فى إنشاء المدارس الأولية .

وبما أنه يهمنا جداً أن يكون للتعليم الدينى ثمرته المطلوبة ، نأمل أن تلاحظوه بعنايتكم ، وتعهدوا الى من تولوه ثقتكم ، للتفتيش عليه فى جميع مدارسنا الأولية والابتدائية والثانوية حسب البرامج والكتب السابق اعتمادها منا لينشأ أبناؤنا نشأة صالحة ، وليكونوا رجالا كاملين نافعين لكنيستهم ، وصالحين لخدمة وطنهم .

وليبارك إلهنا الصالح كل عمل ، لمجد اسمه القدوس ، ولعظمته الشكر دائماً ،

ولقد بدت مراحم الله فى أن عدداً من الأراخنة تشارك فى الاحتفاء بمرور الخمس والأربعين سنة على إنشاء الاكليريكية بأن ساهموا بأقلامهم فتضمن كتاب حبيب جرجس

ولقد بدت مراحم الله فى أن عدداً من الأراخنة تشارك فى الاحتفاء بمرور الخمس والأربعين سنة على إنشاء الاكليريكية بأن ساهموا بأقلامهم فتضمن كتاب حبيب جرجس المشار اليه مجموعة من الكلمات عبر بها أصحابها عن فرحتهم بهذه الذكرى . ومن المساهمين فى هذا المجال حبيب المصرى الذى قال : « إذا كان للأقباط أى رجاء فى إصلاح شئونهم الاجتماعية الكنسيه ، وفى أن يستردوا بعض ذلك المجد المفقود الذى كلل هاماتهم قروناً عدة ، وفتح للعالم المسيحى فى العصور القديمة آفاقاً واسعة فى السمو ، وأضاء الشرق والغرب بنور ساطع ، فإن ذلك لن يكون إلا عن طريق تثقيف كهنتهم ثقافة عالية تتفق ومطالب الجيل الحديث ، وتماشى روح الحضارة فى القرن العشرين ، وتسد مطامع الشباب وتطلعاتهم نحو المثل الأسمى . فإذا أتيح لنا أن ننهض بالمدرسة الاكليريكية حتى نجعل منها كلية لاهوتية عظيمة تخرج لنا من نحن فى حاجة إليهم من الرعاة العلماء الأتقياء فإننا نكون قد وضعنا الأساس الصحيح الذى يؤدى الى تحقيق أغراضنا من هذه الناحية . فلعلنا جميعا ندرك ذلك حق إدراكه ، وندرك أن المدرسة الاكليريكية ــ أستغفر الله بل الكلية اللاهوتية القبطية الأرثوذكسية ــ هى وحدها تفتح لنا باب النجاح على مصراعيه . وأن كل قوانا يجب أن تتجه الى بلوغها المنزلة التى تمكنها من تأديتها مهمتها السامية » .

---

(١) يلاحظ القارىء أن الأهتمام بالتعليم شمل اللغة القبطية أيضا .

وقد أصبح من واجب الشعب أن يدرك اليوم إدراكا قاطعا أنه لا يجوز أن يزكى كاهنا إلا من خريجى المدرسة الاكليريكية . وأن تزكية أى شخص خارج هذه الدائرة العلمية جريمة فى حق الكنيسة وفى حق الأجيال المقبلة . فلا يتساهلنّ أحد فى هذا لأن التساهل فى الشئون الكنسية خور وضعف وإهدار لحقوق مقدسة . » (١)

ومما يجب ذكره أن الجميع ساندوا حبيب جرجس فى هدفه لأن حضرات الآباء المطارنة وافقوا على وقف الرسامة الكهنوتية على خريجى الاكليريكية حينما اجتمع المجمع فى الدار البابا وية فى يومى ٩ - ١٠ بشنس سنة ١٦٥٤ ، إذ قد أصدروا القرار التالى : « وجوب تنفيذ القرار البطريركى الصادر فى ٢٩ برمهات القاضى بعدم جواز اختيار قسوس الكنائس إلا من طلبة الاكليريكية الحاصلين على دبلومها النهائى » (٢) .

٣٠ ــ وقد حدث أيضا سنة ١٩٣٨ أن المعماريين المسئولين عن كنيسة القيامة بالقدس رأوا وجوب ترميمها إذا قد تصدعت نتيجة لسلسلة من الزلازل . ولما قدروا نفقات الترميم قرروا توزيعها على من لهم نصيب فى هذه الكنيسة العظمى . وللأقباط أن يعتزوا بأن مكانهم فيها هو المكان الثانى بعد الروم مباشرة (٣) . وقد تقرر عليهم مبلغ ثلاثين ألفا من الجنيهات . ولمواجهة هذا الموقف عقدت لجنة تمهيدية اجتماعاً فى مساء الأربعاء ١٨ مايو سنة ١٩٣٨ برياسة نيافة الأنبا ثيئوفيلس مطران القدس الذى شرح للحاضرين ما أصاب هذه الكنيسة العظمى من تصدع ، وأكد ضرورة الإسراع فى ترميمها . وقد قرر الجميع أن يلتمسوا من قداسه البابا توجيه نداء الى الآباء المطارنة ورؤساء الأديرة ، والى كل من يهمه الأمر بالمساهمة فى هذا العمل الحيوى . فلما رفعوا قرارهم بالفعل دعا قداسته الى عقد المجمع .

ولقد اجتمع المجمع المقدس تلبية للدعوة البابا وية فى ٣١ مايو فى التاسعة صباحاً . وبعد التداول أصدر القرارات التالية :

١ ــ قبول التبرعات من الشعب .

٢ ــ دعوة كبار الأقباط الى اجتماع لينتخبوا لجنة عامة لجمع التبرعات ــ وتتفرع عن هذه اللجنة العامة فروع فى الايبارشيات برئاسة الآباء المطارنة ، وتتعاون كل هذه اللجان مع بعضها البعض ومع الأنبا ثيئوفيلس مطران القدس والأنبا توماس مطران الغربية وسكرتير المجمع المقدس ،

---

(١) كتاب حبيب جرجس ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٢) مجلة التوفيق عدد ١٦ ديسمبر سنة ١٩٣٨ - ص ١٩ .

(٣) راجع ما جاء عن هذا المكان المقدس فى حـ ٢ من هذا الكتاب ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

٣ـ دعوة كهنة القاهرة للاجتماع فى صباح اليوم التالى مباشرة فى الدار الباباوية تحت رئاسة قداسة البابا لتنظيم جمع التبرعات . ا

٤ـ أناب المجمع المقدس نيافة الأنبا ثيئوفيلس مطران القدس فى اتخاذ كل التدابير اللازمة للمحافظة على حقوق مصر فى كنيسة القبر المقدس فى القدس على أن يرجع فى جميع تصرفاته الى المجمع المقدس .

وقد تقبّل المجمع عقب اجتماعه مباشرة التبرعات التى افتتحها الأنبا يؤنس بمبلغ ستمائة جنيه ، وبلغ ما تسلمه يومذاك أربعة آلاف وأربعاً وستين جنيها . فكانت باكورة تبعتها تبرعات من مختلف الجهات إذ قد سارع الجميع : كل من التهب قلبه حباً بالمكان المقدس الذى يضم القبر الذى قام منه الفادى الحبيب ـ سارع الى تقديم كل ما يستطيعه للحفاظ على الكنيسة التى يتبرك بزيارتها الآلاف من المسيحيين فى شتى المناسبات .

ومما يجب تسجيله فى هذا الصدد أن الحكومة المصرية ساهمت بثلاثة آلاف من الجنيهات .

ولمتابعة هذا العمل الحيوى دعا قداسه البابا ستين شخصا من كبار رجال الكنيسة الى حفلة شاى أقامها لهم فى الدار الباباوية بعد ظهر الأحد ١٢ يونيوسنة ١٩٣٨ . وقد لبى الجميع هذه الدعوة الأبوية . وبعد الانتهاء من تناول الشاى وقف يوسف باشا سليمان وتحدّث عن تفصيلات الموقف : دوليا وكنسيا . ثم ذكر أنه تقابل مع رئيس الحكومة وأقنعه بأن ترميم هذه الكنيسة العظمى مسألة قومية عامة وليست مسألة قبطية خاصة . وبالفعل وافقه على هذا الرأى وتحدث تليفونيا مع قنصل مصر فى القدس ليتعاون مع الرهبان الأقباط فى المحافظة على الحقوق القبطية فى المدينة المقدسة وهكذا تضافر المصريون : كنيسة وحكومة لكى ينجحوا فى الحفاظ على نصيب القبط فى الكنيسة العظمى التى هى كنيسة القيامة والتى تتوسطها الصخرة المحفورة التى رقد داخلها الجسد المقدس لفادينا الحبيب من مساء الجمعة الى فجر الأحد . وبالطبع أدى هذا التضافر المصرى الى النجاح المنشود .

٣١ـ وحدث فى سنة ١٩٣٤ أن صدر قانون بوجوب جعل التعليم إلزاميا . والنتيجة الحتمية لهذا القانون إنشاء العدد اللازم من المدارس ليستطيع كل طفل مصرى أن يتعلم . وافتتاح هذا العدد من المدارس يتطلب عن الحكومة أن تنفق أموالاً طائلة فى بنائها ثم فى الصرف عليها . وخلال الخمس سنوات الأولى من إصدار هذا القانون وجدت الحكومة نفسها عاجزة عن تحقيقه بمفردها . لذلك أضاف على ماهر باشا مادة على القانون هى أن كل طفل يثبت أنه يتعلم تعليما لا ينقص عن التعليم الإلزامى الذى قررته الحكومة يعفى ولى أمره من العقوبة التى قررها القانون ،

وهى إما غرامة مقدارها خمسة جنيهات (١) وإما الحبس ثلاثة أيام — وقد يجوز الجمع بين العقوبتين .

وما إن صدر القرار بهذه المادة الإضافية حتى نشطت السيدات بصفة خاصة . ولا غرابة فى ذلك لأن المرأة هى الأم فهى المربية بالغريزة . فانعقدت اجتماعات عديدة فى مختلف المدن أدت الى تأليف جمعيات نسوية هدفها افتتاح المدارس الإلزامية أو المساهمة مع الجمعيات المهتمة بالمدارس .

ومن أكبر المجموعات التى تألفت حينذاك « جمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة » التى تم تأليفها وصودق على قانونها فى ٢٦ يناير سنة ١٩٤٠ . ومع أن الأعضاء كن جميعا من السيدات إلا أنهن طلبن الى حبيب المصرى أن يصوغ لهن قانون جمعيتهن . وبعد أن صاغه اخترنه ليكون المستشار القانونى لهن . كذلك اخترن حبيب جورجى كبير مفتشى الرسم بوزارة التربية والتعليم ليرأس اللجنة المختصة بتنظيم المدارس . وقد فوّض لكل منهما أن يختار من يشاؤه لمعاونته . ولما كان حبيب المصرى عضواً بالمجلس الملى العام فقد استعان ببعض زملائه فى هذه الهيئة ، وإستعان حبيب جورجى ببعض المشتغلين فى وزارة التربية والتعليم . وبعد التشاور معاً ومع السيدات اللواتى أولوهما ثقتهن استعانا بحبيب جرجس مدير الأكليريكية وعضو المجلس الملى العام . فتفاهما معه على إنشاء قسم خاص بالتربية فى كليته ولأنه أدرك أهمية المشروع الذى تستهدفه السيدات وافق لفوره على هذه الفكرة . ومن ثم كانت غالبية المعلمين الذين عينتهم اللجنة التابعة للجمعية من خريجى الاكليريكية الذين نالوا أيضا قسطا من الدراسة التربوية فى القسم الذى أنشىء خصيصاً لهم . ولقد كانت هذه الخطوة من أهم المقومات التربوية التى تسببت فى نجاح المدارس التى أنشأتها الجمعية والتى تعاونت مع الجمعيات المحلية على استمرارها . ذلك لأن الثلث من مواد الدراسة الإلزامية كان للتربية الدينية وحدها ، والثلثين لباقى المواد جميعها . فكان المدرس الاكليريكى العامود الفقرى لهذه المدارس .

ولقد كتب عبد الحليم إلياس نصير المحامى وعضو المجلس الملى العام بجريدة مصر مساء الثلاثاء ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٨ رسالة بعنوان « رسالة الكنيسة » اختتمها بالحديث عن مدرسة المعلمين قال فيه :

ولقد امتحنت مدرسة المعلمين القبطية لتخريج معلمين صالحين لتدريس مادة الدين المسيحى الأرثوذكسى وكذا المواد المدنية بالمدارس الأولية والرياض والابتدائية والثانوية المتوسطة

---

(١) قد تبدو هذه الغرامة ضئيلة هذه الأيام ولكنها كانت باهظة آنذاك ، كما أن الطبقة التى كان يذهب أولادها الى المدارس الإلزامية كانت طبقة الكادحين الذين يؤذيهم هذا المبلغ .

والخاصة ، وقد أنشئت بقرار من المجلس الملى العام فى أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، وتشد أزرها جمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة برأسة السيدة الجليلة حرم نجيب باشا غالى .

ويجرى التدريس فيها وفق منهج عملى ودراسة فى علوم التربية على أحدث النظريات الحديثة ، وفى كل عام يتخرج منها نخبة من أصلح رجال التربية والتهذيب الدينى والتعليم الفنى . مما أثار إعجاب كبار الفنيين بوزارة المعارف . وقد ظهرت ثمارهم فى المدارس الأولية القبطية على خير ما يرجى . و يا حبذا لو عنى المجلس بتحسين حال خريجى هذه المدرسة لأنهم حقاً مفخرة للتربية . ولنا فى سامى وطنية معالى الأستاذ الجليل وزير المعارف خير رجاء فى شمول هذه المدرسة وخريجيها بالعطف والرعاية لأنها تسد فراغا كبيراً فى تعليم الدين للعنصر الثانى فى الأمة المصرية الكريمة فهو قسيم فى التكاليف والحقوق .

هذه هى الجهات الأصلية الأربع التى تشع أنوارها فى تلك البقعة المضيئة بمهمشه فى طريق الأسكندرية (١)

ومن نعمة الله أن اختارت السيدات حرم نجيب باشا بطرس غالى رئيسة للجمعية ، لأن هذه السيدة الفضلى أدركت مدى مسئوليتها إدراكا تاماً منذ البداية . ففى الجلسة الأولى ، بعد اختيارها ــ قالت للأعضاء : « إن انضمامنا لهذه الجمعية معناه وعينا بواجبنا ، ولكى نؤدى هذا الواجب بأمانة يجب أن نثابر فى جهادنا . لذلك أرجو أن نحدد من الآن الموعد الذى حددناه ضرورة موضوعة علينا . فلا نتغيب إلا للضرورة القصوى » . وبما أن هذه السيدة الوقور كانت ذات كلمة مسموعة فقد نفذ الجميع طلبها ، فكان بعد ظهر الثلاثاء من كل أسبوع هو « موعد الجمعية » . وهذه المثابرة كانت من أكبر العوامل التى دعمت نجاح الجمعية .

ولم تكتفى حرم نجيب غالى بالمواظبة على الاجتماع الأسبوعى فقط ، بل كانت أيضا تقدم الشاى أو المرطبات لمعضدى السوق ــ وكانوا بالمئات من غير مغالاة . لأن المجتمع المصرى فى ذلك الوقت كان متآلفاً متماسكا ، يسارع الى التعاون والتعاطف و يرى فى خدمة البعض خدمة عامة للجميع (٢) .

---

(١) صحيح أن هذا المقال نشر فى عهد الأنبا يوساب الثانى ، ولكن وضعه هنا إثبات على الاستمرار والتتالى ، وعلى أن كل جيل إنما يحصد ثمار ما غرسه الذين سبقوه .

(٢) ظل نشاط الجمعية يتزايد تصاعديا منذ إنشائها الى نهاية العالم الدراسى لسنة ١٩٥٢ ، إذ قد بلغ عدد المدارس التى أنشأتها والتى تعاونت مع جمعياتها المحلية إحدى وخمسين مدرسة متناثرة ما بين الاسكندرية ولغاية البلينا . ثم أخذ عدد المدارس يتناقص تدريجيا حتى لم يعد للجمعية سنة ١٩٧٩ غير مدرستين هما مدرسة السيدة العذراء بالمهشمة ومدرسة الأنبا إيسيذورس بمصر القديمة . وفى نهاية تلك السنة سلمت المدرسة الأولى للبطريركية ، والثانية لأسقفية الخدمات . ومن نعمة الله أن مدرسة السيدة العذراء بالمهشمة مازالت تؤدى رسالتها إذ قد دعا نيافة الأنبا صموئيل (أسقف العلاقات العامة والخدمات الاجتماعية) عدداً من السيدات وتباحث معهن فى إعادة تكوين جمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة . فأدت هذه المباحثة الى ثمرة حلوة ، و بدأت الجمعية نشاطها عند افتتاح العام الدراسى لسنة ١٩٨٠ ، وهى مازالت فى عملها الى الآن ولو أن جهودها قاصرة على مدرسة السيدة العذراء بالمهشمة بالتعاون مع الديوان البطريركى .

والخطاب التالى من الشواهد على نشاط الجمعية فى بدايتها :

حضرة صاحب العزة مدير إدارة البطريركية :

يتشرف بتقديم هذا أيوب مقار ناظر ومراقب عمارة كنيسة القديسة دميانة ببولاق . لقد بذلت المستطاع فى انتخابات المجلس الملى السابقة كى تفوزا ـ إذا أعلم يقينا رغبتكم الصادقة فى إصلاح حال الطائفة القبطية سواءً من ناحيتها التعليمية أو التهذيبية .

ولكم هنا أموراً قد تكون خافية على حضراتكم .

أذكر لكم إحداها :

هل تعلمون أن أملاك البطريركية فى نقطة بولاق تفصيلا ـ اعتقد أن الوقت قد حان لأوضح لكم حقيقة الأمر .

فالبطريركية تملك فى هذا الحى مساحة كبيرة من الأراضى تبلغ أربعة عشر فدانا من بينها ثلاثة أفدنة ونصف كانت فى الأصل مجموعة تعليمية عظيمة هوت واندثرت ـــ فقد كانت تجمع هذه المساحة .

أـــ كنيسة القديسة دميانة .
بـــ مدرسة الصنائع للأولاد وتشغل هى وورشها فدانين .
جـــ مدرسة ابتدائية للبنين وتشغل نصف فدان .
دـــ مدرسة التدبير المنزلى للبنات وتشغل نصف فدان ـ انشأها كيرلس الخامس .

وكانت المدرسة الأبتدائية عامرة بالأولاد يتقدم منها سنويا العدد الوفير للامتحان فى شهادة إتمام الدراسة الابتدائية وكانت لها شهرة كبيرة فأنحط مستواها الآن وقل عدد طلبتها وهى تخرج نتيجة لا تساوى ٢٠٪ من نتائجها السابقة

وكانت مدرسة البنات أحسن مثل يقتدى به فى تخريج أمهات صالحات لإدارة منازلهن اذا كانت تعلم إدارة المنزل وأعمال التطريز والتدبير الحيوى وكل هذه الأمور لازمة للفتاة التى ستصبح أم المستقبل ولكن البطريركية للاسف أغلقت هذه الدار النافعة ، مع العلم بأن هاتين المدرستين من أهم مستلزمات الطائفة فى هذا الحى .

أما مدرسة الصنائع فكانت فى الأصل تضم أبناء الطائفة اما نسبتهم بها الآن لا تزيد عن ٣٠٪ وتعلمهم الصناعات النافعة وكانت للمدرسة شهرة كبيرة فى صناعاتها وكانت تأخذ مقاولات من الحكومة وعمارات مقاولين وكانت تحوز شهرة عظيمة بمعرض الصناعات بفخر صناعاتها الجيدة . ولكنها الآن قد أنحط مستواها عن ذى قبل وهى تصرف على البطريركية سنويا ٢٠٠٠ جنيه وايرادها لايساوى ربع هذا المبلغ و يستحسن تأجيرها فإن أقل مقاول يأجرها

بخمسين جنيها شهريا أى ٦٠٠ جنيه سنويا وتوفر على البطريركية ٢٠٠٠ جنيه .

هذه هى حالة المجموعة المدرسية السابقة فى هذا الحى الآن . وقد عُلم لمقدمه أخيرا أن سعادة حبيب بك المصرى وصاحبة العصمة ارملة المرحوم نجيب باشا غالى ذات القدح المعلى فى أعمال البر والخير يفكرأن فى بناء مدرسة أولية الزامية فى هذا الحى وهذا عمل حميد .

ولكن يلاحظ أن الأبنية موجودة اذ لا تزال مدرسة البنات القديمة باقية على حالها وهى مكونة من دورين الأرضى ويحتوى على ستة غرف والثانى على ثلاث ففى الإمكان تخصيص هذه الدار لهذا العمل الخيرى العظيم وتعليم الناشئة تعليما إلزاميا سواء كانوا ذكورا أو أناثا الذى جعلنى أتقدم بهذا الرأى وأنا الضعيف العاجز انه علمت بأن حضرتيهما شرفا الكنيسة فى يوم الأحد ٢١ يوليه وأرشدهما أحد قسوس الكنيسة الى هذا الأمر والى بناء المدرسة الإلزامية فى حوش الكنيسة بجوار المدخل وفى الواقع هذا الرأى من جانب القس المذكور وخصوصا وهو مستجد ولايلم بشئوون الحى فيه خطل لأنه فضلا عن أن للكنيسة حرمتها الدينية فان الحوش فى حد ذاته غير صالح لهذا الغرض وخصوصا وأن هناك دار صالحة فبدلاً من الصرف والإنفاق فالبناء موجود ولا يحتاج إلا الى تأثيث وإدارة حازمة بهذا الرجاء يتقدم مقدم هذا الطلب راجيا ان تنظروا بعين الرعاية إلى هذا الحى وتعملوا على إصلاحه ونشر الدين المسيحى به ،

وتفضلوا بقبول فائق الأحترام ،

تحرر فى ٢٥ / ٧ / ١٩٤٠

مقدمه

أيوب مقار (١)

٣٢- وحدث فى منتصف شهر يوليو سنة ١٩٤٠ أن قام بعض رهبان دير المحرق بثورة ضد رئيسهم مطالبين إياه بافتتاح مدرسة داخل الدير لتعليم الرهبان الذين هم فى حاجة إلى التعلم وأخرى الدير لتعليم أولاد المنطقة المجاورة للدير. فاحتدم رئيس الدير غضباً وأمر باخراجهم من الدير بحجة أن الطاعة إحدى القواعد الأساسية للرهبنة . فخرجوا بالفعل وجاءوا إلى القاهرة واعتصموا بالمسكن الموجود فى الدور العلوى من جناح المدرسة الإكليريكية بالمهشمة . ولكن رئيس الدير فى حدة غضبه لم يرقه اعتصامهم بمنزل تابع للبطريركية فبعث بشكوى مريرة إلى الأنبا يؤنس البابا الأسكندرى . وسرى الغيظ كالشرر من نفس رئيس الدير إلى نفس البابا

(١) ولقد تحقق بالفعل اقتراح مقدم هذا الخطاب. ولئن أفرحنا خبر إنشاء مدرسة أولية إلا أنه من المحزن أن يضيع المجهود الذى بذله البابا الوقور فى سبيل النهوض بأبنائه وبناته فى حى بولاق . وليسمح القراء بأن أقول إننا لم نكتف بتضييع جهد الأنبا كيرلس الخامس ، بل زدنا على ذلك تفشى الجهل بيننا بما أداه فاتهمناه بالتراخى فى رعايته ! وما على الراغب فى معرفة مدى الرعاية الأبوية لهذا البابا الوقور إلا الاطلاع على حـ ٥ من هذا الكتاب حيث يشهد الأجانب لسهره وتشعب نواحى أعماله .

الذى أرسل يطلب إلى مأمور قسم الشرابية اخراج الرهبان من المكان الذى اعتصموا فيه . ومن نعم الله أن المأمور كان رجلا لبقاً لم يشأ أن يستعمل القوة مع الرهبان . فذهب اليهم ساعة أن وصلته الأشارة الباباوية . وكانت الثالثة بعد الظهر — وأبلغهم بمضمونها كما أفهمهم بأنه لا يريد إخراجهم قسراً فهو لذلك سيمهلهم حتى المساء لعلهم يفلحون فى الحصول على صفح البابا . وما أن تركهم المأمور حتى تكلموا بالتليفون مع حبيب المصرى الذى ما كاد يسمع بالخبر حتى ذهب لمقابلتهم فوراً . واتفق معهم على أن يذهبوا جميعاً معاً لمقابلة الأنبا يؤنس كما اتفق معهم على أنهم حالما يصلون إلى حضرته يضربون له المطانوة (١) و يتركون الكلام له . ونزل الجميع لساعتهم . ونفذ الرهبان ما أشار عليهم به . ثم تحدث هو كما وعد إلى البابا الذى تأثر جداً بكلامه . فعانقه وطلب اليه أن يكتب رسالة العفو إلى المأمور . فعاد الرهبان إلى المهمشة يحملونها . أما حبيب المصرى فاستمر مع الأنبا يؤنس يناقشه فى أمر هؤلاء الرهبان ثم اتفق معه على النقط الآتية :

١ — يوقف رئيس الدير إلى أن يتم تحقيق اللجنة فى المطاعن الموجهة اليه ؛

٢ — يتولى شئون الدير مؤقتاً وكيل يختاره الرهبان أو يعينه البابا إذا شاء ،

٣ — تقوم اللجنة بتحقيق شامل نحو شكاوى الرهبان من الرئيس وفى الوقت ذاته تجرى تحقيقاً فى تصرفاتهم ؛

٤ — تحقق اللجنة أيضا جميع ما يرى من وجوه الاصلاح الواجب تنفيذها ؛

٥ — بعد الانتهاء من التحقيق إذا تبين أن المطاعن ضد الرئيس فى محلها فيرسم سواه طبقاً لقانون الرهبنة الموضوع سنة ١٩٢٨ . ولا يشترك فى انتخابه الرهبان المغضوب عليهم إذا لم يكن قد صفح عنهم لغاية ذلك الحين ؛

٦- اقتراح بتأليف اللجنة من ثلاثة مطارنة ممن كانوا أصلا بالدير ومن عضوين علمانيين أحدهما كامل بك ابراهيم الذى كان وزيراً للزراعة فى وقت ما وكان عضواً بالمجلس الملى آنذاك .

ولقد تألفت اللجنة بالفعل وأجرت التحقيقات اللازمة وانتهت إلى استصدار الصفح الباباوى عن الرهبان الثائرين وإعادتهم إلى الدير؛ وإلى افتتاح مدرسة بالدير ومدرستين فى قريتين مجاورتين للدير يتعلم فيها أولاد المنطقة على أيدى الرهبان الذى لهم المقدرة والمؤهلات العلمية اللازمة لمثل هذا العمل . ولقد بعث الرهبان بخطاب الى حبيب المصرى وهم فى طريقهم إلى الدير بتاريخ أول أغسطس سنة ١٩٤٠ قالوا له فيه : بوش . عزبة البار أنبا بولا فى ١/٨/١٩٤٠ .

حضرة صاحب السعادة الغيور حبيب بك المصرى بورك فى حياته الغالية بجوده تعالى تكونون فى أتم صحة وأكمل سعادة .

---

(١) المطانوة هى الاستغفار بالانحناء حتى تمس الجبهة الأرض .

إن الرهبان ليشعرون شعوراً عميقاً على ما بذلتموه من تضحيات بوقتكم الثمين وصحتكم الغالية وبالرغم من هذا سائرين فى ما وضعتموه من نصب أعينكم من نصرة الحق وازهاق الباطل لا تبتغون شيئاً من وراء هذا إلا إرضاء ضميركم وأداء رسالتكم .

هذا ونحن بدورنا لايسعنا أزاء خدماتكم الجليلة ومواقفكم المشرفة إلا أن نقدم لكم أثمن ما نملك وهى قلوبنا لتكون عروشاً تجلسون عليها ، بل ونسكب أنفسنا أمام العلى ضارعين إلى مراحمه الكثيرة أن يبارككم وأولادكم وأفراد اسرتكم الكريمة ويمنحكم نعمة الصحة ويقويكم لتقوموا بعملكم نحو كنيستكم المحبوبة ويهبكم من الخيرات والبركات ما أنتم أهل له .

سلام الرب يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى المسيح يسوع . آمين ،

رهبان الدير المحرق

عنهم القمص باسيليوس يواقيم (١) .

٣٣- ولئن تعجّب البعض من تزايد النشاط القبطى فى باباوية الأنبا يؤنس على الرغم من تغاضيه عن التقليد الأصيل فالإجابة على هذا التعجب هو أن الكنيسة هى جماعة المؤمنين بأسرهم . فالبابا مهما علت مكانته ومهما التهبت القلوب بحبه ليس هو وحده الكنيسة ، وما كان يمكنه أن يكون البابا من غير شعب فهو وشعبه معا الكنيسة . إنه أشبه بقمة الهرم التى لا يمكن إلا أن ترتكز على البناء المتراص تحتها . وكثيراً ما حدث ، ومازال يحدث مثل هذا العجب وهو أن المحبة الحقيقة تدفع الى العمل البنّاء فهى وحدها القوة الباذلة البانية ، وحينما تترابط القلوب بالمحبة يمنحا الآب السماوى النعمة على الثمر المتكاثر . كما أن الشعب حين يكون على وعى دقيق بمسئوليته ، وعلى وعى دقيق بأن الضرورة موضوعة عليه- لا على الكهنوت فقط — فإنه سيكافح لخير الكنيسة . والشخصية المعنوية للبابا خلال هذا الكفاح الشعبى هى الحافز ، إنها الدافع الأساسى الذى ينبعث فى واقعه من هذه المكانة الروحية التى أضفاها الكاروز الحبيب — مرقس الانجيلى — على خلفائه ، إنها المحبة الدافعة التى ربطت القلوب — من قداسة البابا الى أصغر عضو فى الكنيسة . ولهذا حدث — فى أكثر من مرة — أن استمر القبط على ولائهم لكنيستهم ومثابرتهم على العمل لرفعتها فى ظل بابا دفعهم تصرفه الى الشعور بشىء من الخيبة (٢) .

٣٤- وبعد أن قاد الأنبا يؤنس الـ ١٩ دفة الكنيسة على مدى ثلاث عشرة سنة وستة شهور ، تنيح بسلام فى اليوم الحادى والعشرين من شهر يونيو سنة ١٩٤٢ .

وقد ظلت السدة المرقسية شاغرة بعده مدة سنة وسبعة شهور وواحد وعشرين يوماً .

---

(١) قصة حبيب المصرى ص ٢٤٩- ٢٥١ .

(٢) راجع حـ ٢ من هذا الكتاب ص ٣٣٨ و ٤٩٢- ٤٩٥ ، وحـ ٣ ص ٣٥- ٣٩ و ٨٠- ٨٣ .

٣٥ــ وفى يوم الأربعين أقامت الكنيسة صلاة الجناز على باباها الراحل . فلما انتهت الشعائر الدينية وقف حبيب المصرى يؤ بن الفقيد الجليل بحديث قال فيه :

أن الكنائس التقليدية تعتبر رؤساءها خلفاء للرسل المؤسسين لها الذين نشروا تعاليم السيد المسيح بين أبنائها .

لهذا نقول نحن الأقباط إن الأب البطريرك هو خليفة مارمرقس على بعد الزمن . لأن مارمرقس وضع اليد على خلفه أنيانوس ومن ثم تسلم البطاركة واحداً إثر واحد هذه الأمانة الروحية ــ فكونوا بذلك سلسلة متصلة الحلقات .

« ... إننا نحن الأقباط نحب الكرسى البطريركى ونعزه ونحوطه بإكرام لا يساويه اكرام و بإجلال لا يساويه إجلال .

ولعل صلة الشعب القبطى ببطاركته أوثق من صلة أى شعب آخر برئاسته الدينية لأسباب تاريخية واجتماعية عديدة ولأن البطريرك عادة فرد من أفراد الشعب الذين عرفوا بالتقوى و بالزهد فى الدنيا والانقطاع الى عبادة الله عرف له الشعب صلاحه فرفعه بيديه و بإرادته الى كرسى الرئاسة الدينية العليا ....

نحب كرسى مارمرقس ذلك الكرسى الذى توالى عليه مئه وثلاثة عشر رجلا كان أولهم مارمرقس الرسول نفسه وكان آخرهم الى الأمس القريب أنبا يؤنس التاسع عشرـــ ونعتقد طبقا لتقاليد كنيستنا أن البطريركية خلافة رسولية مقدسة .

ثم إننا نصلى دائما للبطريرك فى حياته .. ونظل نصلى له بعد مماته فى كل قداس تقيمه الكنيسة مدة أربعين يوما متوالية . لأن بطاركة الكرسى المرقسى كانوا الصلة بيننا و بين المجد والتاريخ . كم تنكرت لنا الأقدار، وتنكر لنا التاريخ حتى أوشكنا أن ننسى ماضينا . أوشكنا أن ننسى أن لنا تاريخا مجيداً ، وان ننسى لنا أحساباً كريمة . ولكن البطاركة باتصالهم واتصال حياتهم معا ، واعتبارهم وحدة مستمرة مستديمة ربطوا ما بيننا و بين الماضى . فإذا نظرنا الى البطريرك شعرنا أن هذا البطريرك لم يكن خليفه لسلفه وحده بل كان خليفة لمارمرقس نفسه وقد اتصل الزمن بينهما ، فنشعر بأن مارمرقس أيضا كان معنا بالأمس . فالجالسون على الكرسى البطريركى حملوا رسالة الماضى إلينا وحملوا رسالتنا الى الماضى .

وطالما اختلف الكثير من البطاركة بعضهم عن بعض ... واختلفت عقلياتهم و بيئاتهم ... ولكن كان هناك شىء اتحدوا فيه جميعا على ممر الأجيال هو تعلقهم بكنيستهم و بشعبهم ، ودفاعهم عن عقيدتهم ، وتمسكهم بتقاليدهم ، فنقلوا الوديعة سالمة كاملة أمينة إلينا ... واتصلوا بشعبهم اتصالاً فشاركوه قسوة الزمن وعذابه واضطهاداته : لم يحدث يوماً أن

عذب الشعب فلم يعذبوا ، أو اضطهد فلم يضطهدوا . كل فرد حمل صليبه . أما البطريرك فكان يحمل صليب الجميع ...

ثم أن موت البطريرك الراحل ، واستغفر الله على خطأى ، لأن البطاركة لا يموتون بل ينتقلون ، كانت مظاهرة عظيمة أثرت فى نفوسنا أعمق الآثر : فلم يكن مأتمه مأتماً قبطياً بل كان مأتماً مسيحياً وكان مأتماً قومياً مصرياً فقد توافد علينا رؤساء الطوائف المسيحية الأخرى لا ليعزونا فى رئيس أحبارنا فحسب بل ليعزوا أنفسهم أيضاً فى رئيس كنيسة مسيحية عريقة .

وتوافد علينا المصريون المسيحيون والمسلمون من أمير ونبيل ووزير ومن الشعب كذلك لكى يشتركوا فى العزاء لأن البطريرك القبطى معدود دائماً من رجالات مصر البارزين .

والمعروف أنه فيما سوى بعض حالات شاذة فقد كان بعض بطاركة الأقباط دائما محل احترام وإجلال من جانب أمراء المسلمين الذين توالوا على مصر وإزداد هذا الإكرام خصوصاً فى عهد الاسرة المحمدية العلوية .

وإننى وأنا فى هذا المكان المقدس أرى من واجبى التنويه الآن بهذا الموقف — موقف التضامن القومى — فقد تبادر إلى بعض الأذهان بسبب بعض الأحداث السياسية الأخيرة أن هذا التضامن قد فتر وضعف معناه .

كلا ، لن يضعف هذا التضامن لأن الحياة فى مصر قد قامت على حقيقة لا محيص عنها وهى أن مسيحيها ومسلميها — وهم فى غالبيتهم من جنس واحد ودم واحد — سيبقون أبد الدهر جنبا إلى جنب فى الحياة وفى الموت .

ولم يكن اعتبار التضامن القومى أساساً للحياة العامة فى مصر وليد الصدفة أو الاعتباط أو مناورة سياسية ولكنه قام على ناموس طبيعى لا سبيل ولا مصلحة إلى التحول عنه .

فإذا كان بعض الناس من الفريقين قد قصر نظرهم وعبثوا بهذا المبدأ القومى فإن الروح المصرية السليمة ستعبث بعبثهم وسترد الأمر إلى نصابه وسيعمل العقلاء وأهل الحكمة من الفريقين على تحقيق هذا المعنى دائما وزيادته توثقا .

وبعد فإن الأمم تنظر إلى ماضيها لإعداد مستقبلها . تنظر إلى ماضيها لكى تستخرج منه العبر لإستئناف السير فى حياتها .

وقد أنتقل البطريرك إلى رحمة الله فوجب إنتخاب بطريرك يجلس على الكرسى المرقسى وينضم إلى ذلك السبط الذى ينتظم مئة وثلاثة عشر بطريركا من قبله ويكون جديراً بهم .

وشروط إنتخاب البطريرك القبطي معروفة مقررة في قوانين الكنيسة وتقاليدها من بتولية وزهد وتقوى وعفة وفقر ـ وفوق هذا كله وقبل هذا كله تنزه تام عن المطامع .

نعم تنزه تام عن المطامع فالبطريك القبطي يجب أن يجره الشعب القبطي جراً إلى الكرسي . لا أن يسعى هو إلى الكرسي ولا يتطلع إليه .

... إن الحرص على التقاليد هو الذي أبقى الى اليوم كنيسة اسمها الكنيسة القبطية راسخة كالطود ، قادرة على مقاومة زعازع الدهر . قد يتحول البعض عنها ، وقد يتنكر لها البعض ، ولكنها ستبقى أبد الدهر هي الكنيسة المرقسية ذات التقاليد .

لا تسمّوا التحول عن هذه التقاليد تجديداً . لنجدد روحانياتنا . لنجدد عقليتنا . لنجدد في تربية أولادنا . لنجدد في أساليب حياتنا . أما قوانين كنيستنا وتقاليدها وطقوسها ، فلتبق مقدسة لا تمس .

أن الأهرام لا يطلى بالطلاء . وأبا الهول لا يزخرف ظاهره بالنقوش . فأنا أناشد الآباء المطارنة والآباء الكهنة ، وأناشد الرهبان . وأناشد أفراد الشعب القبطي قاطبة أن يحتكموا إلى ضمائرهم وأن يعتبروا انتخاب البطريرك مسألة أعز لديهم من أية مسألة شخصية وأن يسموا بها عن مستوى المطامع والشهوات والغايات وأن يجعلوا هذا تقدمة منهم للسيد المسيح وعبادة . فخلافة مارمرقس جديرة بأن تتنزه عن الأهواء .. وبأن تمتنع عن الغايات .

إن الاقباط قد يختلفون رأيا في كثير من المسائل فالخلاف في الرأى أمر طبيعي وليس الخلاف في الرأى عيباً وانما كل العيب أن يكون الدافع إلى الرأى مصلحة شخصية أو غاية يريد تحقيقها ، وكل رأى منزه عن الغايات رأى محترم جدير بالبحث والنظر والمناقشة ، أما الرأى المشوب بالغاية فهو رأى وضيع ووضيع صاحبه ...

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يهيء للقبط طريق الرشاد والحكمة ، وأن يرزقهم ذلك البطريرك الصالح الذى يعتزون به و يفتح أمامهم الآفاق ـ آمين ..

ولقد كان حبيب المصرى في المستشفى القبطي لإصابته في حادث أوتوبيس حينما نعى الناعي الأنبا يؤنس . ولكن حبه الملتهب بالكنيسة جعله يتحامل على نفسه ويحضر جناز الأربعين ثم يقف ليؤبن باباه . و يبدو أن حماسه في الحديث كان سبباً في عدم عودته الى المستشفى إذ أحس بأنه استعاد صحته تماما ! وما إن شاع هذا الخبر حتى جاءه الخطاب التالى :

نزالى جانوب الدير المحرق في ٩ / ٧ / ١٩٤٢ ..

حضرة صاحب السعادة حبيب حنين المصرى باشا

نشكر الله تعالى الذى أسبغ عليكم نعمة الشفاء بإلباسكم ثوب العافية والصحة ، لك التحية من قلب عامر.

أبعثكم تهنئة الكثيرين بمناسبة إبلاكم الميمون الذى حل برداً وسلاماً على قلوب عارفى فضلكم وخدماتكم . الذى طالما خفقت بإهلاله وإجلاله وجمدت كلما زادتها اللهفة عليكم والتحصر على آلاماتكم المبرحة . والآن وقد أسفرت شمس طلعتكم بعد حجاب هلعنا له وارتعبنا من أجله فازال جزعنا . فحل الرجاء عوض اليأس والفرح عوض الترح والطمأنينة بدل الاضطراب ، إنا لا نغالى فى القول إذا قلنا انكم الرجل الذى يعمل بإخلاص فى جد وغيرة لايعتورهما فتور. فكم قومّت من الأيادى المسترخية والركب المخلعة وكنت لساناً للعاجز وحجة للضعيف . الأمر الذى جعل الألسنة تتفق مجتمعة على مدحكم والثناء على أفضالكم . إن لشفائكم أثر بالغ فى نفوس المخلصين اليكم ومقدرى خدماتكم إذ أنتم المثل الأعلى فى التضحية ، ليس هذا فحسب . بل ببذل راحتكم وصحتكم فى خير الجماعة ضربتم الرقم القياسى حتى صرتم أشهر من نار على علم . أجل . نعم هذه الشخصية الفذة التى جمعت بين إقدام القائد وشهامة المحارب ، بل ونعم هذا الابن البار الأمين لأبناء كنيسته .

وإن ننسى فلا ننسى موقفكم المشرف الأخير الذى وفقكم الله فيه خير توفيق — جزاكم الله كل خير — بالرغم من ضعف صحتكم . ونحن بدورنا لا يسعنا أزاء هذا الشفاء الذى ارتاحت اليه النفوس وأثلجت له القلوب إلا أن نرفع أكف الضراعة الى الحق سبحانه كما ضرعنا اليه سابقا فاستجاب لابتهالاتنا وتقبل توسلاتنا أن يحفظ عليكم نعمة الصحة والعافية ويجزل لكم الاجر والثواب .

بادرت بتسطير هذا اليكم اذ هو دين فى عنقى ألا أنساكم ما حييت .

عاطر سلامى وخالص دعواتى لأفراد الأسرة الجليلة .

سلام الرب الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى ابنه يسوع المسيح آمين ، ودمتم للمخلص .

القمص باسيليوس يواقيم .

٣٦ — ومن الجهود البناءة فى هذه الفترة تشييد إحدى عشرة كنيسة فى القاهرة هى :

١ — كنيسة الأنبا أنطونيوس بشارع ترعة الجلاد بشبرا ،

٢ــ كنيسة مارمينا بأول شارع الترعة البولاقية بشبرا ــ وقد شيدت على نفقة أولاد مينا مقار الأرخن الأسيوطى الأصل ،

٣ــ كنيسة يوحنا الحبيب بحلمية الزيتون تعاون أهل المنطقة على تشييدها ،

٤ــ كنيسة السيدة العذراء بالمليحة بحدائق القبة ــ وهذه أيضا تضافر شعب المنطقة فى بنائها . والطريف أنهم وجدوا المتبقى من الأرض فسيحا فأقاموا فى الركن الشمالى الشرقى منه بيتا افتتحوا فيه مدرسة وتعاونت معهم فى تنظيمها وتسييرها جمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة . ومرة أخرى وجدوا متسعا من الأرض فبنوا بمحاذاة مبنى المدرسة كنيسة باسم رئيس جند السمائيين الملاك ميخائيل ،

٥ــ كنيسة السيدة العذراء بالمهمشة ــ وهى فى الركن الشمالى الشرقى من حديقة المبنى الذى كان الاكليريكية من عهد البابا الوقور أنبا كيرلس الخامس الى أن نقله قداسة البابا يوساب الثانى الى المبنى الخاص على أرض الأنبا رويس . وقد نشر حبيب جرجس فى مجلته « الكرمة » مايلى : « تدشين كنيسة السيدة العذراء بمهمشة : قام بتدشينها قداسة البابا يؤنس التاسع عشر ، وأقام أول قداس فيها ، يوم الجمعة ٢٧ أمشير الموافق ٦ مارس سنة ١٩٣١ . واشترك معه فى الصلوات أصحاب النيافة أنبا كيرلس مطران أثيوبيا ، أنبا بطرس الأسقف الاثيوبى ، أنبا سراپامون مطران الخرطوم ، أنبا ابرآم مطران البلينا ، أنبا يوساب مطران جرجا ، أنبا ميخائل مطران أبوتيج ، أنبا لوكاس أسقف منفلوط ، أنبا ديمتريوس أسقف المنوفية .

٦ــ كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بطوسون بشبرا ،

٧ــ كنيسة الشهيد أبوسيفين والشهيدة الست دميانة بأرض رائف بشبرا ، أما الأربع كنائس الباقية فهى باسم الشهيد العظيم مارجرجس وهى :

أ ــ بخمارويه .

ب ــ بجزيرة بدران .

جـ ــ بشارع الجيوشى . وثلاثها فى شبرا ؛ والربعة فى الظاهر أقامتها جمعية تألفت خصيصاً لبنائها . فأقامت الكنيسة الضخمة عن يمين الداخل . ثم أقامت مقابلها مبنى جعلت منه ملجأ للصبيان وألحقت به غرفاً لتعليمهم الحرف اليدوية . وخصصت غرفة كبيرة وضعت فيها ماكينة مطبعة .

واستكمالاً لرسالة الكنائس شجع قداسة الأنبا يؤنس الجماعات الشماسية ، ومن أبرز الأمثلة على هذا التشجيع إقامته شعائر القداس الالهى مع شمامسة جمعية نهضة الكنائس الذين سجلوا هذا الحادث البهيج فى مجلتهم كمايلى :

يعد حادث إحياء القداس الالهى الكيرلسى وإعادة الصلاة به فى كنائسنا القبطية حادثا تاريخيا عظيما . فقد حاول كثيرون من الآباء البطاركة والأراخنة العظام إعادة الصلاة به فى

المائة سنة الماضية . ولكن ذهبت محاولتهم أدراج الرياح . وصادفت رغبتهم مقاومة عظيمة من الكهنة والشعب لصعوبة ألحانه ولطوله ، وأشار الى ذلك المرحوم اقلاديوس بك لبيب فى مقدمة الخولاجي الذى قام بطبعه فى زمن المتنيح الأنبا كيرلس الخامس .

فعودته تنهض دليلا قويا على نهضة روحية امتاز بها عهد غبطة البابا المكرم الأنبا يؤنس (١٩) البطريرك المائة والثالث عشر . سيذكرها التاريخ بمداد الإعجاب والفخر . فقد قوبل هذا القداس فى كل جهة بالغبطة والثناء . وضحّى الآباء الكهنة ومعلمو الكنائس كثيراً من أوقاتهم فى سبيل حفظه . وإجادة ألحانه الملائكية الخالدة وقاموا بمجهود عظيم ستذكره لهم الأجيال القادمة بالثناء والحمد لأنهم حافظوا على هذا التراث الخالد . وانتشلوه من براثن الفناء والضياع .

ولقد قدّر حضرة صاحب الغبطة البابا المعظم هذا المجهود العظيم و باركه وأظهر رضاءه عن القائمين به بتفضله بعمل صورة فوتوغرافية تاريخية لغبطته يحوط به أبناؤه الكهنة والمعلمون أبطال القداس الكيرلسى وأعضاء مجلس إدارة جمعية نهضة الكنائس القبطية المركزية إحاطة الهالة بالقمر . وهذه مكافأة أدبية لا تقدر بمال .

قداس الآباء الروحانيين العظام

هكذا دعا غبطة البابا هذا القداس الكريم . فقد امتاز بالتعمق فى الروحانيات . و بالالحان الصافية المؤثرة التى تنقل الانسان مهما كان غافلا من عالم المادة إلى عالم الروح . ولقد أرادت الكنيسة الملهمة بالروح القدس أن تدرب أبناءها على حياة أهل الفردوس فرتبت لهم قداسها المرقسى فى زمن البابا كيرلس الكبير على غرار تسابيح الملائكة ، وتهاليل أهل السماء . ففى نغمات صلواته تذلل ، وحزن ، ورجاء ، وشوق عظيم إلى كل ما هو سام . وإلهى كريم .

فالقداس الكيرلسى تدريب روحى لحياة السماء يقوم به المؤمنون بفرح وغبطة لا مزيد عليها . ففى السماء لن يجد الانسان غير هذه التسابيح المقدسة والاناشيد المباركة ، ستختفى من حياة السماء كل الأشياء التى تشغلنا فى حياة الأرض ، ولا يكون لنا عمل هنالك غير التسبيح ، وهذا ما أراد الآباء أن يعودونا عليه ، و يعلمونا إياه ، و يعلمونا بهذا القداس الملائكى .

القداس الكيرلسى متمم لطقس العبادة

تحتوى صلاة التسبحة فى الصباح الباكر فى كنائسنا القبطية على ألحان غاية فى الروعة والجلال يستغرق القاؤها أربعة ساعات كاملة . وهذا الطقس من العبادة المطولة لا يتسق مع نظام القداس الباسيلى المختصر . بل أكبر الظن إنه وضع على غرار طقس القداس الكيرلسى وألحانه العظيمة فى الجلال والفخامة . و يكاد يكون لكل لحن مشهور فى التسبحة نظير فى صلاة القداس الكيرلسى وبمزاولة القداس الكيرلسى بالصلاة به فهمنا معنى صلاة التسبحة وألحانها البارعة .

القداس الكيرلسى ثروة روحية للكاهن

ولقد شعر الآباء الذين أجادوا الصلاة بهذا القداس أنهم أضافوا ثروة روحية ثمينة الى معلوماتهم يلجأون اليها كلما احتاجوا للتعزية والنشاط الروحى . ففى القداس الباسيلى العادى يدفعهم الحنين الى السمو الروحى بتلاوة بعض صلواته السامية . وهذا أكبر عامل على ذيوع هذا القداس فى كنائسنا . وانتشاره قريباً بقوة الله فى طول البلاد وعرضها .

وهذا و يوالى حضرة الاستاذ الكبير المعلم ميخائيل جرجس إلقاء « درس الكيرلسى » بدار جمعية نهضة الكنائس بالفجالة أيام الاثنين والثلاثاء والخميس من كل أسبوع — وأملنا عظيم فى حضرات الآباء والمعلمين الذين لم تمكنهم ظروفهم الى الآن لحضور هذه الدروس القيمة أن يتكرموا بالحضور. وستعمل لهم الجمعية كل وسائل التسهيلات لحفظ ما فاتهم من الدروس (١) .

٣٧ — ولقد استهل الأنبا يؤنس باباو يته برسامة الأنبا كيرلس مطرانا على اثيوبيا يوم الأحد ٢ يونيو سنة ١٩٢٩ (وسيأتى الحديث عنه فيما بعد) .

ثم قام بعد ذلك — كلما دعته الضرورة — برسامة غيره ، والذين نالوا الكرامة الأسقفية على يديه هم :

١ — أنبا أغابيوس — كان راهباً بالدير المحرق باسم عبد النور ، ثم أقيمت الشعائر المقدسة التى رفعته الى الأسقفية فى ١٤ يوليو سنة ١٩٢٩ لكرسى ديروط وصنبو. واختير فى أول يناير سنة ١٩٣٩ ليرأس الدير الذى ترهبن فيه ، فظل فى هذه الرئاسة الى أن استقال منها فى ٢٨ يناير سنة ١٩٤٦ . وقد كان مهيباً كريما محبوبا ، عمل كل ما فى وسعه للنهوض بالشعب الذى اؤتمن عليه . فكانت دار مطرانيته تزدحم بالوافدين عليه من مصريين وأجانب (٢).

٢ — أنبا ساويرس — كان طالباً بالاكليريكية وأكمل دراسته بها سنة ١٩١٤ . ثم قصد الى دير السيدة العذراء — برموس حيث ترهبن باسم بقطر فى ١٤ نوفبر سنة ١٩١٧ . وبعد ما قضى ما يقرب من ثلاث عشرة سنة فى رهبنته رسمه الأنبا يؤنس أسقف فى ١١ أبريل سنة ١٩٣٠ على المنيا والأشمونين ، فمطرانا بعدها بأربع سنوات .

---

(١) مجلة نهضة الكنائس ، أمشير ١٦٥٨ = مارس ١٩٤٢ ، ص ٧٤ ـ ٧٥ .

(٢) و يسعدنى أننى نلت بركة هذا الأب الجليل فى ديروط فى مايو سنة ١٩٥٤ حينما كنت فى طريقى للتبرك بزيارة الدير المحرق مستصحبة معى بعض الصديقات والأصدقاء الانجليز .

٣ ــ أنبا لوكاس ــ كان هذا الحبر الجليل من رهبان دير السيدة العذراء ــ المحرق باسم عبد المسيح واصف . عاش فى الدير من سنة ١٩١٧ ــ سنة ١٩٣٠ . وفى ١٩ يونيو من السنة الأخيرة نال الكرامة الأسقفية . على كرسى منفلوط وأبنوب . وكان ولوعاً بالتفتيش فى الكتب ، فثابر على البحث والاطلاع ، ونشر عدة مقالات دينية وطقسية فى مجلة مارجرجس الشهيرية ، جمعها كلها القمص بولس باسيلى (صاحب المجلة) ونشرها فى كتاب أسماه « اللوكاسيات » . ثم أصدر نيافته مجلته الخاصة باسم « الحكمة » ، ولكنها لم تظهر الا لبضع شهور فقط . ولقد كتب ــ أيام رهبنته ــ كتابا ذا قيمة كبرى عن القمص ميخائيل البحيرى الذى كان الأب الروحى لكل الرهبان المحرقيين المعاصرين له . واسم الكتاب طريف للغاية إذ هو « بلوغ المرام فى تاريخ خليفة الأنبا ابرآم » . وفوق هذا كله فقد كان ممن يمكن وصفهم « بالساسة اللبقين » إذ قد اختير عدة مرات ليرأس اللجنة المختارة للتفاوض مع الاثيوبيين . وكل من يعرف شيئا عن هذا الشعب يعرف مدى طول الآناة والحنكة اللازمتين للوصول معهم الى أية نتيجة !

٤ ــ أنبا توماس الذى كان ذا نشاط واسع سنتبعه بإذن الله عند تسجيل سيرة الأنبا يوساب الثانى وما جرى فى عهده . ونكتفى هنا بالإشارة الى أنه اتخذ طنطا مقراً له . ولكنه رعى شعب البحيرة بزياراته المتوالية و بالاشتراك مع كهنته وشعبه فى أنشطتهم المختلفة . ومن هذه الأنشطة المؤتمر التربوى الذى نظمه القمص بولس بولس بمدينة دمنهور وجعله تحت رعاية نيافته . وإليكم بعض ما نشرته مجلة الايمان عن هذا المؤتمر (٢) .

دعا جناب الآب القمص بولس بولس الهيئات والجمعيات الدينية العاملة بدمنهور ونواحيها إلى مؤتمر عام للتربية « يبحث مشاكل أولادنا و بناتنا و يبين الطرق المثلى لتربيتهم فى وقت عمت فيه الحضارة الكاذبة والتصرفات الشاذة » وقد استمر المؤتمر ثلاثة أيام من ١١ ــ ١٣ يونيه . وانتظم صفوة من المحاضرين والمحاضرات فى مختلف الموضوعات التربوية والنفسية والروحية . كما أقيم فيه معرض لأشغال شابات مدارس الأحد ، وعملت مسابقات بين الأطفال . وقد ألح القمص بولس فى دعوة الآب القمص جرجس بطرس رئيس جمعية الإيمان ، فذهب لحضور المؤتمر يوم الجمعة ، وألقى كلمة عن تاريخ جمعية الإيمان ، وكيف قامت فى أساسها بعون حلقات الصلاة والعبادة المنتظمة التى كانت تقام ليتعهد الرب العمل و ينميه ، وكيف استجاب الرب لهذا الدعاء فنمت أعمال الجمعية منذ سنة ١٩١٤ حتى الآن ، ومن أروع ما قيل يومذاك الكلمة التالية :

(٢) فى عددها الصادر فى سبتمبر سنة ١٩٥٢ ثم استكملت الموضوع فى عدد أكتوبر من نفس السنة ، وهنا يجب أن نذكر أن « البحيرة » التى كانت إيبارشية الأنبا يؤنس ظلت من غير أسقف طيلة باباويته . وهنا يتضح لنا خطر آخر من نقض القوانين الرسولية وهو أن الأسقف الذى يصبح « بابا » يظل شعبه بلا راع . صحيح أن الآباء الكهنة موجودن . ولو لم تكن هناك حاجة الى أسقف (أو مطران) فما الداعى الى رسامته ؟ ولكن الحاجة الى الأسقف حتمية لأنه « ربان » السفينة المسئول عن رعاية الكهنة والشمامسة والشعب : إنه الأب الأول . ولأن شعب البحيرة ظل بلا « أب » فقد أوكل الأنبا يؤنس الى أخيه فى الخدمة الرسولية ـ الأنبا توماس مطران الغربية ـ أن يتولى النظر فى شئون هذا الشعب « اليتيم » .

سر الاعتراف بالنسبة للطفل والشاب

للاب القمص ابراهيم عطيه مدير الكلية الاكليريكية

إن كل ديانة تقوم على عناصر ثلاث : العقيدة . الأدب . الطقس . فالذين لا يهضمون العقائد يصبحون غير ملمين بالأدب أو الطقس ، أى لا يعرفون الديانة . وسر الإعتراف هو سر مقدس به يشكو الإنسان نفسه أمام الله على يد كاهن شرعى ليسمع منه إعلان الحل من خطيئته . وهو سر غريب فى طقسه فالمعترف يمثل ثلاثة أغراض ، الشاكى ، والمشكو، والشاهد . أما الكاهن فهو القاضى ، وتتجلى قيمة سر الاعتراف فى أنه يشبه بمدن الملجأ قديماً ، وكان يهرع إليها الخاطىء حين يشعر أنه يستحق الموت أو الاعدام فينجو منها . فسر الاعتراف هو مدينة الملجأ التى نحتمى بها . فالمرأة الزانية حين تقدمت إلى المسيح تبل رجليه بدموعها وتمسحهما بشعر رأسها كانت بذلك تعترف بأنها خاطئة ، وكانت لغة اعترافها هى الدموع فصفح عنها المسيح وقال لها : « أذهبى بسلام مغفورة لك خطاياك » ـــ فهنا نجد أن المرأة قد حصلت على الأمان لالتجائها إلى هذه المدينة العجيبة ـ مدينة الملجأ ـــ أو مدينة النجاة .

وسر الاعتراف معمودية أخرى لأن الإنسان لا تعاد معموديته إذ لا يمكن أن يولد مرتين ـــ وإنما دموع توبته وندمه تعتبر معمودية ثانية ، كما أن التناول يعتبر مثبتاً له من جديد فى صلته بالمسيح ، فيكون كسر الميرون تماماً . وقد يعترض بعض الناس قائلين كيف بعد الإثم والشر والإجرام تتم المغفرة بمجرد اعتراف بسيط و بكلمات قليلة . والإجابة عن هذا السؤال أن الله يريد أن يبسط أمامه وسائط الخلاص حتى يكون بلا عذر .

وشروط الأعتراف الصحيح :

١ ـــ الشعور بالخطيئة والحكم على ذاتك بأنك خاطىء . على أن يكون الدافع إلى ذلك لاخوفك من الجحيم وإنما لكى ترجع إلى إنسانيتك وفضيلتك السابقة .

٢ ـــ ويجب أن يتم الاعتراف أمام كاهن قانونى يتصل كهنوته بالرسل ثم بالمسيح له المجد .

٣ ـــ والتوبة لا يجب أن تكون مغرضة ـــ أيام الامتحان مثلا ، وإنما يجب أن تكون لذاتها وللرجوع إلى الله .

٤ ـــ وليحذر المعترف أن يشكو غير نفسه .

٥ ـــ وأن يكون صريحاً فلا يقول أنا مخاصم فلان ، أو أنا مختصر عن فلان ، لكنى لا أحمل له شيئاً فى قلبى ـــ فهذا نوع من التحايل على أن الاقتصار قد يكون أحياناً مفيداً إذا ترتب عليه دفع ضرر ، بشرط أنك إذا قابلته تحييه وتتمنى له الخير .

ولقد كانت الكنيسة فى عصورها الأولى تخصص آباء كهنة لتلقى اعترافات الشعب وحبذا لو رجعنا إلى هذا النظام فى عصرنا الحاضر.

وللكاهن المعرّف الأثر الأول فى اكتساب الشاب وفى تشجيعه على الاعتراف بما يتبعه معه من أسلوب الحكمة والرفق كالمسيح له المجد الذى تدرج مع السامرية من الحديث عن الماء الطبيعى إلى ماء الحياة الروحية. أما مع الطفل فإنى أسأله: «عملت حاجة؟» وذلك لأشعره أنه قد جاء ليقر بذنبه، ثم أسأله عن مواظبته على حضور مدارس الأحد وأوجهه للنواحى الإيجابية فى الفضيلة،

ولقد تابع القمص بولس بولس عمله الراعوى بإقامة الندوات والاجتماعات العامة التى ظل يدعو اليه كل من يعرفه من الخدام والخادمات. فكانت كل هذه الأنشطة تحت رعاية نيافة الأنبا توماس الذى رعى شعب البحيرة بكل أمانة.

٥ ــ أنبا تيموثيئوس ــ من رهبان دير كوكب البرية القديس أنطونى. دخله سنة ١٩١٥ وتسمى باسم حنانيا (١). وفى سنة ١٩٢٧ عين وكيل لأوقاف الدير بالقاهرة. ثم رأى الرهبان أن يقيموه رئيساً عليهم خلفاً لرئيسهم المتنيح، فعاد الى حياته الديرية فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩٢٨. وحينما دارت رحى الدعايات للكرسى الباباوى ــ تلك الدعايات التى انتهت بفوز الأنبا يؤنس الـ ١٩ ــ كان القس حنانيا الأنطونى أحد المرشحين (٢). فلما شغر الكرسى الأسقفى للدقهلية والبرارى ودمياط، رسم هذا الراهب الأنطونى عليه فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٣١. وكان كسيده الفادى الحبيب طويل الروح حليماً هادئ الطبع، كما كان على جانب كبير من السخاء والسعى للسلام. ولهذا كان الشعب يحبه حباً خالصاً، ويسارع نحوه كلما سنحت الفرصة، لأن وجهه اللطيف وابتسامته الحلوة ولحيته النازلة الى جيب قيمصه (٣). كان يجعل كل من يراه أن يعود بذاكرته الى بطاركة الكتاب المقدس.

وكان لغيرته ومحبته لكنيسة الآباء والأجداد لايرسم كاهنا فى إيبارشيته الا من خريجى الاكليريكية. ولهذا السبب رجا منه حبيب جرجس أن يكتب له كلمة تشجيع، فكتب له ما يأتى:

---

(١) هذا هو الشكل العربى لأسم أنيانوس الخليفة الأول لكاروزنا الحبيب الذى منح الرسامة المقدسة بيده الطاهرة إلى أنيانوس. راجع جـ ١ من هذا الكتاب، الفصل الخاص بمارمرقس.

(٢) يسعدنى أن أسجل بأن حبيب المصرى أنتخبه آنذاك. كذلك يسعدنى أن أسجل بأنى استمتعت بكرم ضيافته حينما هيأ لى الآب السماوى بركة زيارة الست دميانة بالبرارى. فقد كان الضيوف يتوافدون جماعات وأفراداً فتمد لهم الموائد، حتى إذا ما شبعوا وارتووا حلت محلهم جماعات أخرى. فكان سيلاً مستمراً على مدى أيام عيد الشهيدة القديسة: فالزوار لا ينقطعون، والعاملون تحت رياسة المطران الحنون لا يكلون! حتى لكأن هدوءه النفسى وعينيه الساطعتين مبعث قوة لهم.

(٣) مزمور ١٣٣ : ٢.

كلمة حضرة صاحب النيافة الاب الكلى الاحترام

الانبا تيموثاوس مطران الدقهلية (١)

حضرة الابن المبارك الأستاذ حبيب جرجس مدير المدرسة الاكليريكية

بعد الأدعية الصالحة ، ومنحكم باسم الرب البركات .

يمكنني أن أقول إن فضل هذا المعهد العلمي على الكنيسة القبطية ، أمر لا يحتاج الى برهان ، ولا يختلف فيه إثنان ، وإلفاتاً لنظر الشعب إلى معرفة قيمة وفضل هذا المعهد أقول :

إذا كانت الدول العظيمة تعلي شأنها وتحافظ على دوام استقلالها ، بمعدات حربية تحسبها قوة قوية كالبوارج والغواصات البحرية .

فخليق إذن بشعبنا القبطي وكنيستنا الأرثوذكسية ، المحافظة على دوام استقلالها الديني ، وسلامة بنيها من عبث الأيادي الأثيمة ، وتفشي روح التعاليم الغريبة فيها والعمل على اتساع نطاق هذا المعهد المعتبر خزانة لأسلحة الكنيسة ، كما قال الرسول معلمنا بولس « وأنت منذ الطفولة تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص الخ . »

ففي تقدم هذا المعهد تقدم لقيادة الشعب الروحية والأدبية ، ولا ينكر أحد الفرق بين العهدين كالفرق بين الظلمة والنور ، وآثار عمله في البلاد والقرى خصوصاً في هذا العصر .

أما سر نجاح هذا المعهد فبفضل نعمة الله التي قيّضت له رجالاً أمناء في خدمة الله دون المادة ، وعلى رأسهم غبطة البابا المعظم الأنبا يوأنس الذي يفخر بثمر عمله في عهده الميمون . وبصلواته وبحسن رعايته نرجو لهذا المعهد كل تقدم ونجاح على يديكم .

ونعمة ربنا تشملكم ولعظمته الشكر دائماً ،

١٢ بابة سنة ١٦٥٥ ـــ ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٨

تيموثاوس
مطران الدقهلية

---

(١) عن كتاب : « الاكليريكية بين الماضي والحاضر » لحبيب جرجس ص ١٨١ - ١٨٢ .

٦ ــ أنبا ديمتريوس ــ قصد الى دير الأنبا بيشوى واستقر فيه . وفى مارس سنة ١٩٣٠ اختاره إخوته الرهبان ليكون رئيساً . والعجيب أنه قضى سنة تماماً فى هذه الرياسة إذ قد نال الكرامة الأسقفية فى ١ مارس سنة ١٩٣١ على كرسى المنوفية . وكان ذا صوت شجى حنون ، شديد الحب للكنيسة ، كما كان سخيا . وحينما انزوى الأنبا مكاريوس الثالث فى دير الأنبا بولا كان ضمن الآباء الذين زاروه للاطمئنان عليه ، وفاءً للزمالة فى الرهبنة ــ لأن كليهما من دير الأنبا بيشوى .

٧ـ أنبا كيرلس ـ من رهبان دير كوكب البرية حيث عاش عدة سنوات . وفى ٢٢ فبراير سنة ١٩٣١ اختير رئيسا للدير . ولكنه لم يبق فى الرياسة غير ثمانية شهور وخمسة أيام رسم بعدها على كرسى قنا وقوص . وكان هو أيضا من محبى التفتيش فى الكتب ، وبالتالى كان كبير التقدير للعلماء ، يعلن تقديره إياهم جهاراً . وقد شيد كاتدرائية فخمة ، وألحق بها داراً للمطرانية لا تقل فخامة . فكانت محط الغادين والرائحين ، لأن الأنبا كيرلس كان وقوراً مهذباً يستقبل الجميع بحنانه الأبوى الجذاب . كذلك كانت شخصيته الرصينه مبعث قوة وثبات فى قلوب أبنائه .

٨ ــ أنبا مرقس ــ هذا الأب ــ مع كونه من مواليد جهينه بطهطا ــ قصد الى دير السيدة العذراء ــ برموس حينما رغب فى الرهبنة . فترهبن فى ٢٠ مايو سنة ١٩٢٢ باسم بشارة . وبعد عشر سنين من الرهبنة عينه الأنبا يؤنس وكيلا للباباوية بالاسكندرية . ولكنه لم يلبث أن عاد الى الدير . ثم التحق بمدرسة الرهبان بحلوان . وفى ٢٨ مارس سنة ١٩٣٤ نال كرامة الأسقفية على كرسى أبوتيج وطهطا . وبعد أن قضى سبع سنوات فى خدمة دوؤب وفى رعاية الشعب الذى ائتمنه عليه رب الكنيسة . لذلك رأى قداسة الأنبا يؤنس أن يبين له تقديره فدعاه وأقام الصلوات التى رفعته الى مطران ــ فى ١٧ أبريل سنة ١٩٤١ . وقد بنى الكثير من الكنائس ، وجدد القديم منها . كذلك وجه عنايته الى مختلف الأنشطة التابعة للكنيسة من مدارس وملاجىء ومشاغل . ولما كانت طهطا من أكبر المراكز للنشاط الكاثوليكى ، فقد شجع كهنته ووعاظه على تثبيت العقيدة الأرثوذكسية . ومن الذين استجابوا لتشجيعه القس مرقس شنودة الذى أصدر مجلة شهرية باسم « رسالة مار مرقس » ، استهدف من الأبحاث والمقالات التى نشرها فيها توضيح العقيدة الأرثوذكسية وإبراز الجهود الجبارة التى بذلها الآباء فى الذود عنها . ففى عددها الأول من السنة الخامسة (يناير سنة ١٩٥١) كان المقال الرئيسى هو « عظة عن سقوط الشيطان » عن كتاب « سلاح المؤمنين » للأنبا يوساب الأبح (١) . واستمر فى نشر هذا الكتاب فى سلسلة متتابعة من المقالات تدعيماً للتعاليم الأبوية فى القلوب . ولقد بدأ هذا القس الشاب جهوده حتى

---

(١) كان أسقفاً على كرسى جرجا ، عاصر الأنبا يؤنس الثامن عشر (البابا الـ١٠٧، سنة ١٧٧٠ـ سنة ١٧٩٧) كما عاصر ثلاثة غيره من الباباوات المرقسية . وكان عالما ضليعا فى العقيدة الأرثوذكسية . فلما أرسل الحبر الرومانى رسالة الى الأنبا يؤنس يحاول فيها استمالته هو وكنيسته القبطية الى الانضمام تحت لوائه ، طلب البابا الاسكندرى الى الأنبا يوساب ان يرد بنفسه على هذه الرسالة. راجع حـ ٤ من هذا الكتاب ص ١٥٣ ، ١٦٨ـ ١٨٣ .

وهو بعد شماس (باسم و يصا شنودة) ، فنشرت مجلة الايمان إعلاناً عن كتاب أصدره بعنوان « التاج المفقود » يناشد فيه الشباب أمثاله بالاحتفاظ بعفتهم . وقد ظهر هذا الإعلان فى عدد شهرى ديسمبر سنة ١٩٤٢ و يناير سنة ١٩٤٣ فى آخر صفحاته .

ولقد شاء الآب السماوى أن يمد فى عمر هذا المطران الجليل فعاش الى باباو ية الأنبا شنودة الثالث (١) (أطال الله حياته) . ولقد انتدبه البابا كيرلس السادس ليرأس الوفد القبطى الذى ذهب الى روما ليتسلم رفات الكاروز الشهيد من يد البابا الرومانى و يأتى بها الى القاهرة حيث أقيمت الاحتفالات البالغة الروعه احتفاءً بمرور تسعة عشر قرنا على استشهاد هذا الكاروز الأمين : وكان ذلك فى ٢٤ — ٢٦ يونيو سنة ١٩٦٨ . وقد بدئت هذه الاحتفالات بالقداس الالهى الذى اشترك فى تأديته مع البابا القبطى العظيم — أنبا كيرلس السادس — مندوبو الكنائس الأرثوذكسية اللاخلقيدونية (٢) . ولما انتهت هذه الصلوات القدسية التى اهتزت لها القلوب ، حمل البابا كيرلس بمعاونة بعض كهنته الرفات المقدسة ووضعها فى المزار الذى أقيم خصيصا لها تحت المذبح الرئيسى للكاتدرائية الكبرى التى أقيمت على أرض الأنبا رويس احتفاءً بهذه المناسبة الروحية العظمى .

ومما يجدر ذكره أن الأنبا مرقس نشر كتيباً أنيقا سنة ١٩٤٩ بمناسبة اليوبيل الفضى لمدارس الأقباط الكبرى فى أبوتيج وطما ، تتبع فيه نمو هذه المدارس وتزايد عددها وعدد التلاميذ والتلميذات فيها . فقال فى المقدمة : فى سبتمبر سنة ١٩٢٤ وضعت نواة هذه المدارس من فصلين فقط ، ولم يتجاوز عدد التلاميذ آنذاك الأربعين . والآن — وفى سبتمبر سنة ١٩٤٩ نرى هذه النواة وقد أصبحت شجرة عظيمة متفرعة الأغصان إذ قد صارت ست مدارس : واحدة ثانوية للبنين ، وثلاثة ابتدائية — إحداها للبنين ، وثانيتها للبنات فى أبوتيج ، وثالثتها مشتركة فى طما ، وروضتان للأطفال مشتركتان : إحداهما بأبوتيج وثانيتهما بطما . كذلك افتتح الأنبا مرقس قسماً داخليا سنة ١٩٤٦ للبنين الذين يريدون المجىء اليه من مختلف القرى . وفى السنة عينها شرع نيافته فى بناء مدرستين ابتدائيتين : إحداهما فى صدفا والثانية فى أولاد الياس ....

وهكذا انشغل هذا الأب الساهر برعاية شعبه وتعليمه روحيا وعقليا .

٩ — الأنبا ثيئوفيلس — لبس الزى الرهبانى فى دير الأنبا أنطونى باسم بطرس . ثم خدم فى كنائس الأراضى المقدسة وفى السودان عدة سنوات . ثم اختير رئيساً لديره فى آخر ديسمبر سنة ١٩٣١ . وفى ١٩ مايو سنة ١٩٣٥ رسمه البابا يؤنس مطرانا على القدس الشريف وكرسى الشرقية مع احتفاظه برياسة ديره . وقد كان ممن يوصفون بأنهم « تخمروا فى الرهبنة » إذ

---

(١) أى أنه عاصر خمسة باباوات .

(٢) راجع ما جاء عن خلقيدون فى الفصل الأول من جـ ٢ لهذا الكتاب .

قد تحلى بكل الفضائل الرهبانية ، ومن أبرزها فضيلة « الفرز » ([1]) . فقد رآه كل من نال بركة التقديس أيام حبريته جالساً على الكرسى الأسقفى فى هيبة ووقار ، فى صالون المطرانية ، يتلقى تهانى قناصل الدول وحاكم المدينة المقدسة ، صباح عيد القيامة المجيدة ، كما رآه المستيقظون فى الفجر المبكر لابساً جلابية وعلى رأسة طاقية يغسل أرض الكنائس مع رهبانه وأتباعه ([2]) .

ومن مآثره التى يجب ذكرها بالتقدير عطفه ورعايته المستمرة لجمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة . ولم تقتصر هذه الرعاية على مدها بالمال ، بل كثيراً ما كان يحضر الحفلات السنوية لمدارسها . ومن أشيق ما حدث أن أطفال مدرسة السيدة العذراء بالمهمشة أقاموا حفلة بمناسبة انتهاء السنة الدراسية مثلوا فيها بعض أمثال السيد المسيح ، الى جانب بعض من سير الشهداء . وكانت الحفلة تحت رعاية الأنبا ثيئوفيلس الذى بلغ به الفرح بالأطفال ما جعله يوزع عليهم الهدايا من عنده ، كما قدم خمسمائة جنيه للسيدة رئيسة الجمعية تشجيعا للعمل الذى تؤديه ([3]) . وكانت السيدات قد أعددن وجبة كاملة للأطفال تقديراً لجهودهم : وجبة من اللحم والخضار والأرز والحلوى والفاكهة . وكم كان شعورهن بالخيبة بالغاً إذ قد رفض الأطفال أن يأكلوا لأن « صوم الرسل ابتدا امبارح واحنا صايمين ! » و بأزاء هذا الإصرار على الرفض استنجدت إحداهن بالأنبا ثيئوفيلس . فجمعهم جميعا فى قاعة الطعام (التابعة للاكليريكية) ، وصلى معهم ثم قال لهم : « يا أولادى عليكم حل و بركة أن تأكلوا ما أحضرته لكم السيدات ، وغداً تصومون من جديد . ووقف فى وسطهم ريثما أجلستهم السيدات ووزعت عليهم الطعام ، ثم رسمهم بعلامة الصليب وانصرف .

ومن المحزن أن فلاحاً بعزبة الدير ببوش أطلق عليه الرصاص وهو يتفقد الزراعة ونموها فأرداه قتيلا .

حبيب حنين المصرى باشا يتحدث عن الانبا ثاوفيلس

نشرت جريدة الإنذار الغراء فى عددها الصادر يوم الاحد ٧ أكتوبر تحت هذا العنوان ما يأتى :

« قال لنا صاحب السعادة الأستاذ حبيب المصرى باشا عضو المجلس الملى العام إن الكنيسة القبطية فى مصر وفلسطين قد خسرت خير أحبارها العاملين بوفاة مثلث الرحمات الأنبا

---

(١) ومعناها أن تعرف مع من تتكبر ومع من تتواضع .

(٢) وأشكر الله أن أبى وأمى واخوتى وأنا - كلنا قد سعدنا برؤيته فى الموقفين كما سعدنا باستضافته إيانا فى مدينة ملك السلام وبحضوره حفلات جمعية تربية الطفولة .

(٣) ومرة اخرى نذكر القراء أن هذا المبلغ يساوى عشرة أضعافه - إن لم يكن أزيد .

ثاوفيلس . فان آثاره فى نهضة الكنيسة وأفكاره الشديدة فى الإصلاح . وأعماله الباهرة فى القدس . وفى أبروشيات الشرقية والمحافظات ، أثبتت بحق أنه كان من نوابغ المفكرين . ولا يمكن أن يُنسى ممن زاروا القدس . أو تتبعوا ما بذله من الجهود فى كل دائرة هناك . كيف كان نيافته رحمه الله وطيّب ثراه يحتل فى نفوس الناس من جميع الأديان أرفع مكانة بمبادئة السامية وأخلاقه العالية : وفضائله وطهارته . وإذا كانت الكارثة فادحة الى هذا الحد بفقده على غير انتظار . فإنا نرجو الله ان يعوض الكنيسة بمن يسيرون على نهجه إلى الغايات الرفيعة ويحذون حذوه فى الإصلاح والتعمير والتشييد والتدبير فقد عاش حياته وهو يخدمها . ومات وهو يجاهد فى سبيلها » . أهـ

و « الوطنية » تقول إن سعادة الباشا برهن بشهادته هذه على نبله اذ قرر الحقيقة التى لمسها بيده فى زياراته المتكررة لفلسطين . وفى هذه الأعمال التى رآها رأى العين فى القاهرة وبوش والشرقية والمحافظات مدة وكالته للمجلس الملى . وطالما كنت أسمع من سعادته هذه الإشادة والترنم بمناقب المتنيح الأنبا ثاوفيلس ولا سيما الإدارية والإصلاحية منها . وقد نشرت ما سمعته من سعادته فى حينه عن هذا الحبر العظيم . وفى اعتقادى ان خليفة الباشا على كرسى وكالة المجلس رغم الخصومة القاسية التى بينه وبين فقيدنا جميعاً سينشر تقديره لفضائله عند عودته من لبنان باذن الله . فالشكر لسعادة النابغة الكريم الاستاذ حبيب المصرى باشا . لانه أحسن غيبة الراحل العظيم

(الأنبا ثاوفيلس ـــ الجرىء المقدام شهيد الواجب)

إن جمعية الشبان الأقباط الأرثوذكس لتعترف بالجميل لنيافة الراحل الكريم لتفضله بشمولها برعايته الروحية وتقديره لجهودها وتشجيعها على تأدية رسالتها فى جميع مرافق الشعب القبطى الارثوذكسى الحيوية . وفى إن بكته انما تبكى فيه الجرأة الحقة والإقدام والمثابرة على رفع شأن الكنيسة والمحافظة على قوانينها وطقوسها . فقد كان رحمه الله حركة مستمرة يواصل ليله بنهاره لتنفيذ برنامجه الإصلاحى الذى قطف الشعب ثماره اليانعة حيث رفع شأنه وأعلى كلمته فى وادى النيل وفى الأقطار الشقيقة لأنه كان من خيرة ممثلى الكنيسة المقدسة .

ففى القدس وفى المحافظات والمديريات التابعة لابروشيته أصلحت الكنائس القديمة وتجددت وكثرت بجوارها الكنائس الجديدة ونشطت الجمعيات الدينية والخيرية حيث كان يشجعها ويمدها أدبياً ومادياً بما يلزمها للقيام برسالتها

أما عن دير الأنبا انطونيوس المشمول برئاسته فبفضله وإقدامه أصبح مفخرة للأقباط عموماً وينبوع صلاح وثقافة حيث جمعت مكتبته المنظمة الكثير من المخطوطات والمؤلفات القديمة والحديثة . الدينية والاجتماعية مما رفع مستوى الدير وقاطنيه من الآباء الرهبان المحترمين . هذا

فضلا عن إنماء ثروة الدير ومتانة نظامه وتجديده من جميع الوجوه . أما عن مواقفه المشرفة الجريئة فى الدفاع عن حقوق الكنيسة وكرامة المجمع المقدس فحدث ولا حرج لأن الجميع يعلمون علم اليقين وقعائه المشهورة ودفاعه المجيد لإرجاع.الحق دائما الى نصابه وإلزام الجميع باحترام المجمع المقدس وتنفيذ قراراته . وكم كان يتحمل فى صبر جميل من الافتراءات والادعاءات الباطلة الموجهه اليه . وكان رده الوحيد عليها الاحسانات مقابل الاساءات لا عن ضعف أو خوف إنما عن محبة مسيحية وسعى متواصل لايجاد الوحدة القومية بين جميع أفراد الشعب و بين الاكليروس

وإنا لعلى يقين من ان الجميع فى حسرة ولوعة على جهاده وخدماته وإصلاحاته وقلما يسد الفراغ الذى تركه شهيدنا فى هذا الوقت العصيب . اللهم الا إذا عمل المجمع المقدس على تنفيذ رسالته باتحاد أعضائه اتحاداً قو يا يشمل الكنيسة وأبناءها جميعاً

جورج منصور جرجس ــ رئيس جمعية الشبان الاقباط الارثوذكس (١)

٣٨ أ ــ صحيح أن الآب السماوى قد **منح الإيغومانس ميخائيل مينا** أن يعاصر ثلاثة من الباباوات المرقسيين هم : الانبا يؤنس الـ ١٩ ، الأنبا مكاريوس الثالث ، الأنبا يوساب الثانى . ولكن بما أن عمله الراعوى الكبير قد ارتبط بالأنبا يؤنس الذى عرفنا أنه عينه ناظراً للمدرسة الرهبانية اللاهوتية بحلوان ، كما منحه الكرامة الكهنوتية بعد ذلك ، رأينا أن نربط بينه وبين هذا البابا الذى أولاه ثقته . ومع عظيم الأثر الذى أحدثه هذا الراعى الأمين إلا أنه معروف بعمله أكثر مما هو معروف بسيرته ــ فهو أيضا ضمن الجنود المجهولين الذى يتحدث عنهم جهودهم .

ولعدم إمكانية الوقوف على معلومات عنه نسجل لمحتين عابرتين يدرك القارىء خلالهما قيمة الجهد الذى بذله طيلة حياته :

تحريراً فى ٢١ / ٣ سنة ١٦٥٥ (٣٠ / ١١ سنة ١٩٣٨)

حضرة صاحب السعادة المحترم حبيب بك حنين المستشار الملكى

سلاما وتحية روحية ــ وبعد فقد كنت ممن حظوا أمس بسماع خطاب سعادتكم الممتع الذى جاء آية ودليلا على عبقريتكم لما حواه من العبارات البليغة التى سحرت القلوب وملكت الأفئدة وتركت فى النفوس أثراً لايمحى .

---

(١) جريدة الوطنية- الخميس ١٨ أكتوبر سنة ١٩٤٥ .

وإنـي وحـقـك لمـعـجـب بهـذا الخطاب إيما إعجاب ومازلت ولن أزال أشيد بمدحه وأثرتم بذكره ضارعاً الى القدير أن يزيدكم من فيض نعمه

هـذا وإنـي أتشرف بأن أقدم لسعادتكم مؤلفي (علم اللاهوت) بمجلداته الثلاثة مصداقا لإعجابي ببراعتكم وعظيم إخلاصكم وأكون شاكراً لو تفضلتم وقبلتموه مني هدية إخلاص وتقدير

وتكرموا بقبول احترامنا ــ وله الشكر دائما ،

ناظر المدرسة اللاهوتية
القمص ميخائيل (١)

المتنيح الايغومانس ميخائيل مينا

يـرتـعـد القلم بين أناملي إذ أنعى لقراء « الإيمان » نجم الكنيسة الذي أفل وكوكبها الذي هـوى بـنـيـاحـة الأب الـعـلامة واللاهوتي العميق الايغومانس ميخائيل مينا ناظر مدرسة الرهبان اللاهوتية بحلوان والكاتب الأول لمجلة الإيمان وصاحب الموسوعة اللاهوتية والعظات الذهبية .

لاقـى ربـه فـجـأة بـعـد أن خـدم جيله حسب مشورة الله تاركاً وراءه فراغاً لايسد وألماً لا يـوصـف : حـيـاة مـلـيـئـة بـالثمـار كـلها نشاط وأنتاج لأنها حياة التكريس الكامل وحياة الخدمة المثالية .

كـان نـيـح الله نـفـسه إذا ما وعظ بكى وأبكى لأنه يتحدث بالروح الى الأرواح والقلب الـى الـقـلـوب . وإذا مـا كتب، نقب عن أثمن الجواهر وبحث عن أغلى الكنوز فيقدمها تحفة نادرة للأجيال وهدية ثمينة للكنيسة .

كـان معلماً للأحبار معنياً كل العناية بمن تضمهم مدرسة الآباء الرهبان التي أوكل اليه أمر تدبيرها ورعايتها . فلا غرابة أن بكته الكنيسة وحزن على رحيله الأقباط لأن الخطب فيه جلل والخسارة جسيمه .

غير أن إيمـانـنـا ورجـاءنـا الصالحين في الله براحة الخلود وسكنى النعيم لها أكبر معز لنا .

---

(١) يـشير حـضرة الأب المكرم الى خطاب كان ألقاه حبيب المصري على طلبة المدرسة اللاهوتية التي كان قد أنشأها قداسة الـبـابـا الأنـبـا يـؤنس . ومما هو جدير بالذكر أن هذا المعلم اللاهوتي الكبير كتب ـ الى جانب مؤلفه الضخم المشار اليه ـ عدة كتب ومقالات عن العقيدة الأرثوذكسية الصميمة . ومن أهم هذه الكتب « تحفة هذا الجيل في شرح التوراة والانجيل » الذي نشرته مجلة الأيمان تـبـاعـاً ابتداء من العدد الثاني للسنة السادسة والعشرين الصادر في بابة سنة ١٦٧٣ ش = أكتوبر سنة ١٩٥٦ .

ففى سبيل الله قضت هذه النفس الكريمة وفى سبيل الخدمة والرسالة جاهدت الى النفس الأخير . ولم تلق العلم من يدها حتى ودعت الجسد على رجاء اللقاء .

فالى موضع النياح الأبدى أيها الواعظ المؤثر والأب الروحى حيث الأربعة وعشرين قسيساً ولا تنسى أن تذكرنا أمام عرش النعمة لننظر الى نهايتك فنتمثل بايمانك ،

غطاس بشاره (١)

٣٨ ب ــ العلمانيون .

العلامة عازر ارمانيوس

هو الأب عازر الراهب النقى بدير الانبا بولا بالصحراء الشرقية ــ كان رحمه الله صيدليا كبيراً خدم الجيش المصرى بالسودان برتبة يوزباشى وحضر وقائع فتح السودان وأنعم عليه بمداليتى الحرب السودانية ــ ثم تعين كبير صيادلة القصر العينى . وقام بتدريس فن الاقرباذين بمدرسة الحكيمات بالقصر . ثم ترك خدمة الحكومة وفتح صيدلية السلام التى خدم بها الفن والإنسانية فى شخص الفقراء

ومن مؤلفاته التى خدم بها جيله ــ مذكرة الأطباء والصيدليين فى الطب والاقرباذين ــ والمذكرة اللغوية لابن أرمانيوس ــ تذكرة ابن ارمانيوس أكبر كتاب ظهر بالعربية لشرح المادة الطبية ــ قاموس النبات الطبى باللغات الأربع اللاتينية والفرنسية والعربية والانجليزية ــ المجموعة النباتية الصغرى ــ قاموس الجيب الطبى ــ

اشتهر رحمه الله بالصبر والتقوى . تزوج وماتت زوجته وتركت له ابنين رباهما أحسن تربية . ولكنهما ماتا فى شرخ الشباب الواحد بعد الآخر . فقابل جميع هذه الكوارث بالصبر الجميل . وختم حياته بدخول دير الأنبا بولا وانقطع للعبادة والنسك وتنيح فى ٢٥ نوفمبر ١٩٤٠ . نيح الله روحه فى فردوس النعيم (٢)

٣٩ ــ إنه مادام الهدف من دراسة التاريخ هو معرفة أمجاد كنيستنا فان هذا الهدف بعينه يحتم علينا الحرص على التراث الأبوى . ومثل هذا الحرص نراه واضحاً فيما يلى :

أطلعنا حضرة الأستاذ الكريم يوسف أفندى جرجس سكرتير القصر البطريركى على وثيقة تاريخية عظيمة القيمة ، وهى عبارة عن درج مخطوط طوله أربعة أمتار وعرضه ١٦ سنتيمتر

---

(١) مجلة الأيمان عدد ١ للسنة السادسة والعشرين : توت سنة ١٦٧٣ ش (سبتمبر سنة ١٩٥٦) ص ٤٣ .

(٢) مجلة نهضة الكنائس ــ أبريل سنة ١٩٤١ ــ ص ٦٣

على رأسه جملة « بسم الله الرؤوف الرحيم » وتحتها جملة « يا الله الخلاص » بالخط الديوانى الكبير، « رئيس الكهنة يؤانس سنة ١٤٨٤ للشهداء » مكتوبة باللغة القبطية و بالحبر الأحمر وصادرة من غبطة البطر يرك ومبصومة بخاتمه القبطى على شكل قربانة . الى أبناء الكنيسة اكليروساً وشعبا بمصر والقاهرة وضواحيها ، يذكر فيه أمانة الكنيسة مفصلة منذ خلقة آدم ، وعقيدة التثليث والتوحيد ، وسر التجسد الكريم ونبوات الأنبياء عنه الى ان أخذ يوضح عقيدة الكنيسة فى طبيعة المسيح الواحدة قال :

« نعترف بابن الله المولود من الأب خاصيا أزليا قبل كل الدهور، وولد من مريم العذراء بالجسد فى آخر الأزمان من أجل خلاصنا ، كما علمنا بولس المغبوط اذ يقول : إنه لما دنا كمال الزمان أرسل الله ابنه ، فكان من امرأة ، وهذا الواحد هو الاله ، وهو ابن الله بالروح ، وهو ابن الانسان بالجسد ، ولسنا نقول عن هذا الابن الواحد إنه طبيعتين ، واحدة نسجد لها وأخرى لا نسجد لها ، بل طبيعة واحدة لله الكلمة ، تجسدت ، نسجد لها مع الجسد ، سجدة واحدة ، ولا نقول باثنين : واحد هو ابن الله بالحقيقة وله نسجد وآخر انسان من مريم لا نسجد له ، وإنه صار ابن الله بالموهبة مثل البشر، بل الذى هو من الله ، وهو الله كما قلنا سابقا ، وهو ابن واحد لله ، هو هو المولود أيضا عن مريم بالجسد فى آخر الأزمان وليس هو آخر كما قال الملاك للعذراء مرتمريم

عندما سألته قائلة : كيف يكون لى هذا وانا لم أعرف رجلا قط ، فقال لها روح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك ومن أجل هذا الذى تلديه قدوس وابن الله يدعى .

فالذى ولد من مريم البتول هو ابن الله بالطبيعة ، وهو الاله بالحقيقة وليس بالنعمة ولا بمشاركة اللاهوت ، هو إنسان بالجسد وهو ابن الله بالروح وهو الاله الوحدانى ، وتألم بالآلام التى لنا كما هو مكتوب إن المسيح تألم بالجسد عنا ، وهو غير متألم بالروح ، وقال أيضا بولس الرسول إن الله لم يوفّر ابنه وحيده بل بذله عنا جميعا ، و بقى بحاله دائما بدون تغيير لأنه غير مستحيل باللاهوت كما قال النبى إنى أنا الله ولم أتغير، ومات بموتنا عن خطايانا لكى يبيد الموت بموته كما قال الرسول : اذ يقول ابتلع الموت بالغلبة ، وأين شوكتك ياموت ، وأين غلبتك ياجحيم ، مات المسيح عن خطايانا كما فى الكتب ، و بقى بحاله دائما غير مائت باللاهوت ، وغير مضبوط بالموت ، كقوة الله الآب غير المتألمة ، كما قال بطرس الرسول . إن الموت لم يستطع أن يضبطه . وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب أعنى الكلمة بجسده الذى رفعه عن الأرض . كما قال داود النبى : قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك تحت موطىء قدميك ، فهو غير محوى باللاهوت ، وهو يحوى مع الأب كل الأماكن ، هو أبدى من ابدى وهو مع أبيه أزلى كقوة الله الآب غير المدركة كقول بولس الرسول : « إنه قوة الله ، وحكمة الله ، و يأتى هذا الاله الواحد الوحيد ابن الله . ليدين الأحياء والأموات كما وعد » وكما قال أيضا : « إن الذى يدين المخفى من الظلمة و يبين أفكار القلوب . و يأتى بكرامة . و يلوم كل واحد كاستحقاقه » .

فالذى يعلم غير هذا التعليم ، الذى هو من كتب الله المقدسة و يقول إن ابن الله هو غير الانسان المولود من مريم ويجعلوه ابناً بالنعمة مثلنا حتى أنهم جعلوه اثنين ، واحد طبيعى هو ابن الله ، وآخر بالنعمة هو الانسان الذى من مريم العذراء . والذى يقول إن جسد الرب من السماء وليس هو من مريم العذراء أو إنه استحال باللاهوت إلى الناسوت أو اختلط معه أو تغير أو إن لاهوت الابن تألم أو إن الجسد الذى للرب غير مسجود له كأنه جسد انسان فقط . ولا يقول إنه مسجود له ، لأنه جسد الرب الاله فهذه الكنيسة المقدسة تحرمه اذ سمعت العجيب بولس وهو يقول : « إن بشّركم أحد بغير ما سمعتموه منا فليكن محروما » .

وهنا استشهد بأقوال ساويرس بطريرك انطاكيا ، وإغناطيوس ، وغريغوريوس الثاولوغس وباسيليوس وبوليدس ، و بُرُلكس ، وأثناسيوس ، وكيرلس عمود الدين ، وديسقوروس ، التى تدعم ما سبق قال :

فنحن نحرم نسطور الكافر القائل بطبيعتين وأقنومين ومشيئتين وفعلين وإرادتين ، ونحرم أوطاخى القائل إن الكلمة استحال وصار جسداً لطيفا ، لأنه قال بطبيعة واحدة ولم يعترف و يقول بغير اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة . ونحرم المجمع الخلقيدونى القائل بطبيعتين ومشيئتين وفعلين وإرادتين تابعتين كقول لاون بطركهم القائل عن الاله الكلمة إنه صورتان كل واحدة تفعل ما يخصها واحدة تفعل العجائب وأخرى ملقية للشتائم

وأما نحن فنعترف بأن ربنا يسوع المسيح أخذ جسداً كاملا من سيدتنا كلنا والدة الاله القديسة الطاهرة مرتمريم وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة ولا تغير . وأعترف الاعتراف الحسن أمام بيلاطس البنطى . وأسلم ذاته عنا على خشبة الصليب المقدس بإرادته وحده ، ونعترف ونؤمن بأن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا غمضة عين .

ثم ختم هذا الطرس البطريركى بحض شعبه على التمسك بعقيدة الرسل والآباء ، ولا يميل الى التعاليم الأجنبية والذئاب الخاطفة ، ثم منحهم البركة الرسولية ، وأرّخه هكذا : وكانت كتابة هذا الدّرَج الشريف يوم الاثنين المبارك خامس عشر ابيب سنة ١٤٨٨ ش — الموافق ١٤ ربيع الثانى سنة ١١٨٦ هلالية هجرية

وقد كتب فى نهاية هذا الدرج الأسقف أنطونيوس ما يأتى : —

« أنا الحقير انطونيوس أسقف الأقباط اعترف بهذه الأمانة التى لآبائنا القديسين الأب المعظم أنبا كيرلص بطريرك الاسكندرية . والقديس أثناسيوس وأبينا القديس ديسقورس ، والأب الفاضل ساويرس بطريرك انطاكية . وأحرم لاون القائل : إن فى ابن الله فعلين وطبيعتين . وأحرم المجمع الخلقيدونى وكل من يقول بقوله أو يعتقد بأمانته وأحرم مرقيان و يلثرية

زوجته ، وأنا الحقير أنطونيوس أكون محروما إن كنت أرجع الى دين الافرنج مثل ما كنت القائلين بالطبيعتين والمشيئتين بل أعترف بطبيعة واحدة لله الكلمة المتجسدة (١)

والأنبا يؤنس الثامن عشر هو البابا السابع بعد المئة ، وقد وردت سيرته فى جـ ٤ من هذا الكتاب ص ١٤٨ ــ ١٨٤ . أما الأنبا أنطونيوس الذى جاءت كلماته تحت ما كتبه البابا المكرم ، فقد حدث له أن وقع تحت تأثير الكاثوليك وترك كنيسته كما ورد على ص ١٦٢ . ولقد فرحت فرحاً عظيما لعثورى على هذه الوثيقة لسببين :

أولا ــ التواضع العجيب الذى اتصف به الأنبا يؤنس الثامن عشر ، إذ نرى من رسالته كيف أنه أوضح العقيدة الأرثوذكسية بجلاء ، ثم استحث شعبه على التمسك بها . ومع ذلك فحينما أراد أن يجيب على المناورة الرومانية بعث الى الأنبا يوساب بن الأبح طالباً إليه أن يكتب الرد (ص ١٦٣ و١٦٨ ــ ١٨٣) .

ثانيا ــ إن المعلومات التى كانت فى متناولى يوم الكتابة عن الأنبا يؤنس الثامن عشر وعن عصره لم ترد فيها توبة الأسقف الذى كان قد استماله إغراء الكاثوليك . ولكننا نرى من الوثيقة المنشورة هنا أنه كتب بخط يده معلنا توبته . إذن فكلما فتشنا فى الكتب ازدادت معرفتنا وازداد إدراكنا بقيمة تراثنا الكنسى .

٣٩ ب ــ ولئن كان الحرص على تراث الماضى ذا قيمة عظمى ، فإنه يستلزم بالضرورة الحرص على القيم الأدبية الروحية حاليا . لهذا نجد أنه حتى ساعة خلو الكرسى المرقسى يؤدى القائمقام البطريركى الأمانة التى وضعت على عاتقه رغم كونها مؤقتة ، لكى يسلم الوديعة المؤتمن عليها الى البابا ــ ساعة أن يجيء ــ كاملة قدر استطاعته . وهذا ما حدث بعد انتقال الأنبا يؤنس الـ ١٩ الى الفردوس ، إذ قد تعاون القائمقام الباباوى مع المجلس الملى ووكيله للدفاع عن حق الاحتفاظ بكيان العائلة المسيحية وفقاً لتعاليم سيدها . وإليكم نص المذكرة التى رفعوها الى المسئولين فى الحكومة عن هذا المبدأ الحيوى :

وننشر فيما يلى نص المذكره التى أقرتها الجمعية العمومية للمجلس الملى العام فى جلسة يوم ٢٥ يناير الماضى وقدمها نيافة قائمقام البطريرك الى رفعة مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء ومعالى محمد صبرى أبوعلم باشا وزير العدل وسعادة على زكى العرابى باشا رئيس مجلس الشيوخ وسعادة عبد السلام فهمى محمد جمعه باشا رئيس مجلس النواب بشأن مشروع قانون المواريث والوصايا قبل عرضه على مجلس الشيوخ

---

(١) عن مجلة جمعية نهضة الكنائس بعددها الصادر فى يونيوسنة ١٩٤٩ ص ١٤٥-١٤٨ .

وقد أعد هذه المذكرة حضرة صاحب السعادة الأستاذ حبيب المصرى باشا وكيل المجلس الملى العام فى ذلك الوقت

١ ـــ اتصل بالمجلس الملى العام للأقباط الأرثوذكس أن مجلس الشيوخ سينظر بجلسة اليوم فى مشروع قانون يقضى بأن تكون أحكام الشريعة الإسلامية هى قانون البلد فيما يتعلق بالمواريث والوصايا .

٢ ـــ أما فيما يتعلق بالمواريث فان الذى جرى عليه العمل إلى الآن إنه فيما عدا حالة اتفاق ذوى الشأن على تطبيق أحكام دينهم فيها يجرى توزيع التركة على مقتضى أحكام الشريعة الإسلامية .

ولكن المشروع المعروض الآن يتجاوز مسألة التوزيع ذاتها إلى مسائل أخرى هى من صميم الأحوال الشخصية ومن صميم النظام العائلى . مما لا يجوز إطلاقا أن تطبق فيه غير أحكام القانون الدينى لذوى الشأن وأخص تلك المسائل ما يتعلق بصحة الزوجية وبصحة النسل فان الزوجية قائمة فى كلا الشريعتين الاسلامية والمسيحية على قواعد مختلفة

فالإسلام يبيح تعدد الزوجات . والنصرانية تحرمه . والإسلام يبيح الطلاق والمذاهب النصرانية التى تسمح به استثناءً ولضرورة قصوى لا تجيزه إلا بشروط وقيود شديدة وعلى أن يصدر به حكم قضائى نهائى من المحكمة الملية المختصة . فضلا عن أن الزوجية المسيحية عقد دينى لا يتم بالاتفاق بين الزوجين فحسب . بل هو لا ينعقد إلا بإتمام الطقوس والمراسم الدينية على يد الكاهن بحيث إنه عند عدم إتمامها لا يكون لهذا الزواج وجود قانونى

كذلك الحال بالنسبة لثبوت البنوة . فان الولد لا يعد فى الشرائع المسيحية ولداً شرعياً إلا اذا ثبت انه مولود من زواج تم على الوجه الدينى الصحيح . وكل إقرار بالبنوة يصدر من الأب فى ورقة رسمية أو غير رسمية لا قيمة له مالم يثبت أولا أن الأم زوجة شرعية للأب فى حين أن الإقرار بالبنوة يعد صحيحاً فى الشريعة الإسلامية متى تم طبقاً للشروط والأوضاع الشرعية من غير بحث فى أمر الرابطة الزوجية بين الأبوين .

فاذا اعتبر القانون أن الشريعة الإسلامية هى الشريعة الواجبة التطبيق فى كل ما يتعلق بالميراث لا من حيث التوزيع وحده ولكن من حيث أسباب الميراث كذلك ومن حيث كل ما يتصل بالميراث من دعاوى فرعية فسيكون الاثر المترتب على ذلك أن الشؤون العائلية للمسيحيين من زواج ونسب تخضع لقواعد وأحكام مخالفة لأحكام دينهم لاسيما وهذه الشئون لا تثار على الغالب إلا بمناسبة دعاوى الميراث . وقد يلحق بنسب رجل شخص لا تربطه به رابطة طبقا لأحكام دينه وبذلك تتزعزع دعائم نظام الأسرة لدى المسيحيين . وهو ما تأباه عدالة المشرع

المصرى الذى يكفل لجميع الناس على اختلاف العقائد المساواة التامة أمام القانون . و يكفل لهم حرية العقيدة و يكفل لهم على الأخص إحاطة نظام الأسرة لديهم بسياج من أحكام دينهم

ولهذا فان المجلس الملى العام للأقباط الأرثوذكس يتقدم للحكومة المصرية . وللبرلمان المصرى . باسم الأقباط عموما طالباً لما لهم على حكومتهم وأمتهم من حق الإنصاف وحق المطالبة بتدعيم نظام الأسرة لا بإضعافها أن يقف المشروع عند حد توزيع التركة طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية . فإذا ثار أى خلاف على مسألة الزوجية . أو مسائل النسب أحيل الفصل فى هذا الخلاف أولا إلى الجهة الملية المختصة

٣ ـ أما فيما يتعلق بالوصايا . فإن الحكومة تعلم أن وصايا غير المسلمين عامة كان يطبق فيها لغاية سنة ١٩٣٤ أحكام دين الموصى . وقد جرى التشريع وجرى القضاء على ذلك دواما . ولم يتغير الأمر إلا من عهد صدور حكم من محكمة النقض فى سنة ١٩٣٤ يخالف تلك القواعد . و يقضى بتطبيق الشريعة الإسلامية فى أمر الوصايا . ثم صدر حكم آخر من محكمة النقض بهذا المعنى فى سنة ١٩٤٣ ولكن معظم الأحكام السابقة ومنها أحكام محكمة النقض والمحاكم المختلطة بل والمحاكم الشرعية كانت مجمعة على وجوب تطبيق القانون الدينى للموصى .

وتعلم الحكومة أن غير المسلمين عموما على اختلاف أديانهم ومذاهبهم جهروا بالشكوى من تطبيق أحكام دين غير دينهم فى أمر الوصايا . وطالبوا بأنه مادام التشريع المصرى لا يضع للوصايا قانوناً مدنياً محضاً ومادام يجرى على اعتبار الوصية من المسائل الشخصية التى يطبق فيها حكم الدين فيما يتعلق بالمسلمين فمن العدل أن يطبق على غير المسلمين أحكام دينهم كذلك وإلا كان فى هذا تفرقة فى المعاملة لا توحيداً

٤ ـ وكان المجلس الملى العام للأقباط بل كان غير المسلمين كافة يتمنون لو أن الحكومة عالجت مسائل الأحوال الشخصية كلها علاجاً عاما كما وعدت فى خطاب العرش السابق بتشريع شامل يقطع كل أسباب الشكوى . فان لغير المسلمين شكاوى عديدة فى الوقت الحاضر . فنظام الأسرة مهدد . وهو عرضة لعدم الاستقرار وللكثير من المتاعب بسبب اشتراك المحكمة الشرعية والمحكمة الملية بالاختصاص وادعاء كل منها أنها صاحبة ولاية القضاء فى الدعوى المرفوعة اليها و بسبب عدم تحديد القانون الواجب التطبيق فى كل حالة تحديداً دقيقاً عادلا

والمجلس الملى العام والأقباط جميعاً بل وغير المسلمين عموما . واثقون كل الثقة أن الحكومة العادلة معنية بهذا الأمر أشد عناية . وأنها لن تنسى وعدها لهم

فمن المصلحة إذن عدم تجزئة هذه المسائل ومعالجتها كلها معاً . لأنها متصلة فيما بينها اتصالا وثيقاً

وإذا كان لابد من تمرير مشروع القانون الخاص بالميراث فى الوقت الحاضر فليقصر أمره على تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بتوزيع الأنصبة بين الورثة مع الاحتفاظ للقانون الملى . وللقضاء الملى . بمسائل الزوجية والنسب المتفرعة عنه وتأجيل ما يتعلق بالوصايا الى التشريع العام الذى تعتزم الحكومة التقدم به للبرلمان طبقاً لوعدها .

وفيما يلى نص الكتاب المرفق بهذا القرار، والموجه الى حضرات من ذكرنا اسماءهم فى صدر هذا القرار، وهو بعد الديباجة :

« أتشرف بأن أرسل لحضرتكم مع هذا صورة القرار الذى أصدرته الجمعية العمومية للمجلس الملى العام للأقباط الأرثوذكس فى شأن المشروع المعروض على البرلمان باعتبار الشريعة الإسلامية هى قانون البلد فيما يتعلق بالميراث والوصايا وإننا لشديدو الرجاء فى أنكم ستعيرون هذا الموضوع الخطير ما هو جدير به من عناية ، وبما يتفق مع ما عرف عن المشرع المصرى ، والسلطات المصرية عامة من رحابة الصدر والاستمساك بروح العدالة ، ومن رعاية كل ما يتعلق بنظام الأسرة المصرية ... »

قائمقام البطريرك
الأنبا يوساب

٤٠ ـــ « ستى من التاريخ » : قد يستغرب القارىء من هذه التسمية والكتاب الذى بيده خاص بالتاريخ من بدايته الى نهايته . ولكن الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين الذى ترك لنا ستاً وعشرين كتابا غير موسوعته الضخمة عن بطاركة الاسكندرية ، معروف لنا بكتاباته ومع ذلك فهو جندى مجهول ! ولما كانت شهادة الذين هم من خارج لها أثر قوى رأينا تكريم الأسقف البحاثه باحدى هذه الشهادات :

بطاركة الكنيسة المصرية
للمؤرخ ساويرس بن المقفع

ألقت الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف أستاذة التاريخ المساعدة بجامعة عين شمس . محاضرة قيمة عن تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية . وكان ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين أهم مرجع اعتمدت الدكتورة عليه

وقد ذكرت أن العلماء والباحثين فى تاريخ مصر الإسلامية اعتمدوا فى دراساتهم وأبحاثهم على مؤرخين مسيحيين ، ولكنهم اهملوا ساويرس بن المقفع وذلك لأنه أرخ للكنيسة والبطاركة فظنوا خطأً أنه أهمل التاريخ الاسلامى وقالت إن ساويرس مزج بين التاريخ والدين

فيا كتب . وقد استمد دراساته من الوثائق القبطية واليونانية التى كانت محفوظة فى الأديرة والتى كتبها شهود عيان ، فضلا عن الأحداث التى وقعت أثناء حياته

واهتم بمدينة الاسكندرية و بين أهميتها التاريخية والتجارية . وسماها المدينة العظمى لأنها كانت مقرا لبطريركية الأقباط

وأوردت الدكتورة فى محاضراتها ألفاظا كثيرة قبطية و يونانية منها أسماء مدن وقرى مصرية لم يرد ذكرها فى المؤلفات والمعاجم وإنما ذكرها ساو يرس فى مؤلفاته

٤٠ ب ــ واستكمالاً للخطبة التى ألقاها فضيلة الشيخ الشرعى فى الاحتفاء بعودة قداسة البابا يؤنس من اثيوبيا ، نسجل ما كتبه مواطن كريم فى مقاله الذى له قيمة خاصة هذه الأيام :

الدين لله والوطن للجميع

بقلم الأستاذ إبراهيم محمود الوردانى

إذا كنت تلبية لداعى الضمير والحق قد أتيت على بعض الحوادث الدالة على وفاء القبط لمصر ولأسرة محمد على فإنصافاً لهم أمام الناس والتاريخ أذكر تلك الحوادث التى تبرز دالة على وطنية كالشمس لا ينكرها سوى الأعمى .. بل وسيقتنع بهذه الحقائق من لازم القبطى فى عبادته العامة والخاصة وسمعه فى خلوته يدعو لولى الأمر بل يراها من يزامله فى عمله و يراه مثل الأمانة والجد والنزاهة فى تجارته وصناعته وزراعته ووظيفته تحقق أن من كان وفيا لعمله كان وفيا لأسرته ووطنه وحاكمه

وأذكر على سبيل التدليل ما أطلعت عليه من هذه الحوادث التى ربما لولا حدوثها لتغير مجرى التاريخ فى مصر

إحداها ــ وهى لأحد بطاركتهم المعاصرين لمحمد على الكبير (وقد غاب على أسمه) ([1]) أتاه سفير قيصر الروس موفداً من قبل سيده ومتلطفا قائلا إنه مستعد لتقديم الحماية للقبط . وكان أن أجابه غبطته برزانة . « أهل سيموت قيصركم أو من الخالدين ؟ » أجابه « سيموت » فقال البطريرك على الفور « قل للقيصر إنّا تحت حماية القيصر الذى لن يموت » . وبذا رجع السفير فارغا

(١) هو الأنبا بطرس الجاولى البابا المائه والتاسع سنة ١٨١٠ـ سنة ١٨٥٤ .

وفعلا من قرأ تاريخ القبط وجد أن بقاءهم لليوم هو إحدى معجزات الاتكال على الله فقط

ثانيا ــ كان الجالس على عرش مار مرقس هو البطريرك كيرلس الرابع المسمى بأبى الإصلاح لكثرة ما أنشأه من مدارس ومعاهد منها المدرسة الكبرى الباقية لليوم والتى تخرج منها الكثير من رجالات مصر مسلمين وأقباط استدعاه والى مصر وقتها وأظنه عباس الأول وقال له « هل لا يريد القبط إعفاءهم من الجهادية أسوة بالأعراب ؟ » فأجابه « القبط هم أبناء مصر وهم أولى من غيرهم بالدفاع عنها فكيف يطالبون باعفائهم ؟ » فأجابه الوالى اذاً هل تنشىء لهم وحدات خاصة ؟ ــ أجابه « كلا بل يعاملون كغيرهم من أبناء الوطن و يكونون معهم فى الوحدات العامة كأبناء عائلة واحدة » .

ثالثا ــ حادثة البطريرك الراحل مع السفير البريطانى يوم رجاه أن يأمن القبط بالوقوف على الحياد إبان الثورة الكبرى وكانت النتيجة أن تعانق الصليب مع الهلال .

قل لى بربك وحالة مصر على ما وصفتها نقلا عن كل تواريخ البلد ومن رآها من الأحياء . أهل كان يأبى الانكليز أن يخلقوا جيشاً من القبط الذين شهد لجنودهم أكبر قواد العالمين نابليون بونابرت بعد تسريحهم للعرابيين

كلنا يعلم أن الانكليز من ذلك الحين كثرت مساومتهم للقبط على مصر فهل كانوا يرفضون السيادة على الكنيستين القبطية والحبشية والرقابة على طريق الهند وقناة السويس لقاء تسليم السيطرة بالإدارة والجيش لبنى القبط أو هل كان من المتعذر على نصف مليون قبطى تجنيد ٤٠،٠٠٠ أو ٥٠،٠٠٠ من الفراعنة الأشداء واستلام مقاليد مصرهم الخالدة وتمكين الأواصر بمعاهدة العائلات البريطانية والاستعانة بمشورة البريطانيين لو أرادوا ؟!

أظن أن أكبر المتبجحين لا يستطيع إنكار ذلك وإلا قلت له ما ورد من أجمل الشعر العربى بالبردة

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وتنكر النفس طعم الماء من سقم

ظننا كلنا لا نستطيع إنكار ذلك ونحن بالأمس القريب لم تكن رقابنا فى يد أكثر من عشرة آلاف جندى انجليزى ولم تزحزحهم أشباراً بعد أكثر من نصف قرن الا بالجهود الجبارة بعد مناضلات وثورات وتضحيات ومعاهدات . بل ها هم لا يزالون على الأبواب والله أعلم بما فى الغيب ، إن كنا سنستقر فى زحزحتهم الى الأبد بصفوفنا الموحدة أو تتفكك هذه الرابطة .

رابعاً ــ آتيك بالحادثة الرابعة و بطلها ماهر باشا والدكتور احمد ماهر وهى أن سمو الخديوى السابق رافق ماهر باشا لحلفا . وهناك استعرض الجيش و بعدها بناءً على مشورة الباشا انتقد الخديوى الجيش وعلى رأسه لورد كتشنر والضباط الانكليز ــ وحنق كتشنر وأبلغ الأمر تلغرافياً لكرومر ولخارجية بر يطانيا طالباً الترضية أزاء هذه الإهانة ــ فطلب من سمو الخديوى أن لا يدخل العاصمة قبل الاعتذار.

فأسرع رئيس الحكومة ر ياض باشا لابلاغ الخديوى الأمر وهو بالطر يق ــ جد الجد وتحرج الموقف وصعب الأمر على ولى الأمر وسيد البلاد الشرعى وكيف يقوم بالاعتذار العلنى لضابط من خدامه عن حق من حقوقه .

أتعرف كيف حل الإشكال وهدأت العاصفة التى شاهدها كثيرون من الأحياء وأظن الحاج أحمد شفيق باشا رواها فى مذكراته ــ حلها بطرس غالى بثاقب رأيه .

و بعد المفاوضة مع اللورد كرومر أقنعه أن يكون الاعتذار بالتركية و يتلى أمام الجنود لأنها لغه الباب العالى صاحب السيادة . و بعد لأى أذعن كرومر ونشر الأمر العسكرى بالإعتذار بالتركية وتلى أمام الجنود وهم لا يفقهون منها أكثر مما أفهم فى السنسكر يتى وهدأت العاصفة .

و يروى الحاج أحمد شفيق عن صديقه بطرس غالى مايلى : كانت الحرب بين كرومر وسمو الخديوى سجالا . وكان الأول لا يعبأ بالأتيكيت أو أصول البروتوكول إذا أراد مقابلة الثانى فإذا قابله اختار أردأ الأوقات مناسبة كوقت القيظ وشدته ، استاء صاحب السمو وطلب من رئيس الوزراء مصطفى فهمى باشا والد أم المصر يين أن يتوسط فى الأمر. ولما كانت هناك صداقة بين اللورد والرئيس ولازم الا تيكيت شهراً من الزمن و بعده عادت (ريمه لعادتها القديمة) فاضطر صاحب السمو أن يستفتى حلال المشكلات فى الأمر فحله بكيفية لا يدركها إلا دهاقين السياسة بأن اتصل بسفراء الدول العظمى فى مصر وسألهم هل تر يدون المساواة بسفير بر يطانيا فى مقابلة الخديوى بلا أستئذان وإذ أجابوه بنعم طلب منهم أن اكتبوا هذا رسميا وقدم بطرس الطلبات لكرومر مشفوعة بجواب منه طالباً استفتاء وز ير خارجية بر يطانيا .

هال اللورد الأمر وخشى اطلاع الخارجية عليه فقال لبطرس ليس لى هذا الامتياز . وعندها طلب منه بطرس أن يجيبه كتابة بالأمر لإخبار السفراء بأن هذا ليس صحيحاً . ففعل كرومر وأصبح صكاً عليه يراعى بموجبه الا تيكيت الى أن رحل بحمد الله جل جلاله .

الحادثة السادسة معاهدة السودان : كان من الدواعى التى دفعت (تعلل بها) خالى المشؤوم لاغتيال المغفور له بطرس باشا غالى معاهدة السودان فاضطررت الى درسها كغيرها من أعمال بطرس .

سألت صديقاً لى يسمى « ا . ص » وكان يشتغل بالصحافة أبان الحملة على السودان و بعد الاستيلاء عليه فقال (ألحّ كرومر على بطرس بصفة أن الأخير وزير خارجية مصر لعقد معاهدة أبعد مدى من الحالية) فاستمهله شهرين من الزمن يستشير فيها الباب العالى صاحب السيادة على مصر وأطلع الخديوى ومجلس النظار على الأمر وعلى رأسهم مصطفى فهمى باشا

مر الشهران وطالب كرومر بالتوقيع على المعاهدة والباب العالى أوعبد الحميد قد أصم أذنيه رغم ما أرسل له من برقيات ليربك الخديوى انتقاماً من أعمال جده البطل إبراهيم باشا ـ استفتى بطرس الخديوى والمجلس فخولاه التوقيع و بعد أن صحح وحور وقعها بالحالة التى نراها . ولا يعرف القارىء قيمة محافظتها على حقوق مصر إلا إذا عرف الحادثة الآتية .

سنة ١٩٢٤ بعد مقتل السردار لى ستاك نقل روتر للعالم أجمع أن انجلترا طلبت من عصبة الأمم الحكم لها بالانتداب على السودان وقدمت مستنداتها ولم يحدث شيء بعد ذلك .

أتعرف ماذا حدث سنة ١٩٣٠ ؟ قال الراوى ـ جلست مع صديقى (ف . س) بالقهوة المقابلة لتمثال ابراهيم باشا فاخبرنى أنه وهويودع بالأمس صديقه (ب . ك) البريطانى أسر اليه الأخير بالآتى (لقد أعطانا بطرس خازوقاً فى معاهدة السودان لم ندركه إلا بعد هذه السنين الثلاثه والثلاثين (استدرجه الصديق قائلا وكيف ذلك ؟ فقال السر (قدمنا مستنداتنا سنة ١٩٢٤ للعصبة فرفضتها بحجة أن الشركة المدونة بالمعاهدة هى شركة بالإدارة لا بالملكية ولأسباب غيرها وجيهة رأينا أننا إذا استمررنا فى القضية سيكون حكم العصبة لصالح مصر فى السودان فسحبنا القضية)

أبعد كل هذا يعد القبط غير أوفياء لمصرهم ؟ أولا ينطوون على الولاء للعرش ـ أستغفر الله من هذا الباطل .

اللهم ألهمنا عقولاً تدرك وعيوناً تبصر لنعرف أن الدين لك وحدك وأن الوطن لنا أجمعين .

ابراهيم محمود الوردانى (١)
بدمنهور

---

(١) عن المجلة الجديدة لصاحبها ومحررها سلامة موسى ـ العدد ١٩٨ الصادر فى ٣ أبريل سنة ١٩٣٨ ـ ص ١٠-١١ .

من تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية

انبثاق الروح القدس من الآب

بقلم نيافة الانبا غريغوريوس

يتلخص ، موقف الكنيسة الأرثوذكسية بالنسبة لقضية انبثاق الروح القدس من الآب ، ورفضها لإضافة (والابن) التى أدخلتها الكنيسة الرومانية الكاثوليكية على قانون الإيمان . فى النقاط الآتية :

(أولا) إن المسيح له المجد عندما تكلم عن موضوع الإنبثاق ، قال صراحة « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند الآب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق ، فانه سيشهد لى » (يوحنا ١٥ : ٢٦) .

و يلاحظ أن هذا النص هو الوحيد ، الذى يرد فيه تعبير (الانبثاق) بالنسبة للروح القدس والآب .

ولقد ورد فى الإنجيل أن (الابن) (يرسل) الروح القدس فى المواضع الآتية :

١ـ (لوقا ٢٤ : ٤٩) :
« وها أنا ذا أرسل إليكم ذلك الذى وعد به أبى ، فامكثوا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالى » .

٢ـ (يوحنا ١٥ : ٢٦) :
« ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من عند الآب ... » .

٣ـ (يوحنا ١٦ : ٧) :
« إن لم أنطلق لن يأتيكم المعزى . ولكننى إن مضيت أرسله إليكم » .

يبقى بعد ذلك **أن (الانبثاق) هو غير (الإرسال) . أما الانبثاق فلم ينسب ألا الى الآب .** وهو ما نطق به فم المسيح له المجد .

وإذن فتعبير انبثاق الروح القدس من الآب ، هو التعبير الانجيلى السليم ، والمنطوق به على فم المسيح له المجد .

وقد يكون التعبير سليماً لو قلنا « نعم نؤمن بالروح القدس المرسل من الآب والابن » .

أما إذا أردنا أن نلتزم بتعبير (الإنبثاق) ، فليس من حقنا أن ننسب إلى الروح القدس إنه (منبثق) من الآب والإبن .. إذ نكون هنا لم نلتزم بنص الانجيل . هذا من جبة . ومن جهة أخرى نكون قد خلطنا مفهوم (الانبثاق) بمفهوم (الإرسال) ، وجعلنا منهما مفهوماً واحداً . وهذا ليس من حقنا ، خصوصاً وأن الموضوع يتصل بالطبيعة الإلهية التى تعلوعن تصورنا ، ولا نستطيع أن نحيط بها أو ندركها ، فهى أعلى من منالنا ، ولابد لنا ولا مفر من أن نلتزم فى التعبير عنها بكلام الله ذاته عن طبيعته .

هذا إلى أن (الانبثاق) من الآب فعل (أزلى) ، أى أن الروح القدس منبثق من الآب منذ الأزل . أما (إرسال) الروح القدس على التلاميذ ، فهوفعل زمنى ، وعد الآب به ، ثم تحقق فى يوم الخمسين لقيامة المسيح الرب من بين الأموات .

(ثانيا) إن من الخطورة بمكان عظيم ، أن يكون فى تعليمنا المسيحى أن الروح القدس ينبثق من الآب والإبن . إذ ينطوى هذا القول ضمنا على وجود مصدر ين فى الثالوث القدوس (لبثق) الروح القدس ، الآب والإبن ، و بالتالي يؤدى الى معنى الا ثنينية فى الله الواحد ، وهو أمر مرفوض فى المسيحية . ونحن نجاهر بقولنا « بالحقيقة نؤمن باله واحد » كما نقول إن هناك مصدراً واحداً للألوهة فى الله ، هو الآب . فالروح القدس ينبثق من الآب .

(ثالثاً) إن قانون الايمان لذى وضعه مجمع نيقية المسكونى سنة ٣٢٥ ، وثبته مجمع القسطنطينية المسكونى سنة ٣٨١ والمجامع التالية ، التزم بنص الانجيل كما علّم به المسيح له المجد ، قال « **نعم نؤمن بالروح القدس المنبثق من الآب** » .

وليس هناك أدنى شك فى أن الآباء فى تلك العصور القديمة ، الذين كانوا موعبين بتعليم الكتاب المقدس والتقليد الرسولى ، لم تغب عن بالهم النصوص الواردة فى الانجيل عن (إرسال) الروح القدس من الآب والإبن . ولكنهم كانوا حر يصين على أن ينسبوا (الانبثاق) للروح القدس من الآب على حسب ما قال المسيح .

(رابعا) سارت الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة على هذا التعليم ، حر يصة على الإلتزام بنص الانجيل ، ونص مجمعى نيقية والقسطنطينية المسكونيين ، قروناً كثيرة .

ومن الثابت تاريخيا ، أن إضافة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية قولها (والابن) إلى قانون الإيمان ، جاء متأخراً ، وكان سبباً رئيسيا فى إنشقاق مجموعة الكنائس الشرقية ، والتى تعرف بالكنائس الأرثوذكسية البيزنطية عن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية عام ١٠٥٤ لميلاد المسيح .

والمعروف أن البطر يرك فوتيوس PHOTIUS بطر يرك القسطنطينية المسكونى

(٨١٠ــ٨٩٥ م) هاجم إضافه (والإبن) مهاجمة عنيفة ، وفى منشور بطر يركى أصدره سنة ٨٦٧ شرح اعتراضاته اللاهوتية على تلك الإضافة الرومانية . وفى هذه السنة عينها عقد مجمعاً أصدر فيه قراراً بشجب إضافة (والإبن) الى قانون الإيمان ، وحرم الحبر الرومانى .

وإلى اليوم تشكل هذه القضية سبباً للانفصال بين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية من جانب ، والكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة والكنائس الخلقيدونية البيزنطية من جانب آخر .

(خامسا) يصرّح اليوم عدد من كبار اللاهوتيين فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، بأن هذه المسألة ينبغى أن لا تكون موضوعاً للخلاف ، ولا يليق أن تكون عقبة فى طر يق وحدة الإيمان بين الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية ، و يدللون على ذلك بأن هذه الاضافة (والابن) اعترض عليها الحبر الرومانى نفسه ليو الثالث LEO III (٧٩٥ــ٨١٦ م) و بالتالى اعتبرت إضافة مستحدثة ، تثبتت فى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بنفوذ الملك شارلمان CHARLEMAGNE (٧٤٢ــ٨١٤ م) ولذلك فإن اللاهوتيين اليوم فى داخل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، يحاولون التخلص من النتائج اللاوهوتية المنطقية لهذه الاضافة بقولهم « ان الروح القدس منبثق من الآب عن طر يق الإبن » .

(سادسا) مع أن هذا التأو يل الجديد ، يعد إسهاماً طيباً لحل مشكلة خلقتها إضافة (والابن) ، و يعتبر دليلا على إدراك اللاهوتيين لنتائج هذه الإضافة ، وما أنطوت عليه من أخطار لاهوتية لم تخدم الإيمان ، وإنما أضافت عقبة فى طر يق الكنيسة ، وأدت إلى انشقاق محزن ، إلا أن هذا التأو يل لا يحل المشكلة لاهوتياً ، ولا لغو ياً . . .

(أ) أما لاهوتيا ــ فلأن (انبثاق الروح القدس من الآب عن طر يق الابن) لا سند له فى الكتاب المقدس ، فضلا عن انه يجر الى سلسلة من النتائج التى تضر إيماننا فى وحدانية الله ، وإلى التمايز الأونتولوجى بين الأقانيم الإلهية ، والى نوع من الترتيب بين الأقانيم شبيه بتعليم (الصدور) الذى قالت به بعض المذاهب الفلسفية ، وترفضه المسيحية .

(ب) هذا إلى أنه من الوجهة اللغو ية لا يستطيع أحد أن يوافق على إن الإضافة FILIOQUE باللاتينية تعنى (عن طر يق الإبن) . فالمعروف أن حرف (que) باللاتينية حرف إضافة يقابله فى العربية (حرف واو ــ للإضافة والجمع) . وكذلك الحال بالنسبة لجميع اللغات التى ترجم اليها النص اللاتينى فى جميع البلاد التابعة لإيمان الكنيسه الرومانية الكاثوليكية .

(سابعا) ليس لنا بعد هذا العرض الموجز لهذه القضية اللاهوتية العقائدية ، إلا أن نؤكد على أنه فى سبيل إزالة العقبات أمام طر يق الوحدة الإيمانية ، بين كنيستنا الأرثوذكسية

والكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، يجب أن تلتزم بنص الإنجيل و بنص المجمع النيقاوى الذى ثبته مجمع القسطنطينية المسكونى ، وحمله الينا عبر العصور تقليد الكنيسة الجامعة الرسولية .

* * *

إن هذه الصيغة الإنجيلية التى صرح بها المسيح له المجد ، والتى نص عليها قانون الإيمان الأرثوذكسى الذى وضعته الكنيسة الجامعة فى نيقية والقسطنطينية ، هى الصيغة التى تستخدمها فى سر العماد ، والتى تشترطها الكنيسة على المتقدمين إلى العماد ، باعترافهم بالايمان المسيحى الذى يؤهل المعتمد لقبول موهبة الروح القدس للميلاد الثانى .

أما إضافة (والابن) فتطعن صحة الاعتراف ، وأرثوذكسية الإيمان — وتعوّق عند الأرثوذكس قبول معمودية الكنيسة الرومانية الكاثوليكية التى باضافتها (والابن) ، أحدثت فى صيغة الإيمان إضافة جعلت الاعتراف بإله واحد مثلث الأقانيم بمفهوم مختلف على نوع ما عن الاعتراف الذى تشترطه الكنيسة الأرثوذكسية لصحة العماد .

ب — لماذا تعلمنا كنيستنا الصلاة من أجل المنتقلين ؟

هناك موضوع حيوى ذو أهمية كبرى لم تعطينا الأسفار الإلهية عنه آية — ولو واحدة — صريحة بخصوصه ، ولكنها أشارت إليه فى مواضع كثيرة . وهذا الموضوع الخطير هو أبدية النفس الإنسانية . وفى هذه الإشارات الوفيرة إليه برهان قاطع على واقعيته ، فمن سفر التكوين الى سفر الرؤيا لا نجد آية تعلنه صراحة . ولكن كل من يطالع هذه الأسفار يتيقن من خلود النفس استناداً الى الإشارات العديدة إليه . واليكم بعض الأمثله منها : « .... قال له سيده نعما أيها العبد الصالح والأمين ... ادخل الى فرح سيدك » . (متى ٢٥ : ٢٣) ، وكل من يتبع الرب يسوع المسيح « .... يأخذ مائة ضعف الآن فى هذا الزمان ... وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية » (مرقس ١٠ : ٣٠) ، « لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » و « من يأكل جسدى و يشرب دمى فله حياة أبدية » (يوحنا ٣ : ١٥ و٦ : ٥٤) راجع أيضا رومية ٦ : ٢٠ ، ١ كورنثوس ١٥ ، ٢ تيموثيئوس ١ : ١٠ ، عبرانيين ٥ : ٩ و٩ : ١٢ ، ١ يوحنا ٢ : ٢٥ و٥ : ١١) .

وهذه الأمثلة المختارة تبين بياناً قاطعاً خلود النفس .

إذن وجب علينا أن نقدم الآيات التى تشير الى وجوب الصلاة من أجل المنتقلين . وهنا أيضا نكتفى بتقديم أمثلة معدودة :

١ — حينما هرب ايليا النبى من غضب الملك آخاب ومن الجوع أيضا لجأ الى بيت أرملة

من صرفة صيداء (١) . ففرحت به جداً لحصولها على بركة إقامته عندها وخدمته بكل أمانة . وفى وسط خدمتها البهيجة مات وحيدها . فعاتبت رجل الله . ولم يوبخها لإدراكه ثقل المصاب الذى أصابها . وأخذ ولدها الى العلية التى كانت قد أفردتها له ، وصرخ الى الله ضارعاً إليه أن يعيد الحياة للصبى . واستمع الله لضراعته وعادت نفس الولد إليه . فشكرته بكل اتضاع وأقرت بمكانته عند الله . (١ ملوك ١٧) . فنرى هنا أن قيامة الولد الميت لم تكن بناءً على طلبه ولا حتى بناءً على طلب أمه ، وإنما كانت استجابة الله لشفاعة ايليا . إذن فحينما نصلى من أجل المنتقلين من غير أن يسألونا مسبقا ، ومن غير أن يسألنا ذووهم متأخراً ، بل بمحض إرادتنا ، يصغى الله الى صلاتنا قطعاً طالما هى تماشى إرادته تعالى . ألا يوجب علينا هذا المثل أن نصلى من أجل المنتقلين بلا انقطاع ؟

٢ــ كذلك نجد المرأة الشونمية قامت وذهبت بسرعة الى اليشع النبى ــ حالما مات ابنها ــ وقالت له : « حى هو الرب . وحية هى نفسك . إننى لا أتركك . فقام وتبعها » . وحالما وصل الى بيتها ذهب الى الغرفة التى اضجعت فيها الأم ولدها ، وأخذ يصلى . فأعاد الله الحياة الى الميت (٢ ملوك ٤ : ١٨ ــ ٣٧) . وفى هذا الحادث كان ذهاب اليشع الى البيت ، وصلاته الاستشفاعية نتيجة لضراعة الأم وإيمانها الراسخ . ومادامت طلبة هذه الشونمية وجهودها قد قبلت بإعادة الحياة الى ابنها ــ ألا يتحتم علينا أن نصلى من أجل أحبائنا الذين رقدوا ونعاونهم بتضرعاتنا ؟

٣ــ ومن أروع الأمثلة ما قدمته لنا المرأة الكنعانية التى لم يتزعزع إيمانها بشىء ، ولم يهز رجاءها حديث الى حد أنها صرخت عاليا مستعطفة السيد المسيح أن يشفى ابنتها ، وأنها ركعت عند قدميه . فلم تفز بطلبتها فقط بل لقد شهد لها الرب نفسه بقوله : « عظيم هو إيمانك . ليكن لك كما تريدين » . (متى ١٥ : ٢٢ ــ ٢٨) . وواضح هنا أن شفاء البنت مرجعه الى إيمان أمها وثباتها . لأن ابنتها كانت فى تلك الساعة أقرب الى الموت منها الى الحياة . إذن فإن كنا ذوى إيمان راسخ فى نعمة الله ، وكان أحباؤنا الراقدون مستحقين لهذه النعمة ، فلماذا لا يمنحها لهم السيد المسيح ؟ وما دمنا متأكدين من هذا الواقع فمن يستطيع أن يقيم سداً أمام تيارات صلواتنا من أجلهم ؟ــ راجع أيضا متى ٨ : ٥ ــ ١٣ و ٩ : ١ ــ ٨ ، مرقس ٥ : ٢٢ ــ ٢٤ ، ٣٥ ــ ٤٣ و٩ : ١٤ ــ ٢٧ .

٤ــ وثمة مثل آخر فى إقامة طابيثا (أعمال ٩ : ٣٦ ــ ٤٢) . لأن هذه المرأة المباركة « كانت ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات » . فكان موتها كارثة للكنيسة التى فى يافا . لذلك أرسل المؤمنون فوراً طالبين الى بطرس الرسول أن يسارع اليهم . وما إن وصل حتى استعطفوه بدموع من أجلها ، وأروه الأقمصة والثياب التى كانت تعملها لهم . واستجاب بطرس لتوسلاتهم ،

(١) وهى الأرملة التى قدمها الرب برهاناً على عناية الله بالأمم- لوقا ٤ : ٢٥-٢٦ .

ورفع صلواته الى رب المجد . فاستجيبت هذه الصلوات وعادت نفس طابيثا الى هيكلها . فالدافع الأساسي لشفاعة بطرس كان التوسل الحار الصادر من قلوب المؤمنين ، و بخاصة الأرامل بينهم . و بالطبع دعمت خدمات طابيثا وسخاؤها هذا التوسل . ولكن المؤمنين هم الذين أرسلوا فى طلب بطرس ، وهم الذين أقنعوه بالصلاة ، لأنه « نادى القديسين والأرامل وأحضرها حية » . فإن كان الله قد أقام طابيثا استجابة لتوسلات المؤمنين ، ألا يتراءف على المنتقلين و يقيمهم من هفواتهم وسهواتهم استجابة لتضرعات أحبائهم ؟ ومادمنا مؤمنين بهذه الحقيقة فلماذا لا نعتبر الصلاة من أجل المنتقلين حتمية ؟

وهنا يجب أن نركز عيوننا على الوقائع اللاهوتية التالية :

أ ــ إنه بالسقطة الأولى فسد الجنس البشرى كله بالخطية ،

ب ــ ينتقل هذا الفساد إلينا بالميلاد حتى لو كان أبوانا مسيحيين ،

جـ ــ إن تناولنا الأسرار المقدسة يطهرنا من هذا الفساد و ينفخ فينا القوة على مغالبة الخطية ، ولكنه لا يقطع ميلنا الموروث للخطية إذ لا يوجد شخص معصوم منها ،

د ــ إن الجهل والسهو ــ وإن ظنها البعض هفوات ــ سنعطى عنها حساباً لله ،

هـ ــ إنه ــ لكى نتخلص من هذه المسئولية ــ علينا أن نبادر الى الاستنجاد بالنعمة الإلهية عن طريق الاعتراف والتوبة ،

و ــ ليس من الصلاح أن نقصر صلواتنا على أنفسنا فيجب أن نصلى من أجل الآخرين حتى إن لم يطلبوا إلينا ،

ز ــ بما أنه لا يوجد انسان معصوماً فإن أحباءنا الذين رقدوا « كانوا تحت الآلام مثلنا » (يعقوب ٥ : ١٧) . ألا يحتم علينا هذا الواقع أن نصلى من أجلهم ؟ ألا نصلى « أبانا الذى فى السموات . . . » ؟ فلماذا لا نصلى من أجل آبائنا وإخوتنا الذين رقدوا ؟ ألا يدخلون ضمن دائرة « أبانا الذى فى السموات . . . » ؟

ثم إن بولس الرسول قد طالب تلميذه تيموثيئوس بأن يحفظ الوديعة التى ائتمن عليها . فيجب علينا نحن أيضا أن نحفظ الوديعة التى تسلمناها من الرسل . وهؤلاء الرجال الأطهار قد سجلوا فى الدسقولية [١] وصيتهم ، وهى : « فليصل كل واحد من أجل الذين سبقوا فرقدوا فى المسيح ، وكلى الرحمة سيغفر لهم خطاياهم ، و بصلواتنا سيتحنن عليهم فى كورة الأحياء » .

---

(١) أى كتاب قوانين الرسل .

والتقاليد التى تسلمناها من آبائنا تتوافق مع الأسفار الإلهية . فيقول ديونيسيوس (أحد تلاميذ بولس الرسول) : « إننى تابع للأقوال الإلهية ــ وهى أن صلوات القديسين تفيد الراقدين ، وأن الذين رقدوا فى السيد المسيح ينتفعون بالصلوات والتقدمات التى ترفع عنهم » . بينما يقول ذهبى الفم : « لا يكفى أن نبكى على الموتى ، بل يجب أن نضرع الى الله من أجلهم بالصلاة والصدقة . فأعط قدر ما تستطيع عنهم تبعاً لعادة المسيحيين فى تذكّر موتاهم ... »

وهذا التقليد لم يسلموه لنا باطلاً ، وليس باطلاً أن نذكر أحباءنا الراقدين أثناء القداس الإلهى متشفعين فيهم بالحمل المرفوع على المذبح ، لأنه هو الذى يرفع خطايا العالم . فلا عجب إذن فى أن الكاهن الخديم ــ وهو يرفع الذبيحة المرهوبة ــ يضرع الى السيد المسيح من أجل الذين رقدوا تماماً كما يضرع من أجل الذين مازالوا فى الجسد . لأننا لا نفعل شيئاً خلسة ، فجميع أعمالنا هى بالحرى مؤداة بإرشاد من الروح القدس . لذلك ينبغى أن لا نمل من التعاون مع المنتقلين برفع صلواتنا عنهم . لأن التطهير العام للإنسانية حاضر دوما . ولهذا السبب نجسر بدالة أن نصلى من أجل العالم كله : من أجل المنتقلين والشهداء والمعترفين والكهنة .

أما القديس أثناسيوس الرسولى فيعلمنا : « إن الذبيحة غير الدموية هى بكل تأكيد عربون لمغفرة الخطايا . لذا فمن كانت حياته صالحة ، ولكن بوصفه إنساناً ارتكب بعض الأغلاط أو سقط فى بعض الهفوات ، يجب أن يذكره أقرباؤه فى صلواتهم . ولئن سأل البعض : وماذا عن الفقراء الذين لا يستطيع أهلهم أن يرفعوا عنهم أية تقدمة ؟ نجيب : إن الكنيسة تصلى من أجل هؤلاء . وفوق هذا فالرب صالح ، منصف ، حكيم كلى القدرة . ولأنه منصف يعطى الفقراء بسخاء ، ولأنه حكيم يهب الكمال بدلاً من النقص ، ولأنه كلى القدرة يستطيع أن يهدم القوى ، ولأنه صالح ينقذ عمل يديه » .

وحينما سئل غريغوريوس الثيئولوغس : « ما هو أنفع شيء للراقدين ؟ » أجاب : « إنه تقديم الإفخارستيا المقدسة . لأننا نعرف أن هذه الذبيحة الرهيبة ذات قيمة عظمى للتائبين ، لذلك فأعمالهم تتبعهم وتنفعهم بعد انتقالهم » .

و يقدم لنا القديس بولس الرسول عرضاً تفصيلياً للقيامة وَللحياة الآتية ، و يسأل : « .... وإلا فماذا يصنع الذين يعتمدون من أجل الأموات إن كان الأموات لا يقومون البتة فلماذا يعتمدون من أجل الأموات ؟ » ولقد استهدف رسول الأمم أن يثبت إثباتاً قاطعاً أن المسيحيين يعترفون بحقيقة القيامة من الأموات منذ البداية . وكان إيمانهم هذا أكيداً الى حد جعلهم يصلون من أجل الموتى . والكلمة التى يستعملها الرسول العظيم ليست « صلاة » بل « معمودية » ليبرهن على أن صلواتهم لم تكن بالألفاظ فقط ، ولكنها كانت جهاداً حارا أشبه بالمخاض . فإن كانت

الكنيسة ــ فى عصر الرسل ــ قد مارست الصلاة من أجل الموتى ، أليس موضوعاً علينا أن نمارسها نحن أيضا ؟

و يعطينا هذا الرسول عينه درساً آخر عن هذا الموضوع بطلبة الرحمة من أجل صديقه أنيسيفورس إذ قال : « ليعطيه الرب أن يجد رحمة من الرب فى ذلك اليوم » (٢ تيموثيئوس ١ : ١٨) . ونحن نعلم يقينا أن بولس كان منقاداً بروح الله فعرف المسيحية فى عمقها ، كما أن إدراكه لمسئوليته نحو حقائقها كان عميقا . فلو أنه كان يعرف أن الصلاة من أجل المنتقلين لا قيمة لها لما كان يتضرع الى الله طالباً الرحمة لأجل مسيحى ميت . إذن فبولس حتّم الصلاة من أجل المنتقلين فى السيد المسيح . لأنه واضح من صلاته عن انيسيفورس أنه كان قد رقد إذ يرفع صلاته عنه وحده وصلاته عن عائلته وحدها . كذلك يقول عنه : « ليعطيه الرب أن يجد رحمة فى ذلك اليوم » ــ أى فى يوم القيامة . أما صلاته عن عائلة أنيسيفورس فليست محددة بزمن .

والقداس الإلهى الذى سلمه لنا مار مرقس وسجله البابا كيرلس الأول عامود الدين تضرع الكنيسة فيه قائلة : « آباؤنا وإخوتنا الذين سبقوا فرقدوا ، إذ قد أخذت نفوسهم ، نيح نفوسهم . اذكر أيضا يارب جميع الذين أرضوك منذ البدء : آباءنا الأطهار، الرؤساء ، الأنبياء ، الرسل ، الكارزين ، المبشرين ، الشهداء ، المعترفين ، وجميع نفوس الأبرار الذين كملوا فى الإيمان ، ولاأخص القديسة المملوءة مجداً العذراء كل حين والدة الإله القديسة الطاهرة مريم ... وكل مصاف قديسيك . ونحن ياسيدنا لسنا أهلاً لأن نتشفع فى طوباوية أولئك القديسين ، بل هم الواقفون أمام منبر ابنك الوحيد عوضاً عنا يتشفعون فى ضعفنا ومذلتنا ... » ويجيب الشماس : « صلوا من أجل آبائنا وإخوتنا الذين رقدوا وتنيحوا فى الإيمان بالمسيح منذ البدء : آبائنا رؤساء الكهنة والكهنة وإخوتنا الشمامسة وآبائنا الرهبان ، وإخوتنا العلمانيين ، وعن نياح كل المسيحيين ، لكى ينيح المسيح إلهنا نفوسهم فى فردوس النعيم ، و يصنع معنا رحمة بمغفرة خطايانا . » و بعد أن يذكر جمهوراً من الأبرار، يضيف : « أولئك وكل واحد يارب الذين ذكرناهم والذين لم نذكرهم ، الذين فى فكر كل واحد منا والذين ليسوا فى فكرنا ، جميع الذين رقدوا وتنيحوا فى الإيمان بالمسيح ، نيح نفوسهم فى أحضان آبائنا إبراهيم وإسحق و يعقوب ، علهم فى مراع خضرة على ماء الراحة فى فردوس النعيم ــ الموضع الذى هرب منه الحزن والكآبة والتنهد فى مواضع قديسيك . أعطهم وإيانا نصيباً وميراثاً مع جميع قديسيك » .

وقد يتبادر الى أذهان البعض أن الصلاة من أجل المنتقلين تتطلب بالضرورة الإيمان بالمطهر. ولكن الإيمان بالصلاة عنهم شيء والإيمان بالمطهر شيء آخر. فالإيمان بالمطهر معناه نوع من الدينونة الخاصة انتهت الى عقاب عادل ولكن صلواتنا من أجل المنتقلين لا تشير إطلاقا الى مثل هذه الدينونة . فالإيمان الأرثوذكسى يقرر صراحة أن تقييم الناس جميعا لن يحدث إلا فى يوم الدينونة . والإيمان بالمطهر يجعل من الصلوات عن المنتقلين إنقاذاً لهم من الوجع والألم . أما صلواتنا

فتستهدف التوسل الى الله أن يبدى رحمته فى يوم الدينونة . ولو اعترض معترض على أن هذا هو الهدف من المطهر أجبنا بأن ليس هناك إنسان يستطيع أن يخلص بعمله شخصياً لأن النعمة الإلهية هى الوسيلة العجيبة والوحيدة للخلاص ، وليست هناك سدود تعيق صلواتنا أمامها من أجل الذين رقدوا فى المسيح . إننا نتوسل إليه بصلواتنا يمتد بنعمته الشاملة الى أحبائنا الراقدين مادمنا نعرف أنهم لم يصرّوا فى عناد على خطاياهم ، ولم يجعلوا أنفسهم غرباء عنه . لقد عاشوا داخل دائرة رحمته . ولكنهم ــ لكونهم بشر ــ لم يخلوو اتماماً من الشهوات والضعفات . ولهذا السبب نرفع قلوبنا نحو تحننه بثقة وتأكيد عالمين أن صلواتنا تجاب .

كذلك قد يعترض البعض بأن صلواتنا عن المنتقلين معناها تغيير فى حكم الله . ومثل هذا الاعتراض يتضمن أن الإنسان قد قدر له أن يكون شريراً ثم صار صالحاً بصلواتنا . ولكن يجب أن لا يخطر على بال أحد أن هذا ممكن . فالله ليس محدوداً مثل الإنسان ، ولا هو زمنى ، والماضى والحاضر المستقبل كله حاضر الآن أمامه . إنه يعرف جميع الأشياء ، و يعرف أسبابها ونتائجها ، و بالتالى يعرف حالة المنتقلين ، والصلاة التى يرفعها أقرباؤهم وصلوات الكنيسة عنهم . إذن فهذه الصلوات جزء من التدبير الإلهى ، فلا تهدف الى تغيير حكم الله بل بالحرى تتماشى مع ترتيباته للإنسان .

وثمة اعتراض ثالث هو أن هذه الصلوات ستؤدى الى التكاسل والى الوقوع فى خطر عدم السعى نحو الكمال الموضوع علينا من السيد المسيح . ونجيب بسؤالنا : لو أن شخصاً عرف أن دواءً معيناً ناجع للعلاج ، فهل يرغب فى أن يمرض عمداً لكى يستعمله ؟ ثم إن الإنسان الذى يخطىء بإرادته مستهدفاً التوبة فيما بعد ليس بالشخص الذى ينفذ هدفه . كما أن الذين يخطئون ارتكاناً على الصلوات التى ترفعها الكنيسة عنهم لا يرضون الله . ونعود فنكرر بأننا لا نستهدف من صلواتنا عن الراقدين أن نخطف رحمة الله ، بل إننا بالحرى نستعطف تحننه ونتوسل للحصول على مغفرته .

كذلك قد يقول البعض إن الله يعرف حالة المنتقلين فيمد رحمته للذين يستحقونها ــ إذن فما الداعى للصلاة عنهم ؟ ومثل هذا القول يشمل كل صلواتنا . وعلى هذا الأساس لماذا نصلى لكى يتوب الخطاة ؟ ولماذا نضرع من أجل المظلوم ؟ أو عن الواقع فى ضيقة ما ؟ ولماذا نطلب الشفاء لأجل المريض مادمنا نعرف أن الله قد يشفيه أو قد يأخذ نفسه ؟ على أننا يجب أن نيقن من أن الله يفرح دائماً لسماعنا نصلى لأن الصلاة هى حديثنا معه . وفى الصلاة نعترف بضعفنا و بارتكاننا التام عليه . إنه كأب محب يفرح بالتواصل معنا نحن أولاده .

أخيراً قد يقال بأن هناك مسيحيين كثيرين لم تتح لهم الفرصة للصلاة ، وربما يكونون قد ماتوا من غير أن يجدوا أحداً يصلى عنهم . فهل مثل هؤلاء لا يجدون رحمة ؟ فنجيب : إن الكنيسة تصلى من أجل كل شخص سواءً طلب إليها أو لم يطلب . إنها تتشفع عن جميع أولادها على مدى

العصور، طالبة لهم الرحمة الإلهية، تاركة أمرهم بين يديه ليتصرف معهم كإرادته بصفته محب البشر.

الأدلة المعطاة من الأسفار المقدسة على أن القضاء العادل النهائى من ثواب وعقاب لن يتم إلا فى يوم الدينونة:

١ــ متى ١٣ : ٢٧ ــ ٣٠ « الزرع الجيد والزوان »،
٢ــ متى ١٣ : ٤٧ ــ ٥٠ « الشبكة الجامعة للسمك »،
٣ــ متى ٢٥ : ١ ــ ١٣ « العذارى العشر »،
٤ــ متى ٢٥ : ١٤ ــ ٣٠ « الوزنات »،
٥ــ متى ٢٥ : ٣١ ــ ٤٦ « متى جاء ابن الإنسان فى مجده »، ٦ــ ٢ تسالونيكى ١ : ٤ ــ ١٠ « حتى أننا نحن أنفسنا نفتخر بكم ». وأيضا على سبيل المثال (لا الحصر) لضيق المقام: مزمور ١ : ٥ ــ ٦، متى ٢٤ : ٤٥ ــ ٥١، يوحنا ٥ : ٢٦ ــ ٣٠، رومية ٢ : ٦ ــ ١٦، ١٤ : ١٠ ــ ١٢، ٢ تيموثيئوس ٤ : ١ ــ ٢، ١ بطرس ٤ : ٣ ــ ٦، رؤيا ١١ : ١٥ ــ ١٨ و ٢٠ : ١١ ــ ١٥.

فمن الواضح أن ثواب الأبرار وعقاب الأشرار لن يتم إلا فى يوم الدينونة. وانتظاراً لذلك اليوم يعيش الأبرار فى حالة راحة والأشرار فى حالة احتجاز.

ومن المؤكد أن الأسفار الإلهية حين تشهد بأن الأبرار ــ عند انتقالهم من هذا العالم ــ يكونون فى حالة راحة، تعلن لنا صراحة أنهم لا يتألمون إطلاقا ــ وهذا معناه أنهم ليسوا فى مطهر. وصلواتنا عنهم متبادلة مع صلواتهم عنا، وهى تتناغم مع التعليم الرسولى: صلوا بعضكم لأجل بعض؛ كما أنها مصدر تعزية روحية لنا هنا ولأولئك الذين سبقونا الى هناك (١).

ملحوظتان عامتان يجدر الالتفات إليها:

١ــ يقضى التقليد الكنسى بأن الكاهن المساعد لا يعطى الدم الزكى للمتناولين وهو بثيابه السوداء بل يضع فوقها « الصدرية » لأنه يقدم « دم الخروف : ملك الملوك ورب الأرباب »

٢ــ جرى المسيحيون على أن تكون دبلة الزواج من الذهب الخالص: لأن الذهب رمز

---

(١) عن كتاب « القول اليقين فى الصلاة عن المنتقلين » للشماس سمعان سليدس علم أستاذ **اللاهوت** بالإكليريكية، مطبعة الشمس بشارع كلوت بك بالقاهرة. نشره أخوه يسى سليدس بعد نياحة المؤلف فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٠.

الى أننا أولاد الملك السماوى . وهى من معدن واحد لتكون متجانسة منسجمة فترمز الى ما يجب أن تكون عليه الحياة الزوجية من تناغم . و بالإضافة فالصائغ يحفر اسم الزوج على دبلة الزوجة واسمها على دبلة زوجها من داخلها . أما الدبلة ذات الفصوص الماسية فتنقصها كل هذه الرموز الروحية المعبرة عن وجود الله بين الزوجين كما أنه لا يمكن كتابة اسميهما من داخلها .

ب ــ أنبا مكاريوس (١) الثالث

---

(١) ورد اسم « مكاريوس » فى كل الأجزاء بشكله القبطى وهو « مكارى » .

(٢) يعقوب ٢ : ٥ .

(٣) مزمور ٢٥ (فى الاجبية) .

٤١ ــ ماكاد الأنبا يؤنس الـ ١٩ ينتقل الى الأخدار السماوية حتى اتفق المجمع المقدس والمجلس الملى على انتخاب الأنبا يوساب مطران جرجا قائمقام بطريركيا طبقا للتقليد الكنسى الأصيل .

ومع أن الإجماع نعمة من غير شك لأنه دليل التناغم بين الجميع ، إلا أن الأنبا يوساب ــ سامحه الله ــ اتخذه ذريعة ليرشح نفسه للكرسى البابا وى . ومن ثم بدأت حملة شعواء للدعاية . وقد انقسم الدعاة الى فريقين رئيسيين : فريق يؤيد المطارنة وفريق يبتغى العودة الى التقليد الرسولى الذى يقرر حصر الترشيح فى الرهبان الذين لا تزيد كرامتهم الكهنوتية عن القمصية . ولو اقتصر الأمر على هذين الفريقين لهان الخطب . ولكن المناصرين للمطارنة انقسموا فيما بينهم إذ قد نزل الى الميدان ثلاثة منهم هم : القائمقام البطريركي والأنبا مكاريوس مطران أسيوط والأنبا ثيئوفيلس مطران القدس والشرقية ورئيس دير الأنبا أنطونى . وبالطبع كان لكل منهم أنصار ومؤيدون .

ومرة أخرى نقف فى شىء من الذهول أمام هذا الموقف . فقد علمنا تاريخ كنيستنا الحبيبة مراراً وتكراراً أن المرشح للسدة المرقسية كان يحاول الهرب من مرشحيه الى حد أنهم كانوا يضطرون الى تقييده بالسلاسل وأخذه قسراً الى الاسكندرية لرسامته . وهؤلاء المطارنة الأجلاء كانوا على علم غزير بتاريخ الكنيسة وبتقاليدها ، كما كانوا على درجة كبيرة من الروحانية . ومع ذلك فقد تقدم كل منهم يريد أن يكون البابا الاسكندرى ! وهنا أيضا نقول إنهم لو اكتفوا بترشيح ذواتهم لهان الخطب ، ولكنهم شجعوا الداعين الى ترشيحهم ، بل إنهم قاموا بأنفسهم للدعاية لأنفسهم ! وخلال هذه الحملة الدعائية لم يجد أحدهم من نفسه الشجاعة لأن يقول لأنصاره : « اختشوا . عيب » . حين كان يسمعهم يتكلمون أو يكتبون ضد منافسيه ! فاشتعلت الحملة الدعائية اشتعالا !

وقد يقول البعض إن الحرية تفسح المجال للتنافس الشديد وللمعارضة القاسية ، فمن الأصلح أن لا يكون انتخاب البابا انتخاباً شعبيا منعاً لمثل هذا الاشتعال . وهذا الاعتراض ــ وإن كان يصور الواقع العالمى ــ يتنافى تماماً مع وصايا رب الكنيسة ووصايا رسله القديسين . فقد قالوا بأنه لا يجوز أبداً أن يقام أسقف بغير إرادة الشعب الذى سيكون تحت رعايته . اسمعوا ما تقوله الدسقولية : « فليقم الأسقف باختيار الشعب كله » (١) .... وكل ما يتنافى مع وصايا الرب يتنافى بالضرورة مع تقاليد الكنيسة القبطية التى درجت منذ نشأتها على التمسك فى إصرار بكل ما تسلمته من تعاليم ووصايا وتقاليد . ويجب أن لا ننسى أن الكنيسة فى معناها الأصيل

---

(١) راجع « وظيفة الأسقف ... » وهى الكلمة التى ألقاها الدكتور وهيب عطا الله (نيافة الأنبا غريغوريس حاليا) فى المؤتمر الذى دعا اليه شعب الجيزة والقلوبية ومركز قويسنا ، والمنعقد بجمعية التوفيق القبطية فى ٢١ يناير سنة ١٩٤٩ ، ونشرتها مجلة مدارس الأحد فى عدد فبراير سنة ١٩٤٩ ، ص ١٧-١٨ .

هـى « جماعة المؤمنين » : فهى إذن الاكليروس والشعب معاً . وفوق هذا كله فهى كنيسة الفادى الحبيب الذى أكد لتلاميذه بأن « من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن للجميع عبداً » .(١)

وهـنـا أستميح الآباء المكرمين عذراً عن تسجيلى الواقع الأليم ، فهم الآباء ولهم منا المحبة والإكرام والولاء . ولكن التأريخ يحتم تسجيل الواقع قدر المستطاع وبمدى المعرفة للمؤرخ . ومجاملة الأشخاص على حساب الكنيسة قد تسبب فى الكثير من الأذى . وهذه الأحداث قد عاصرتها بل عشتها وجزت أوجاعها . وقد علمنى أبواى أن « الساكت فى الحق ناطق فى الباطل » . فمع محبتى للآبائى ومع عميق احترامى وولائى لهم لا يسعنى إلا أن أسرد ما عرفته بالاختبار الى جانب المعرفة خلال القراءات الكثيرة .

إذن فقد نزل الى الميدان ثلاثة من علماء المطارنة . ومع ذلك فقد كان هناك المحافظون الذين طغت عليهم محبة الكنيسة وتاريخها وتقاليدها الى حد جعلهم يريدون راهباً منزويا ، متيقنين أن نعمة الله أمضى من كل سيف ذى حدين . هؤلاء المحافظون على ما تسلموه ساروا على منوال أجدادهم بأن ذهبوا الى الأديرة وتلاقوا مع رؤسائها ورهبانها بحثاً عن الشخص الذى يقتنعون بجدارته لهذه الكرامة العظمى . ومن أروع ما يجب تسجيله أنه حدث لهم ــ وهم فى طريقهم الى وادى النطرون ــ أن كان الريح شديداً للغاية ، فعصف بالسيارة التى كانوا فيها الى حد أن رفع غطاء « الموتور» بعنف الى الوراء ــ أى جهة السائق ــ فخبط الغطاء الزجاج المثبت أمام السائق وكسره تكسيراً . وعلى الرغم من هذا فإن أحداً لم يصب ولو بخدش ــ حتى السائق نفسه نجا من أى أذى مع أن الزجاج المتكسر تطاير عليه !

وبالاضافة الى هذه اللقاءات فقد تباحثوا مع الرجال المتصلين اتصالاً وثيقا بالرهبان أمثال يسى عبد المسيح أمين مكتبة المتحف القبطى وراغب مفتاح الساهر فى حرص على ألحان الكنيسة فى أصالتها . فكل منهما اضطره عمله الى قضاء فترات طويلة فى الأديرة . ومن نعمة الله أن الفريق المناصر للرهبان كان كتلة واحدة متضامنة مع رئيسها حبيب المصرى الذى كان وكيلاً للمجلس الملى العام آنذاك . وقد أجاب سائليه عن موقفه بقوله : « إننى أحب المطارنة من أعماق قلبى لأنهم آبائى بالروح ، وهم الصلة بينى و بين الله ، وهم يطلبون الرحمة والغفران للشعب والبركة للكنيسة . ولكن الكنيسة أغلى من المطارنة جميعا . والأمر ليس أمر وداد وصداقة بل إنه بالحرى أمر صداقة لله ولكنيسته . هذه الكنيسة التى سوف اؤدى الحساب عنها لله فى نهاية الأمر» .

٤٢ أ ــ وتنويراً للرأى العام أصدر المجلس الملى العام ــ باسم وكيله ــ البيان التالى :

---

(١) متى ٢٠ : ٢٦-٢٧ ، مرقس ٩ : ٣٥ .

أما وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم بناءً على ما عرضه على جلالته رئيس حكومته السنية بأصدار لائحة ترشيح وانتخاب البطريرك فقد أصبح في يد الأقباط الأرثوذكس وحدهم ممثلين في مندوبيهم المعينين في اللائحة اختيار بطريركهم بمحض ارادتهم وتمام حريتهم ، بغير أي تدخل من أية هيئة ، لا مرجع لهم في ذلك الا ضمائرهم وتاريخهم وتقاليدهم ومصلحة كنيستهم . ولا شك في أنهم يدركون حق الإدراك خطورة المسؤولية الملقاة على عواتقهم و يدركون أن المصلحة العامة تقتضي منهم أن يواجهوا هذه المسؤولية في عزم ، ورجولة ، ونزاهة ، وصلابة في الحق ، واستمساك بقوانين كنيستهم وتقاليد آبائهم ، وأن يحتفظوا باستقلالهم الكامل في الرأى فلا يتأثرون بأي مؤثر من صداقة أو مجاملة ، وأن يحذروا صنوف الدعاوات المغرضة وأن يرتقوا بهذه المسألة الخطيرة عن مستوى الأهواء والمطامع .

وقد وصلت الى المجلس شكاوى عدة من تدخل بعض الكهنة في شؤون الترشيح ومن جعلهم دور العبادة مركزاً للدعاوة ومن توريطهم للناخبين عند قيد أسمائهم لأجل الحصول على توقيعاتهم تزكية لمن يؤيدونه . ولما كانت مثل هذه التصرفات إن صحت مخالفة لواجبات الكاهن وكرامته وهي من غير شك من الوسائل غير المشروعة فإن المجلس الملي العام قد اتخذ كل ما يلزم من التدابير للمحافظة على حرية الانتخاب وقرر إخلاء الغرف المعدة لقيد أسماء الناخبين والأماكن المحيطة بها من أي شخص لا صفة له في عملية القيد . كما طلب المجلس الى حضرة صاحب النيافة القائمقام البطريرك بأن يمنع الكهنة جميعا من التدخل في حرية الانتخاب بالتجائهم الى أساليب غير مشروعة للتأثير في حرية الناخبين و بوجه خاص من استخدام سلطة وظائفهم أو كنائسهم للترويج لمرشح معين أياً كان المرشح ، ومعاقبة من يثبت عليه الخروج عن هذا النهي .

كذلك اتصل بعلم المجلس من مصادر محترمة أن بعض من يروجون لترشيحات معينة و يعرضونها على الناخبين للتوقيع عليها بلغ من رغبتهم في تأييد مرشحهم بجميع الوسائل أن خالفوا الأمانة وأكدوا للناخبين أن الترشيح للكرسي البطريركي مفروغ منه ومتفق على المرشح له بين المجلس الملي العام وجميع الهيئات التي يعنيها الأمر . وأن التزكية المعروضة لا تعدو أن تكون إجراء شكلياً محضاً فوقع الكثيرون منهم عن حسن نية وتصديقاً لما قيل لهم .

والمجلس الملي يرى من واجبه أن يسارع الى التصريح بأن كل ما زعمه بعض الزاعمين من الاتفاق على مرشح معين من جانب المجلس أو من جانب أية هيئة من الهيئات غير صحيح إطلاقاً . و يكفي لنقضه من أساسه أن اللائحة قد فوضت أمر الترشيح للناخبين دون غيرهم ، وأنه إذا كان هذا الترشيح مما يكفي فيه اتفاق بعض الهيئات أو الجماعات لما كانت ثمة حاجة الى إصدار اللائحة .

و يصرح المجلس الملي العام بأنه الى الآن لا يناصر مرشحاً معينا ولا يحارب مرشحا

معينا . بل يكل الأمر الى ذمة الناخبين وضمائرهم وشرفهم . وكل ما دار عليه البحث فى المجلس هو مسألة مبدئية هى ما إذا كان يجب أن يكون المرشحون من الرهبان حتما أو أنه يجوز كذلك أن يكونوا من المطارنة . وقد رأى المجلس قبل أن يبدى فى المسألة رأيا نهائيا واستكمالا للبحث أن يعهد الى لجنة من أعضائه فى زيارة الأديرة ومعرفة حالة الرهبان فيها وعلى الأخص الرهبان الذين شهد الكثيرون من بعض حضرات الآباء المطارنة ومن أفاضل أبناء الشعب ممن اختلطوا بهم وعرفوهم حق المعرفة بتقواهم وعلمهم وصلاحيتهم لتولى الكرسى البطريركى فيما إذا اقتضت أرادة الله إسناده الى أحدهم . ومتى تمت هذه الزيارات فإن المجلس الملى العام سيتقدم الى الأقباط بنتيجة بحثه و يعرض عليهم آراءه على سبيل النصيحة لأن فى عنقه نحو أمته واجب التنوير والإرشاد . وللناخبين بعد ذلك أن يتصرفوا فى الأمر بما توحيه عليهم حكمتهم ، والله المسؤول أن يرشدنا جميعاً سواء السبيل ،،،

وكيل المجلس

حبيب حنين المصرى

٤٢ ب ــ كذلك أصدر بعض الآباء المطارنة نداء قالوا فيه :

بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد

شغلت الكنيسة فى هذه الأيام بمسأله هامة فى مسألة المسائل بالنسبة لها اذ تمسها فى الصميم .

هذه هى مسألة انتخاب غبطة البطريرك والبطريرك للكنيسة هو راعيها ومديرها والرأس المفكرة فيها . وهذا ما حدا بها أن تعطيه كل اهتمامها وتفكيرها فلا تعقد اجتماعات إلا للتكلم فيها عنه ولا يدور حديث إلا حول انتخابه . وهذا دليل مادى يدل دلالة واضحة على حيوية الكنيسة واشتياقها للعودة الى سالف مجدها . وما كانت عليه من رفعة وعظمة ومن إيمان وقوة وعلم . وإذا كان لها من بقية باقية فالفضل فى ذلك يرجع الى تمسكها بقوانينها وتقاليدها . وقد اعترفت جميع الكنائس الأخرى أن الفضل فى بقاء الكنيسة القبطية هو لأنها كنيسة طقسية تقليدية . وفى سبيل المحافظة على هذه التقاليد قد استساغ آباؤنا العذاب واستعذبوا الشقاء ورخصت فى نظرهم فى سبيلها كل الأشياء حتى سفك الدماء . وتاريخ كنيستنا المجيدة حافل بالحوادث التى دلت على مدى تمسكهم بهذه التقاليد . والتقليد فى الكنيسة له المرتبة التالية للكتاب المقدس . وفى هذه المسألة بالذات قد نصت التقاليد على أن يكون البطريرك من الآباء الرهبان دون المطارنة .

وكم هو للنفس بهيج أن ترى بعض حضرات الآباء المطارنة الأجلاء يصدرون قراراً بقصر

الترشيح البطريركى على الرهبان دون المطارنة . وها هى الجماعات من وقت لآخر تعقد اجتماعاتها وتطرح مسألة الترشيح على بساط البحث وتتناول الآراء وعلى ضوء تاريخ الكنيسة وقوانينها وتقاليدها يصدرون قراراتهم مجمعين على أن يقصر هذا الترشيح على رهبان الأديرة .

أليس من المحزن حقا أن نرى الأبناء أكثر تمسكا من بعض الآباء ــ وهم قادة الكنيسة والحفاظ عليها والساهرون على تنفيذ مبادئها ــ ولكن ما الحيلة فى قلب الأوضاع ؟

سلوا هؤلاء الآباء ومؤيديهم من الأبناء كم عدد المطارنة الأجلاء الذين جلسوا على عرش مار مرقس وكم منهم كان من بين حضرات المطارنة ؟ هى مسألة حسابية بسيطة . بلغ عدد البطاركة مائة وثلاثة عشر بطريركا لم **يكن منهم مطرانا بالمعنى الصحيح المعروف سوى غبطة البطريرك الراحل الأنبا يؤانس ولم يرتق هذا الكرسى إلا لأمور قهرية** خارجة عن إرادة الكنيسة . أيريد هؤلاء القوم أن يقيموا من الشاذ قاعدة ؟!

أين هو تمسكهم بميراث آبائهم وأين لهم بنابوت اليزرعيلى ليعطيهم درسا عملياً . فقد أبى عندما طلب منه أخاب الملك ان يعطيه كرمه وقال حاشا لى من قبل الرب أن اعطيك ميراث آبائى (مل ٢١ ــ ٣)

وأين هو نحميا ليبكى على أسوار أورشليم المهدمة وأبوابها المحرقة ولكن كما رممت أورشليم وتغلب نحميا ستتغلب الكنيسة على كل المرشحين الخارجين عليها

إنه لمبدأ خطير مبدأ اختيار البطريرك من بين حضرات المطارنة لأمور كثيرة أهمها :ــ

أولا ــ إن الانتخابات عادة محتاجة الى دعايات والدعايات تلزمها المادة وهى والحمد لله متوفرة للمطارنة دون الرهبان ومادام للمطارنة الحق الانتخابى للكرسى البطريركى فقل على الأقاليم السلام . فكل مطران فى أبروشيته يصبح وليس له من هم أو اهتمام الا جمع الأموال وإعداد العدة للمعركة القادمة وتصبح أمواله وأموال كرسيه وقفا مؤبدا وحبسا مخلدا على المعركة القادمة وهنا ستعطل كل الأعمال الخيرية التى كان حبر الاقليم قائما بها من مدارس وكنائس ومساعدات للمحتاجين . فارحموا الأقاليم ودعوا الآباء المطارنة يعملون فى أقاليمهم بما يعود على كنيستهم بالنفع الجزيل

ثانيا ــ إن الآباء المطارنة ماداموا سيزجون بأنفسهم فى معارك انتخابية فمعنى هذا أنهم سيعرضون أنفسهم للنقد وتقدم ضدهم الطعون وتثار حولهم فى كلا الحالتين : إذا وصلوا الى بغيتهم أو إذا باؤا بالفشل ؟ وليس أعظم من دليل الا ما هو حادث اليوم . أبناء الكنيسة انما ينظرون الى آبائهم نظرة كلها إجلال واحترام ؟ ! ...

ثالثا ــ وحدة الكنيسة أيضا تحتم على قادتها أن يبتعدوا عن الخوض فى مثل هذا المضمار صونا لهذه الوحدة وقد جر ترشيح بعضهم الى انقسامات مرة فنفر منهم يناصر هذا وآخر يناصر ذاك واستحكمت بينهم العداوة وأبعدتهم هذه الحال عن قول الكتاب « مجتهدين ان تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام »

وما أجمل الاقتراح الذى تقدم به أحد الآباء الأجلاء فى دورة المجمع المقدس الماضية يطلب حفظا وصونا لوحدة الكنيسة أن ينسحب الآباء المطارنة من عملية ترشيح أنفسهم

لنا كلمة ختامية نوجهها الى حضرات المؤيدين للمطارنة : ما هو أمتياز المطارنة عن الآباء الرهبان ؟ وإذا ما وجه هذا السؤال نسمع جوابا واحدا وهو الخبرة والدراية والمران . إنها لامور محزنة . تؤلم النفس وتفزع الروح ، أى مصدر هو مصدر هذه الخبرة والدراية والمران ؟ إذا كان هو مصدر عالمى فهى خبرة كاذبة ودراية خادعة ومران باطل لأنه كما يقول الرسول « حكمة هذا العالم جهالة واختار الله الجهلاء ليخزى بهم الحكماء » اختار سيدنا تلاميذه من البسطاء وجعلهم منارة للدين لأنه يقول و يصير الجميع متعلمين من الله

وأما إذا كان مصدر هذه الخبرة والدراية والمران عمل الروح القدس فليتركوا الروح يعمل فى غيرهم كما عمل فيهم اللهم إلا إذا كانوا ينكرون على الكنيسة عمل الروح فيها وقد وعد أن يكون معهم كل الأيام حتى انقضاء الدهر .

فبروح المحبة المسيحية نوجه نظر حضرات من يهمهم الأمر ألا يختاروا البطر يرك الا من الآباء الرهبان ولا يؤ يدوا سواهم وخصوصا بعد ما ثبت لأعضاء المجلس الملى العام الذين شرفوا الأديرة صلاحية هؤلاء الرهبان واستعدادهم الكافى .

ومما يؤسف له أن بعض حضرات الكهنة ورؤساء الكهنة ممن يروجون للمطارنة (مع علمهم بأن ذلك اعتداء على قوانين الكنيسة وتقاليدها) يلجأون الى مخالفة أخرى واعتداء آخر بأن يوجهوا بركة وسلطان الكهنوت لإرغام البسطاء على مشايعتهم . وللتأثير عليهم حتى ينتخبوا مطرانا معينا للكرسى البطر يركى .

لذلك

نعلن الشعب المبارك أن مثل هذا العمل مردود الى قائله ولا قيمة له دينيا ، وأن الله سيعطيهم بركات وخيرات مضاعفة ما داموا متمسكين بالمحافظة على الكنيسة وتقاليدها .

ابرآم	بطرس	أثناسيوس
مطران البلينا	مطران سوهاج واخميم	مطران بني سويف

أغابيوس	ساويرس
مطران صنبو وديروط وقسقام ورئيس الدير المحرق	مطران المنيا والأشمونين

٤٣ــ ولما كانت حرية الكلام والكتابة مكفولة ، فإن القائمين بالدعاية الانتخابية اتخذوا كل الوسائل الممكنة : فكتبوا وعقدوا الاجتماعات فى مختلف المدن ، وألقوا الخطب الضافية وتناقشوا بحرارة . على أن الدعاية سيف ذو حدين : حد يتغنى بفضائل شخص معين ، وحد يعدد رذائل غيره . ولو أنها اقتصرت على إبراز الفضائل فقط لكانت مقبولة ، لأن الله منح الإنسان الحرية ولكنه شاءه أن يحسن استعمالها .

ولقد كان واضحاً من البداية أن المطران الأكثر شعبية هو الأنبا مكاريوس . فلقد كان له تاريخ طويل مشرف في أسيوط . كما كان ذا شخصية وقورة جذابة معا ، وتميز بوجه يمكن وصفه بكلمة « جميل بالنعمة » (١) . أما عيناه فكانتا تسطعان بنور روحانى ، كما أن لحيته البيضاء الطويلة كانت تذكر الناظر اليه بما جاء فى المزمور عن « لحية هرون النازلة على جيب قميصه » (٢) . وفوق هذا كله فقد كانت صلواته تنفذ الى أعماق القلب بحرارتها الروحانية الدافقة . وهو ضمن الصفوة القليلة التى داومت على الترنم بالقداس المرقسى ــ الكيرلسى (٣) . وقد حباه الله شخصية مغنطيسية حتى أنه نجح فى اكتساب تقدير البروتستانت بل لقد بلغ تقدير البعض منهم له أن قيد اسمه فى سجل الناخبين ليعطيه صوته يوم الانتخاب (٤) .

وكان للأنبا مكاريوس مكانة خاصة فى قلب حبيب المصرى لأنه نشأ تحت رعايته منذ صباه ، فكانت المحبة الوثيقة متبادلة بينهما . وانتقلت هذه المحبة الدافقة من حبيب الى عائلته . ولذلك كان الأنبا مكاريوس كلما حضر الى مصر يتكلم تلفونيا مع آل حبيب المصرى فور وصوله ، وكلما مر أحد منهم بأسيوط ــ ولو عابراً ــ يذهب لينال بركة هذا القديس قبل أن يغادر المدينة . ولمتانة هذه الصلة جاء الأنبا مكاريوس لزيارة حبيب المصرى فى بيته وعاتبه بقوله :

(١) هذا الوصف يقال فى الألحان الكنسية عن بعض الشهداء كمارجرجس وعن بعض القديسين كالأنبا بنيامين البابا الـ ٣٨ .

(٢) مزمور ١٣٢ (فى الأجبية) .

(٣) انظر ف ٣٦

(٤) ومن هؤلاء البروتستانت دكتور بنيامين بهمان صاحب مستشفى الأمراض النفسية بحلوان ، ولم يكن بروتستانتيا فحسب بل كان أيضا متزوجا من امرأة بلجيكية . ومع ذلك فقد اندفع بتقديره للأنبا مكاريوس الى الانضمام لناخبيه .

« تبقى أنت ابنى من طفولتك وساعة ترشيحى تناصر غيرى ؟! » أجابة : « أنت تعرف تماماً يا أبى المبجل مقدار حبى وإجلالى لك . ولكن ولائى للمبدأ يفوق ولائى لأى شخص حتى ولو كان شخصك الوقور . ولو كان القانون الكنسى الأصيل يبيح انتخاب المطارنة لكنت أنت أول من أتحمس له » . قال المطران الجليل : « لكن الشعب عايزنى » . فرد حبيب المصرى : « أنت قائد للشعب ومرشده ومعلمه ، وكنت أتوقع من نيافتك — حين يطلب الشعب اليك ترشيح نفسك — أن تقول : لا ياأولادى — لقد نلت كرامتى الخاصة من رب الكنيسة . والراهب هو صاحب الحق فى هذه الكرامة التى تر يدونها لى . فأنصحكم بانتخاب فلان » . فأدت هذه الكلمات الى قيام جفوة وقتية بين المطران الوقور وابنه الروحى .

وهذا الذى قاله حبيب المصرى لنيافة الأنبا مكار يوس قاله أيضا لنيافة الأنبا ثيئوفيلس خلال ز يارته للأراضى المقدسة خلال أسبوع الآلام والقيامة المجيدة لسنة ١٩٤٣ . ولقد تقبل مطران الكرسى الأورشليمى كلامه بهدوء — بل بابتسامة أيضا .

وكان هناك آنذاك جراح ذو شهرة عالمية اسمه ابراهيم فهمى المنياوى ، ناله تقدير ملك مصر بأن حظى منه على رتبة الباشاو ية . وكان عضواً بالمجلس الملى العام . اتفق فى بادىء الأمر مع مؤيدى الرهبان ثم تحول بعد ذلك الى زعامة فر يق المناصر ين للأنبا مكار يوس . وهذا التحول أدى الى الانقسام بين أعضاء المجلس الملى العام .

وعلى ذلك نجد أنه كانت آنذاك أر بعة جبهات : جبهة تسعى لأن يفوز راهب بالكرسى المرقسى ، وهذه الجبهة تخيرت الراهب فرنسيس البرموسى الذى كان محاميا قبل اعتزاله العالم ، ثم جبهة لكل من الأحبار الثلاثة .

٤٤ — ولقد وجد الدكتور المنياوى نصيراً فى القمص ابراهيم لوقا — فسعى كلاهما بكل إمكانياتها لتوصيل المطران الأسيوطى الى السدة المرقسية . فعقدا الكثير من الاجتماعات ووزعا النشرات الوفيرة فى مختلف المدن . ومن الموجع أنهما — كلاهما — لم يكتفيا بمديح الأنبا مكار يوس بل عملا على تجر يح منافسيه وشجعا كل المنضمين إليهما على نهج هذا السبيل . ولئن قيل إن هذا التشهير بالآخر ين مناقض للتعليم المسيحى أضفنا الى أنه يتناسى إمكانية فوز المطعون فيه . فإذا ما تبوأ السدة المرقسية شخص نالت منه الدعايات المغرضة ، فهذه الدعايات ستكون من غير شك سببا فى إضعاف هيبته . ومن الموجع أيضا أنهما لم يتورعا عن تجر يح المطرانين المرشحين على الرغم من مكانتهما الكهنوتية . ومن الأمثلة على هذا الطعن أن المنياوى ونصيره إبراهيم لوقا قالا عن الأنبا يوساب إنه لا يصلح لأن يكون قيما — أى أنه لا يصلح لأن يكون المسئول عن إعداد القر بان ! — وهذا أهون ما قالاه عنه .

و بديهى أن مثل هذه الدعايات قد أذت الكنيسة أذى بالغاً إذ قد فتحت ثغرة ينفذ منها

اللأرثوذكس ، وتهتز تجاهها ضعاف الإيمان من الأرثوذكس فيصابون بنوع من الاستخفاف بكرامة الكهنوت القبطى . لذلك نجد أن الفترة ما بين انتقال الأنبا يؤنس الـ ١٩ الى الفردوس وتنصيب الأنبا مكاريوس مليئة بالقلق و بعدم الاستقرار و بالتخاصم والتراشق بين الإخوة .

٤٥ ــ وكان من الضرورى أن يضع المسئولون لائحة قانونية يسيرون بموجبها فى ترشيح وانتخاب البابا المرقسى ، وأن تعتمد الحكومة هذه اللائحة . ومن نعمة الله أن اتفق المجمع المقدس والمجلس الملى العام على مواد هذه اللائحة . ثم أسندوا الى وكيل المجلس وضع مذكرة إيضاحية لها . وقبل وضعها إلتقى مع حضرات آباء المجمع المقدس ــ حيث كان العلمانى الوحيد بينهم ــ وتشاور معهم فى الموضوع فلما صيغت اللائحة نهائيا وأرفقت بالمذكرة ، رفعها وكيل المجلس الى رئيس مجلس الوزراء . وعلى أثر ذلك نشرت « الوقائع الرسمية » (وهى الجريدة الحكومية) بعددها ٢٢٠ « غير الاعتيادى » الصادر فى يوم الاثنين ٧ نوفبر سنة ١٩٤٢ مايلى :

نحن فاروق الأول ملك مصر
بناءً على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء :
أمرنا بما هو آت

المادة الأولى ــ تعتمد لائحة ترشيح وانتخاب بطريرك الأقباط الأرثوذكس المرافقة لهذا الأمر .

المادة الثانية ــ على رئيس مجلس وزرائنا تنفيذ أمرنا هذا ، و يعمل به من تاريخ نشره بالجريدة الرسمية .

صدر بقصر عابدين العامر فى ٩ نوفبر سنة ١٩٤٢ .

فاروق
بأمر حضرة صاحب الجلالة الملك
مصطفى النحاس
رئيس مجلس الوزراء

على أنه ــ قبل ذهابه الى جلسة المجمع المقدس للتشاور مع أعضائه الموقرين ــ جاءه الخطاب التالى :

حضرة صاحب السعادة حبيب باشا المصرى

باركه الرب.ستواجه اليوم آباء الكنيسة . الله معك تشدد وتمسك بتقليد آبائك فى رفض اختيار البطر يرك من المطارنة واحتفظ أن يكون الاختيار من بين الآباء الرهبان

هذا هو تقليد المسيح فى الكنيسة منذ ١٩٠٠ سنة ولم تغير الكنيسة هذا النظام فى أجيالها فقط

والمسيح وبخ التلاميذ عندما دخلهم فكر كل منهم يكون أولا فقال لهم « بل من أراد أن يصير فيكم عظيما يكون لكم خادما ، ومن أراد أن يصير فيكم أولا يكون للجميع عبداً »

(مرقس ١٠ : ٤٣ و٤٤)

مصر فى ١١ / ٨ / ١٩٤٢

(إمضاء) بشارة بسطوروس

وعلى طول هذه الفترة استمرت الحملات الدعائية . ففى ١٧ أبريل سنة ١٩٤٢ أرسل حبيب المصرى خطابا الى مراد وهبة باشا (١) قال له فيه .

حضرة صاحب السعادة المحترم مراد وهبه باشا

بعد التحية ــ تلقيت الخطاب المؤرخ فى ١١ ابريل سنة ١٩٤٣ والمذكرة الملحقة به التى وضعها حضرات المجتمعين فى مكتبكم فى بعض مسائل خاصة بالترشيح للكرسى البطريركى .

وقد ذكر فى ذيل ذلك الخطاب ما يفيد أن الغرض من الطلبات المبينة فى المذكرة هو توحيد الكلمة وظهور الشعب القبطى بالمظهر اللائق به . ولا شك عندى فى أن هذا غرض شريف جدير بأن تتضافر لتحقيقه الجهود . على شرط أن تكون الوسائل التى تتخذ فى سبيل تحقيقة مما يؤدى اليه حقيقة . وآسف كل الأسف أن أقول إن عبارة وردت فى صدر ذلك الخطاب تتنافى تماما والغرض الذى قيل إن الاجتماع يرمى إليه . فقد جاء بها أن المجتمعين تناقشوا فى « نقط الخلاف القائمة بين الشعب القبطى وبين المجلس الملى » . ومثل هذا التصوير للحالة تصوير غير صحيح لأنه لا يوجد أى خلاف بين المجلس الملى والشعب القبطى .

نعم إنه توجد خلافات ، وخلافات شديدة ، بين أفراد الشعب القبطى عموما فى هذه المسألة الخطيرة . ومن الطبيعى أن يقع مثل هذا الخلاف وأن تتشعب وجوه النظر لعظم المصالح الروحية والاجتماعية التى تتصل بالاختيار لكرسى مار مرقس . أما تصوير المسالة بأنها خلاف واقع بين المجلس الملى وحده من جهة وبين الشعب القبطى كله من جهة أخرى فلا محل له إلا إذا اعتبر الموجودون بمكتب سعادتكم هم الشعب كله . والواقع أنه تصوير للموقف لا أستطيع أن أقبله بأى وجه . وما لم يصحح هذا التصوير ويرد الى حقيقته والى أن الغرض من الاجتماع

(١) هو الابن الأكبر ليوسف باشا وهبة ــ راجع ما جاء عنه فى سيرة البابا الوقور الانبا كيرلس الخامس .

معـالجـة مـا بين بـعض الأقباط والبعض الآخر ـ لا ما بين الأقباط والمجلس ـ من وجوه الخلاف فإنى لا أستطيع أن أعرض المسألة على المجلس .

بـل إنـنـى أعـتبر فى هذا الوضع مهانة للمجلس فوق ما بدا فى الاجتماع ، على ما اتصل بى من بعض حضرات الذين حضروه وما نشرته جر يدة مصر فى عدد يوم ١٢ ابر يل سنة ١٩٤٣ ، من أنـواع الـتـعـر يض والـتـحقير من جانب بعض الشخصيات وعلى الأخص من جانب حضرة صاحـب السعادة توفيق دوس باشا . على أننى لا أستغرب من سعادته هذا الموقف فإن بينه و بين المجلس الملى خصومة قديمة مزمنة بدت فى مظاهر مختلفة ، و بعضها لا يزال معروضا على القضاء . وكـل أفـراد الـشـعـب الـقـبـطى الذين تتبعوا جهادنا الطو يل يعرفون ، كما تعرفون سعادتكم وكما يـعـرف حـضـرات السادة الذين اجتمعوا فى مكتبكم تار يخ هذه الخصومة وملابساتها . و يعرفون أسـبـابهـا والـعـوامـل المحـركـة لهـا . فإن أبيتم إلا أن نذكر الوقائع وإلا أن ننبش الماضى المحزن وأن نـسـتـعـرض ذكر ياته الأليمة فأنا رهين أمركم . ولكنى أفعل ذلك مكرها وفى الحدود التى يقتضيها بيان مواقفه الطائفية .

وثـمـة مـلاحـظـة أخرى أسـمـح لـنفسى بإبدائها لسعادتكم وهى أنه ما دام الغرض من الاجتماع كان توحيد الكلمة وظهور الشعب بالمظهر اللائق به فكان مما يترتب على ذلك بداهة أن يجتـمع فى صعيد واحد جماعة ممن يمثلون الآراء المختلفة التى يراد التوحيد بينها . ولكن الذى لوحظ أنـه فى هذا الاجتماع كما فى الاجتماع السابق الذى عقد فى سرايكم العامرة كان المجتمعون هم هـم على الأغلب من لون واحد وممن يؤ يدون فكرة واحدة . ومع أن اجتماعكم كان يضم فى من يضـمـهـم نخبة كريمة من ذوى الرأى والمكانة فإنه يوجد الى جانبهم مئات وألوف يرون غير رأيهم وقـد جاهروا بآرائهم فى الصحف وبمختلف أساليب النشر . أفلم يكن بينهم من يستحق أن يدعى الى هـذا الاجـتـمـاع أيـضـا لـكـن يـدلـى بـوجـهـة نظره ؟ وقد سبق لى أن أبديت هذه الملاحظة لسعادتكم على أثر الاجتماع السابق وصرحتم لى وقتئذ بأن ذلك لم يكن متعمداً على الإطلاق . وكـنـت أعـتقد أن هذه الملاحظة ستنال نصيبا من عنايتكم فى أى اجتماع آخر . ولكنى لم أرلها أثراً فى هذا الاجتماع الثانى . ولعل المقصود من ذلك أن يثبت أن الأقباط جميعا من رأى واحد . لا يشذ عن هذا الإجماع الا المجلس الملى . فهم فى واد والمجلس فى واد .

ومـمـا يـدعـو الـى ازديـاد الأسـف تـلـك الـروح المحزنة التى تجلت فى الاجتماع من بعض حـضـرات المـتـكـلـمين . فـهـى بـعـيـدة كـل الـبـعـد عن روح الوئام وتوحيد الكلمة . ومناقشتهم ومـلاحـظاتهم يمكن أن توصف بكل شىء إلا بالرغبة فى الوئام و بالرغبة فى ظهور الشعب القبطى « بـالمظهر اللائق به » . فقد طلب بعض حضراتهم الا يذكر أى شىء يدل على اختصاص المجلس المـلـى فى الشؤون الدينية لئلا يعترف له باختصاص ليس له . وذكر غيره أن المجلس الملى لا يخرج عن أن يكون محكمة جزئية للفصل فى دعاوى الأحوال الشخصية البسيطة .

أما فيما يتعلق بالمسائل التى يثيرها الترشيح للكرسى البطريركى عامة و بغيرها من المسائل التى يضطلع المجلس بها فإنه ليس فى وسعى أن أدلى ببيان عنها إلا بإذن المجلس وقرار منه . ولكن الذى أستطيع أن أقوله هو أن المجلس غير متوان فيها ولا مقصر وسيسير فيها دائما متوخيا الحكمة والحق والقانون . وسيؤدى الواجب الذى يمليه عليه الضمير النزيه من غير أن تؤثر فيه أنواع التعرض والانتقاد ــ وهى كثيرة سهلة ــ إلا إذا كان هذا الانتقاد حقا فإنه يقبله دائما بصدر رحب على العين والرأس . والمجلس لا يتعدى ولا ينوى ان يتعدى أبداً اختصاصاته التى رسمتها له القوانين . ولكنه فى حدود هذه القوانين يتمسك بكل اختصاصاته فى غير هوادة ولا مجاملة ولا يتلقى الوحى فى تفسيرها من أى شخص غير مسئول ، واذا رأى فى أى حين أن المصلحة العامة تقتضى نشر أى بيان أو قرار على الشعب فإنه سيفعل فى الوقت الذى يتخيره . وحتى فى اختيار وقت النشر لن يكون الدافع الى ذلك إلا رعاية المصلحة العامة .

وأرجو أن تتفضلوا بقبول خالص احترامى ،

وكيل المجلس الملى العام

القاهرة فى ١٧ ابريل سنة ١٩٤٣

(إمضاء) حبيب حنين المصرى

ثم جاء الى حبيب المصرى خطاب هو الصورة الحقة لما كان يجب أن ينهجه القبط و بخاصة فى الموضوع الحيوى الذى هو انتخاب راعيهم الأول . ونقتبس الجزء الأخير منه الذى لو كان المسئولون قد أصغوا اليه لكانوا قد جنبوا كنيستهم الكثير من الآلام . وهاهو:

مصر فى ٢٠ / ٩ سنة ١٩٤٢

وانى أرى **أنه** من الواجب علينا أن نستعين باثار الروح القدس فى الانتخاب ولذا اقترح أن يقام قداس حبرى فى جميع الكنائس فى كل يوم من الايام الثلاثة السابقة ليوم الانتخاب يتضرع فيه الشعب للسيد المسيح له المجد رب الكنيسة وعريسها بأنه يرشدنا بروحه القدوس لانتخاب الشخص الذى يراه صالحا لرعاية شعب كنيسته المحبوبة ــ واتعشم أن يحوز قبولا ولالهنا المجد والاكرام الى آباد الدهور آمين .

وتفضلوا سعادتكم بقبول اسمى عبارات التحية والاحترام من المخلص

قلدس بشاى

رئيس جمعية الرحمة الخيرية

ولقد دفع الحماس بالبعض الى أن يستعينوا بنفوذ رئيس لجنة قضايا الحكومة ، فبعثوا اليه ببرقياتهم وهو بدوره حولها على وكيل المجلس الملى العام (١) .

حضرة صاحب السعادة رئيس لجنة قضايا الحكومة

أتشرف بأن أرسل لسعادتكم بالبرقيات الواردة مع كتاب الداخلية رقم ٥٩/٨/١ والمقدمة من ميخائيل تادرس افندى عن جمعية الحياة القبطية الأرثوذكسية وأيوب عبد الملك أفندى والأستاذ شاكر سليمان المحامى بالتماس عدم اعتماد المادة الثانية من لائحة الترشيح والانتخاب لمنصب بطريرك الأقباط الأرثوذكس الذى أرسل مشروعه من رياسة مجلس الوزراء الى رياسة اللجنة بدعوى مخالفتها للكتاب المقدس والتقاليد الكنسيه اذ يتعين أن يكون البطريرك راهبا أو ممن لهم مراتب المذبح .

المرفقات ٤

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام ،،

١٥ اكتوبر سنة ١٩٤٢

المستشار الملكى المساعد

ثم قرر حبيب المصرى بعد كل هذه الخطابات أن يكتب ليصحح بعض الأوضاع ، فأرسل المقال التالى :

المقطم فى ١٨ يناير سنة ١٩٤٣

فى الترشيح
للكرسى البطريركى

بقلم حبيب المصرى باشا

حضرة الأستاذ الكبير رئيس تحرير المقطم .

منذ أن بدأت الحملة الانتخابية للترشيح للكرسى البطريركى للأقباط – وهى حملة تلونت مع الأسف بلون الحملات الانتخابية السياسية – لم اكتب للصحف كلمة واحدة . ولم أرد على ما يكتب عنى أو ينسب صدوره الى مع اشتماله فى أكثر الأحيان على تشويه وتحريف متعمدين .

---

(١) يؤسفنى أننى لم أعثر بين الأوراق العديدة التى جمعتها بعد انتقال أبى الى الفردوس على البرقيات المذكورة .

ولكنى خرجت اليوم عن مأثور عادتى إذ قرأت بيانا فى المقطم لكاتب اختار لنفسه أن يكتم اسمه مع أنه لا موجب للكتمان فى مثل هذا الموقف . وقد استيقظ الكاتب الآن فذكر على طريقته مازعم أنه دار فى الاجتماع الذى عقد منذ أكثر من أسبوعين من الزمان فى دار سعادة مراد وهبة باشا وهذا البيان لا يخرج عن أن يكون حلقة من حلقات الدعاية الانتخابية التى يقوم بها كاتب البيان — وهو معروف رغم تبرقعه — للترويج لترشيح معين .

والواقع أن الاجتماع قد ضم نفراً يعدون من نخبة الأقباط علما وفضلا ، ولهم فى ميدان الجهاد آثار مشكورة . ولكن كان فيه الى جانبهم أفراد يكفى أن أقول إنه ليس لهم ماض معروف فى الخدمة العامة ولا أريد أن أزيد على هذا حرفاً . ولست أدرى لماذا اختصوا بالدعوة . ومع اعترافى بنبل الغرض الذى كان يبغيه سعادة مراد وهبة باشا من جمع الكلمة وإزالة الشقاق فإننى آسف أن أقول إن الاجتماع كان له صبغة خاصة فلم يدع اليه الا الذين يؤيدون على الأخص رأيا معينا دون أصحاب الآراء الأخرى — وهو أمر أعتقد أنه وليد المصادفة لا التعمد — فلم يحضر أحد من شباب الأقباط العاملين ولا من رجال الجمعيات القبطية المختلفة ، أولئك الذين افنوا زهرة العمر فى خدمة الشئون الطائفية وكرسوا جهودهم وقواهم لرفع مستوى طائفتهم بجميع الوسائل . وهم أولى بأن يسمع صوتهم فى هذا الأمر الخطير . ولم يحضره من المطارنه الا مطران واحد بالذات عرف بنزعات معينة يجمل بى ألا أعلق عليها لأنه على كل حال رئيس دينى ولرتبته الدينية مكانة أحرص على كرامتها.

وليس يهمنى اليوم نفاذ صبر الكاتب أو عدم نفاذه . وليس يهمنى تعريضه بشخصى أو بأشخاص زملائى فقد يكون له عذره . ولكن الذى يهمنى أن أصرح به هو أننى لا أؤيد مرشحا بذاته ولا أحارب مرشحا بذاته . وإنما أدافع عن مبدأ اعتقد أنه المبدأ الصحيح الذى تقضى به قوانين الكنيسة وتقاليدها بل مصلحتها الحقيقية متجرداً عن كل غرض أو هوى أو مطمع . وسأدافع الى النهاية محتكما عند الاقتضاء الى بنى قومى عن هذا المبدأ وهو أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية الوطنية هى كنيسة تقليدية أعتقد أنها لم تعش الى اليوم ولم تقوى على الصمود لأحداث الدهر الا لفرط محافظتها على تقاليدها . فإذا فاز المبدأ الذى أدافع عنه كنت سعيدا . وإذا قدر له الفشل شعرت باننى أديت واجبى وأرضيت ضميرى وأبرأت ذمتى . وتمنيت لمن يصل الى الكرسى كل خير وتوفيق .

أما قول الكاتب إننى أخالف اللائحة فجوابى عليه أن له رأيه ولى رأيى الذى لا أعجز عن الدفاع عنه وسأبسطه للرأى العام القبطى متى آن الأوان . ويكفى أن أذكر هنا أن اللائحة ليست هى التى أنشأت قوانين الكنيسة وتقاليدها أو ابتدعت فيها ، ولا يخطر فى البال أنها أرادت أو كان فى إمكان واضعيها تعديل تلك التقاليد أو تغييرها أو إحداث حدث جديد فيها . ولكن اللائحة هى التى استمدت الشرط الدينى وهو شرط الرهبنة من التقاليد والقوانين الكنسية

وحدها . فهذا الشرط لا يمكن إذن تفسيره إلا بالرجوع الى قوانين الكنيسة وتقاليدها وتاريخها الطويل . ومعناه اليوم لا يمكن أن يتغير عن معناه الماضى ولم تكسبه اللائحة وما كان فى الإمكان أن تكسبه معنى لم يكن له من قبل بمقتضى قوانين الكنيسة وقرارات مجامعها الصحيحة .

حبيب المصرى

٤٦ــ ووسط زحمة الدعايات وتضارب الآراء أرسل يسى عبد المسيح خطاباً الى مناصرى الرهبان يؤيدهم ، قال فيه :

إن القاعدة الثابتة التى تسلمتها الكنيسة المصرية من عصر الرسل وتسير عليها للآن وهى قصر انتخاب البطاركة على الرهبان والقسوس فقط دون الأساقفة ولا شك فى ان حضرتكم توافقونى على صحة هذه القاعدة للأسباب الآتية :ــ

١ــ إن البطريركية هى بذاتها الأسقفية التى هى أرقى درجات الكهنوت الثلاث ، وكان الرسل يلقبون بأساقفة يؤيد ذلك ما ورد عن يهوذا الاسخر يوطى فى أعمال الرسل ص ١ : ٢٠ ورياسته يأخذها آخر والترجمة اليونانية والقبطية METTETTICKOTIDS أى بمعنى أسقفية . وقد سمى بطرس الرسول فى رسالته الأولى ص ٢ : ٢٥ السيد المسيح أسقفا بقوله « ولكنكم رجعتم الآن الى راعى نفوسكم وأسقفها ETTICKOTTOS فتكون إذن لفظة بطريرك ومطران وجاثليق واكسرخوس وغيرها وظائف إدارية حدثت فى الكنيسة بعد العصر الأول المسيحى لنظام الكنيسة وترتيبها ، ولا تخرج عن معنى الأسقفية . فان ترقية أسقف الى بطريرك معناه نقل أسقف الى ابروشية ليست له . وهذا مخالف للتقاليد والقواعد التى ثبتتها المجامع المسكونية والمكانية توكيداً للقوانين الرسولية .

٢ــ إن كتب تكريس البطاركة والأساقفة فى الكنيسة المصرية ينص على أن يكون المرشح فقط قسا ، وإن لم يكن قسا فليكرسه أكبر الأساقفة شماسا ثم قسا ثم يكرس بطريركا . (مقدمة انتخاب البطريرك من النسخة الخطية الموجودة بالمتحف . أما فى كتاب تكريسات درجات الكهنوت فى الكنيسة اليونانية فلا توجد الا تكريس أسقف (أو رئيس أساقفة) .

٣ــ من التقاليد التى سارت عليها الكنيسة وهى انتخاب البطاركة ال ١١٢ نرى أنه ليس بينهم مطران واحد . ولا شك فى أنكم توافقوننى على أن كرسى مارمرقس دون كل الكراسى الرسولية اختص بميزتين .
أــ انتخاب بطاركته من القسوس ب ــ من المتبتلين .

٤ــ هناك حروم من بعض بطاركة الكنيسة المصرية على من يتعدى على هذا الكرسى من المطارنة ، و يعللون ذلك بان الأسقف الذى ينقل للبطريركية أو ينقل الى أسقفية أخرى

يعتبر كمن تعدى على زوجة أخيه . فان فى القوانين التى تعتبرها الكنيسة ان الاسقف تزوج الابروشية ولا يجب أن يطلقها حتى الممات وربما وقد يكون هذا التعليل ناشئاً من واقعة « تجليس الأسقف الجديد متى وصل الى كرسيه » فانه حسب ما ورد فى الكتب الخطية يقابله الشعب والأساقفة و يزفونه فى وسط المدينة و يسلمون له مفتاح الكنيسة ليكون هو رأسها ومديرها (راجع الطوخى) .

٥ـــ جراسيموس مسرة المطران الرومى فى كتابه الانشقاق أوضح أن ترقية رؤساء الكنيسة الى رتبة البطر يرك غير قانونية .

٦ـــ ليس فى كنيستنا كتب تكر يسات لترقية الأسقف الى البطر يركية ، ففى حالة كسر القانون سالف الذكر نضطر أن ننشىء صلوات وطلبات تتلى على الأسقف الذى يرقى الى البطر يركية وهذا غير جائز أصلا . وإن كانت بعض الكنائس أجازته فقد كانت هذه الإجازة مبينة على قرارات مجمع يرأسه بطر يرك قانونى (١) .

وقد أيد يسى عبد المسيح كل الحر يصين على تقاليد كنيستنا العر يقة ، كما يتضح من التصر يح التالى :

كنيستنا التى فى التار يخـ لتتقدس تقاليدك وليأت زمان افتقادك . لينجك الرب من البدع والمجددين . آمين .

حبيب جورجى

إنه فى اختيار الرئيس الأعلى للكنيسة القبطية الارثوذكسية من بين رهبانها أو من بين أفراد شعبها لأعلى مثل من أمثلة الديمقراطية الدينية ولأرفع مظهر من مظاهر الحر ية الروحية وهو سر من اسرار جلال هذه الكنيسة عرفه القبط شعبا وكهنوتا فأبقوا عليه طوال الأجيال الفائتة ولعله أحد أسرار بقائها كنيسة حية مجاهدة .

-فليس العلم ولا المركز أو الجاه شرطا يجب أن يتسلح به الرجل الذى تطلبه الكنيسة للكفاح مع الله (كما يقول الكتاب) وليس مع البشر لطلب المعونة واستنزال الغوث والبركة على الشعب .

حبيب جورجى

٤٧ ـــ وفى مساء الأثنين ٩ أغسطس سنة ١٩٤٣ ، دعا الشباب الجامعى حبيب المصرى الى إلقاء خطاب عن الانتخابات البابابوية ، فألقاها فى ناديهم بشبرا . وقد استغرق إلقاؤه

---

(١) تعليق يسى عبد المسيح أمين مكتبة المتحف القبطى فى ٢٥ مايو سنة ١٩٤٣ .

الخطاب ثلاث ساعات متوالية . وكان قد اقترح على الشباب أن يلقيه على دفعتين ولكنهم صمموا على سماعه بأكمله دفعة واحدة . بل لقد بلغ بهم الحماس حداً جعلهم يلقون عليه الكثير من الأسئلة بعد انتهاء الخطاب ـــ ولكن للأسف لم يكونوا ضمن الناخبين ! ... وهذا بعض ما جاء فى حديثه :

أعلم حق العلم أن المسألة التى أتكلم فيها اليوم قد أصبحت مع الأسف مسألة شائكة . على أنها لم تكن كذلك فى سابق الزمن . إذ لم يكن هناك رأيان يختلفان فى الشروط الدينية الواجب توافرها فى الترشيح للكرسى البطريركى .

وأعلم حق العلم أن الآراء مختلفة فيها . فالبعض يرون انه يجب حتما أن يكون المرشح راهباً له بعض رتب المذبح ـــ أى لغاية رتبة قمص ـــ فى حين يرى البعض الآخر أنه يجب أو يجوز أن يكون مطراناً . ولم يكن لهذا الاختلاف وجود فى سابق الزمن . فقد كان الأقباط جميعاً ، فى هذه الكنيسة التقليدية المجيدة ، لايشذ منهم فرد واحد ، على أجماع بأن المرشح يجب أن يكون راهباً لا مطراناً . ولكن ظروفاً وملابسات عديدة عملت عملها وأثرت فى بعض الرأى العام فوجهته أتجاهاً آخر وهو تحتيم أو جواز ترشيح حضرات الآباء المطارنة .

فوجب أذن أن يبسط كل من الفريقين رأيه للشعب . ووجب أن يقول أنصار ترشيح الرهبان لماذا يصرون على رأيهم ، وما هى أدلتهم وأسانيدهم وحججهم . وأن يقول أنصار ترشيح المطارنة كذلك لماذا يرون العدول عن التقليد القديم وما هى أدلتهم وأسانيدهم وحججهم .

وها أنا ذا أفتح هذا البحث فأبسط نظرية أصحاب الرأى القائل بوجوب حصر الترشيح فى الرهبان . أبسطه بسطاً هادئاً بعيداً عن كل هوى وأنفعال . أبسطه ، لا بصفتى وكيلا للمجلس الملى العام ، ولا بصفتى عضواً فيه ، بل بصفتى قبطياً من أراخنة الأقباط أشتغل بالشؤون القبطية العامة ، زمناً طويلا بل عنى بها منذ صباه . وسأعرض فى كلمتى هذه لكل المسائل التى يدور فيها الجدل بين الأقباط فى هذا الشأن الخطير وأبدى فيها رأيى بتلك الصراحة التامة التى لا ينكرها على حتى أشد خصومى فى الرأى . وأستعرضها أولا من الناحية القانونية . ثم استعرضها من ناحية المصلحة العامة والآثار العملية .

وسأعمل جهدى أن أرتفع بهذا البحث إلى المستوى العالى الذى يليق به .

لم أجىء الى هنا لكى أرضى أحداً ، ولا لكى أؤيد أحداً .

ولم أجىء إلى هنا لكى أغضب أحداً ، ولا لكى أحارب أحداً .

أنما جئت هنا لكى اؤدى واجباً فى عنقى نحو هذا الشعب الذى أحببته . وسعدت بحبه .

وكثيراً ما شقوت به كذلك ، نحو الكنيسة ، هذه الأم الرؤوم التى ولدت فى أحضانها وسأموت فى أحضانها ، نحو عشرين قرناً من الزمان نادى الأقباط فى سذاجتهم الحكيمة . فى سذاجتهم المقدسة . فى أيمانهم القوى .

بما أنادى به اليوم .

على أننى من فوق هذا المنبر أوجه هذه الكلمة لا إلى الحاضرين فقط بل إلى الغائبين أيضا .

أوجهها أولا وقبل كل شيء إلى حضرات آبائى المحترمين الأحبار الأجلاء أصحاب النيافة القائمقام البطريركى والمطارنة . أننا نختلف معهم أحياناً فى الرأى . ولكن مصلحة الكنيسة تجمعنا . ورابطة الأبوة والبنوة تربطنا . أنهم يستعدون علينا الحكومة أحياناً و يستعينون بها و يطلبون تدخلها إذا وقع بيننا و بينهم خلاف . مع أن الحكومة ليس لها تفصل إلا فيما يقع بيننا من الخلافات فى المسائل الادارية والنظامية أو المسائل التى يحتاج الى تنفيذها إلى تدخل السلطات العامة . أما الخلافات الدينية . أما الخلافات العقائدية . فنحن الذين نحسمها فيما بيننا . ولا يمكن لأى قرار يصدر من أية سلطة حكومية أن يجعلنا نتحول عن رأى دينى يتصل بعقائدنا وضمائرنا . على أننا من جانبنا لن نستعدى عليهم أية سلطة ولم نحتكم فى أى خلاف بيننا و بينهم إلا إليهم . فهم أباؤنا الذين ربينا على احترامهم وأجلالهم . ولن نلجأ إلا إلى ضمائرهم . وإلى المذبح المقدس الذى يقدمون عليه القرابين والذى يقدمون عليه صلوات التسبيح والمحبة والغفران . وإلى الشعب الذى وجدوا لخدمته والذى هو الرقيب عليهم فى كل تصرفاتهم . فهم مسؤلون أمام الله . ولكنهم مسؤلون أمام الشعب كذلك .

وأوجه هذه الكلمة الى اخوانى أعضاء المجلس الملى العام . والى الناخبين فان فى أعناقهم مسئولية خطيرة . بل أوجهها الى جميع أفراد الشعب القبطى . ناخبين وغير ناخبين . شيباً وشباباً . رجالا ونساء .

الى انصارى فى الرأى ،. والى خصومى فى الرأى على السواء ، بل الى خصومى قبل أنصارى أقدمها لهم بروح المحبة والاخلاص والوفاء . اقدمها لهم ، بل إلى ضمائرهم وأرواحهم طالباً اليهم أن يتأملوها بامعان وهوادة وفى غير هوى ولا أنفعال ـ لأن الهوى والحكم السليم لا يتفقان ــ فان لم يجدوا فيها كل ما يطلبونه او كل ما يتفق ورأيهم فلعلهم واجدون فيها بعض حقائق من الخير أن يتعرفوها وأن يتأملوها وانى لعلى ثقة من أنهم جميعاً سيرتفعون بالنظر فى هذا الشأن الخطير الى مستوى أيمانهم والى مستوى حبهم لكنيستهم والى مستوى وفائهم لتاريخهم وأنهم لن يستلهموا فى هذا الا وحى ضمائرهم السليمة .

٢ ـ المسائل التى ينبغى مواجهتها .

والذى اثار المشكلة ان المادة الثانية من لائحة ترشيح وأنتخاب البطريرك المعتمدة بمقتضى الامر الكريم رقم ٧٣ لسنة ١٩٤٣ قد نصت على أنه يشترط فى من يلى الكرسى البطريركى «أن يكون من طغمة الرهبنة المتبتلين الذين لم يسبق لهم زواج ، وان تتوافر فيه جميع الشروط المقررة فى القوانين والقواعد والتقاليد الكنسية» ولم تحدد بصريح النص ما هو المقصود بعبارة طغمة الرهبنة المتبتلين «فما هو المقصود بهذه العبارة ؟ وهل يدخل حضرات الآباء المطارنة ضمن طغمة الرهبنة المتبتلين فيما يتعلق بجواز الترشيح للكرسى البطريركى طبقاً لقوانين الكنيسة القبطية الارثوذكسية وقواعدها وتقاليدها ، أم انه لا يدخل فى حكم تلك العبارة الا جماعة الرهبان الذين لهم بعض مراتب المذبح دون حضرات الآباء المطارنة» .

وفى حالة الخلاف على تفسير ذلك النص ـ كما هو حادث الآن ـ ما هى المصادر التى يجب أن نرجع اليها للوصول الى التفسير الصحيح ؟ وما هى الهيئات أو السلطات التى تتولى هذا التفسير ؟ أهى الحكومة ؟ أم هى لجنة الترشيحات أم هم الناخبن الأقباط ؟

تلك هى المسائل التى ينبغى لنا أن نواجهها فى صراحة وشجاعة لكى نحلها حلا مطابقاً لقوانين كنيستنا ونصوصها وروحها .

٣ـ مصادر التفسير .

أما فيما يتعلق بالمصادر التى ينبغى الرجوع إليها لتفسير هذا الشرط فلا أظن أن اثنين يختلفان فى أن هذه المصادر هى من غير شك قوانين الكنيسة وقواعدها وتقاليدها . وانما هى وحدها التى إليها المرجع فى ذلك التفسير .

هذا الشرط شرط دينى لم تضعه الحكومة من عندياتها . فهى حكومة اسلامية لا تعرف الرهبنة ولا شأن لها بنظام الرهبنة . إذ أن نظام الرهبنة نظام مسيحى بحت مقرر لدى الكنائس التقليدية وحدها . فلم يكن للحكومة إذن أن تضعه أو أن تتولى تفسيره وتعيين حدوده . وانما الذى وضعه فى مشروع اللائحة المجمع المقدس والمجلس الملى وقدما المشروع الى الحكومة فكانت مهمتها مقصورة على مجرد اعتماده .

ومن الجهة الأخرى فان الشرط المذكور لم تبتدعه اللائحة ابتداعاً ولم تستحدثه استحداثاً . وانما أخذته عن قوانين الكنيسة وتقاليدها . ولولم يكن مقرراً فى تلك القوانين لما جاز لواضعى اللائحة أن يقرروه من تلقاء ذواتهم أو أن يفرضوه بمحض سلطانهم . ونظن أن الأمر هنا من الوضوح بحيث لا يحتمل المناقشة .

وما دام الشرط المذكور « دينياً » . وما دام أن اللائحة لم تعمل أكثر من انها أخذته عن قوانين الكنيسة وقواعدها وتقاليدها فهي لم تأخذه إلا بمعانيه وحدوده المقررة فى تلك القوانين . فلا مناص إذن عند الاختلاف من الرجوع إلى ذلك المصدر الذى أخذ الشرط عنه . فان كان المطران يدخل بموجب القوانين والتقاليد المذكورة ضمن من يجوز انتخابهم للكرسى للبطر يركى على اعتبار انه راهب وعلى اعتبار أن كلمة راهب هنا تفيد التعميم لا التخصيص فلا توجد قوة تستطيع تحريم ترشيحه . وإن كان المطران لا يدخل بمقتضى القوانين والقواعد والتقاليد الكنسية فى عداد من يجوز انتخابهم ، فإن اللائحة - ووظيفتها مجرد تسجيل الحق المقرر فى قوانين الكنيسة دون تغيير أو تبديل - لا تكسبه وما كان فى الإمكان أن تكسبه حقاً لا تقرره تلك القوانين .

وقد اختتم هذا الخطاب التاريخى التفصيلى كما يأتى :

ولكننى كقبطى انحدر من قبطى أباً عن جد . ولم يدخل فى دمى جنس غريب ولا مذهب غريب أطالت بنصيبى المتواضع فى الاعراب عن رأيى والدفاع عن عقيدتى . بل أطالب بحقى فى الألم والعذاب واحتمال الأذى دفاعاً عن رأيى وعقيدتى وكنيستى .

لا أغضب على أحد . ولا أحقد على أحد . وثقوا أن هذا ليس مجرد كلام يقال . ولكنى أمد يدى إلى الجميع فى صفاء . وأصرح لهم برأيى فى غير خفاء . واحتمل قسوتهم أحياناً ، وظلمهم أحياناً كما أرجوهم أن يحتملوا قسوتى أحياناً وظلمى أحياناً . وكل أمنيتى أن أنفذ إلى مكان الاقناع من نفوسكم ونفوسهم .

وقف بولس فى القيود أمام اغريباس يدافع عن نفسه وعن ايمانه فقال اغريباس لبولس بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً . فقال بولس كنت أصلى إلى الله انه بقليل أو بكثير ليس أنت فقط بل أيضاً جميع الذين يسمعوننى اليوم يصيرون هكذا كما أنا ما خلا هذه القيود (أعمال ٢٦ : ٢٨-٢٩)

لست الرسول بولس . ولست منه قلامة ظفر ولكنا نحن المسيحيين من حقنا بل من واجبنا أن نقلد معلمينا وأن نحتذيهم . وأنا أصرخ كما صرخ بولس إننى أصلى إلى الله أنه بقليل أو بكثير تقتنعون بما أنا مقتنع به وتدافعون عن العقيدة التى أدافع عنها . وتصيرون كما أنا ما خلا ما يوجه إلىّ من حملات ومطاعن . بل أستميحكم العذر وأرجو صفحكم . وإنى أبتهل لكم إلى الله أن يسعدكم بأن تحتملوا فى سبيل الدفاع عن عقيدتكم ورأيكم ما احتمله وفوق ما احتمله من حملات ومطاعن وآلام .

أوجه الى الله تعالى العلى القدير هذا الابتهال الذى يوجهه اليه الذى يجاهد لأجل وطنه : اللهم لا تحمنى من عنائى وعذابى . ولا ترفع عنى همومى فى سبيل قومى وشقائى . ولا

تحرمنى قوة الكفاح والنضال فى سبيل عقيدتى . واجعل آخر ما أفكر فيه قبل انتقالى الى مرقد المنتصرين فكرة نبيلة نزيهة لأجل مجدك ومجد شعبك .

لى صديق كريم كله غيرة وكله روحانية يصلى صلاته كل يوم . وبعد أن يصلى الصلاة الربانية ، يصلى صلاة أخرى خاصة بسيطة ساذجة لا يمكن ألاّ تصل إلى العلى فى سمائه : كنيستنا التى فى التاريخ وللتاريخ . لتتقدس تقاليدك وليأت زمان افتقادك . لينجك الرب من البدع والمجددين وها أنا الآن أصليها مثله (١) .

وهذا الذى تسجل إن هو إلا جزء مما حدث بالفعل ، وهو يعطينا صورة عن اشتعال الانفعالات والحماس وفورانها آنذاك حول هذا الموضوع الحيوى .

٤٨ ــ وظلت الجهود مبذولة بلا هوادة الى يوم الجمعة ٤ فبراير الذى كان محدداً للانتخابات . وبدأ الناخبون يتقاطرون على مركز الانتخابات بالدار البابا وية من التاسعة صباحاً . وفى التاسعة مساءً تمت عملية فرز الاصوات ، فإذا بالأغلبية قد أعطت صوتها للأنبا مكاريوس . وعندها دقت أجراس الكاتدرائية المرقسية إعلاناً بفوزه . وقد أقيمت حفلة تنصيبه صباح الأحد ١٣ منه فأصبح البابا الاسكندرى الـ ١١٤ (٢) .

المجلس الملى العام
للاقباط الأرثوذكس

رقم القيد ١٩٩٥

تذكرة انتخاب

اسم الناخب : حضرة صاحب السعادة حبيب حنين المصرى باشا

عنوانه : ١١ شارع رمسيس بمصر الجديدة

حضر يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٤

---

(١) طبع هذا الخطاب مرتين إذ قد نفذت الطبعة الأولى مما جعل أولاد حبيب المصرى يطبعونه للمرة الثانية فى ٢٤ مارس سنة ١٩٥٤ ، راجع أيضا كتاب « مكاريوس الثالث نشرته لجنة تلاميذ المسيح بمدارس الأحد بكنيسة مارمينا » بشبرا (فرع الجمعة) ص ٣٥-٣٨ حيث يقولون على الصفحة الأخيرة ما يلى : « ... وبالرغم من أن الشعب كان يؤيد قوانين الكنيسة إلا أن شخصية الأنبا مكاريوس التقى المحبوب كانت على ما يعتقد سبباً فى أن هذه الهيئات نسيت القوانين المقدسة ... » وهنا نقطة للتمعن وهى أن العاطفة لدينا ـ نحن المصريين ـ كثيراً ما تطغى على الفكر . ولولا هذا الفيضان العاطفى لما تناسى المسئولون والناخبون القوانين الكنسية . والواقع أن الذى حدث أيام البابا مكاريوس تكرر ، وتكراره تسبب فى التعب للكنيسة فإذا كان ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس ينبغى بالتالى التمسك بالمبادىء فوق الأشخاص .

(٢) لا داعى للقول بأننى عشت هذه الأحداث شخصيا ، بل عشتها فى أعماقها ـ فعرفت غالبية الذين جازوها واشتركوا فيها ـ لذلك لاحاجة لى الى الاستناد الى مرجع وإنما أتقدم بالأسانيد التى لدىّ .

الناخب مدعو لانتخاب بطريرك الأقباط الأرثوذكس بالدار البطريركية بمصر فى يوم الجمعة ٢٦ طوبة ١٦٦٠ الموافق ٤ فبراير سنة ١٩٤٤ من الساعة التاسعة صباحا إلى الخامسة مساء .

فإذا لم يحز أحد المرشحين الأغلبية المطلقة يعاد الانتخاب فى يوم الجمعة ١٠ أمشير سنة ١٦٦٠ ــ ١٨ فبراير سنة ١٩٤٤ فى ذات المكان والمواعيد ،

وكيل المجلس الملى العام

هذه الدعوة تقدم عند الدخول للاقتراع

٤٩ ــ ... رنت صرخة الوليد ـ عبد المسيح ــ صباح الأحد ١٨ فبراير سنة ١٨٧٢ فى مدينة المحلة الكبرى حيث نشأ فى ظل أبوين تقيين ربياه التربية المسيحية الحقة .

وكانت المدينة التى تربى فيها مرتبطة بصفة خاصة بدير الأنبا بيشوى ، فكان يزورها راهب ، (أو أكثر) سنوياً موفداً من رئيس الدير ليتفقد الشعب ويحمل ما يقدمه الشعب من نذور وهبات . فكانت هذه الزيارات سبباً فى أن يتعرف الشاب عبد المسيح بهؤلاء الرهبان ، ومنهم امتلأ رغبة فى الحياة الرهبانية . وبالفعل نال نعمة الرهبنة فى ١١ يونيو سنة ١٨٨٨ . ولأنه كان ذا موهبة فنية فقد كان يقضى معظم الوقت المخصص للعمل اليدوى فى الدير بتكوين زخارف على شكل صلبان ثم يلونها . ومازال بدير الأنبا بيشوى كتاب يضم بين دفتيه الرسومات والزخارف الجميلة التى له . كذلك كان يجيد القبطية بلهجاتها المختلفة واللغتين الفرنسية والانجليزية . ولقد ساهم فى ترجمة كتاب (الوضع الالهى) الذى كان قد كتبه كيرلس مقار غداة عودته الى الأرثوذكسية بالفرنسية . (١)

وبعد أن قضى ما يقرب من أربع سنوات فى الدير رسمه البابا يؤنس الـ ١٩ قساً على كنيسة الأنبا بيشوى صباح الأحد ١٨ مايو سنة ١٨٩٢ . ومذاك بدأ يسكب نفسه سكيبا كلما أقام القداس الالهى .

وحينما كان البابا الوقور كيرلس الخامس منفياً فى دير البرموس كان يعهد الى القمص عبد المسيح جرجس المسعودى بكتابة الخطابات التى كان يرسلها الى مختلف الناس . ولما كان هذا القمص شيخا فقد رجا من البابا الوقور أن يستقدم القس عبد المسيح المحلاوى ليعاونه فيما يؤديه من كتابات . وحينما كان قداسة البابا على وشك العودة الى مقره رجا منه القمص الشيخ أن يستبقى مساعده الشاب الى جانبه ، فقبل الراعى الحنون طلبه . فلما أتيحت الفرصة للراهبين الذى يحمل كل منهما اسم « عبد المسيح » أن يتعاونا وضعا معاً كتاباً بعنوان « ميامر البسخة المقدسة » .

---

(١) راجع ما جاء عنه فى حـ واحد من هذا الكتاب فى الفصل المعنون « العصر الأثناسيوسى »

وبعد سنتين من العمل المثمر طالب القمص عبد الملاك الأنبا بيشوى بإعادة القس عبد المسيح المحلاوى الى ديره ليقوم بتأدية الشعائر المقدسة فيه لأن معظم الحاملين لرتبة الكهنوت فى ذلك الدير أصبحوا شيوخاً . فزوده القمص عبد المسيح المسعودى ببركته الأبوية قبل عودته . غير أن خدمته هناك لم تدم إلا أياما معدودات . لأن راهباً شيخاً وصل الى الدير آنذاك وكان يضر به ويتحرش به ! وما إن سمع القمص المسعودى بذلك حتى كتب رسالة ضافية الى البابا الوقور وصف له فيها كل ما حدث . ولما كان الأنبا كيرلس يحنوا حنواً كبيراً على أبنائه الزهبان ، فقد أرسل على الفور الى دير الأنبا بيشوى يستدعى الراهب المعذب ، ثم عينه سكرتيراً له . وفى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٩٧ رسمه قمصاً .

وفى تلك الفترة كانت أسيوط ترزح تحت تجبر أدعياء التبشير حتى أن بعض من انحازوا إليهم خربوا كنيسة الشهيد أبادير . وبما أن قنصلى انجلترا وأمريكا توسطا لدى الخديوى اسماعيل ليعفو عن المخربين فسمع لهم لم يستطع الأنبا ميخائيل أن يوقف تيار الأذى الذى أصاب القبط نتيجة لمساندة السلطات العالمية للعابثين . فلما تنيح الأسقف الشيخ ترك شعباً فى مسيس الحاجة الى من يجبر صدعه ويثبت قلبه على العقيدة الأرثوذكسية . فذهب وفد من الأسيوطيين المحبين لكنيستهم يرأسه الأرخن ميخائيل مقار الملاخ لرجاء البابا الوقور أن يرسم لهم رجلاً متضلعا فى العلوم الكنسية ذا حكمة وتبصر ليعيد التوازن الى الشعب المضطرب . فقدم لهم سكرتيره . وبعد التداول فى الموضوع ارتاح الأراخنة الى هذا الشاب الحاصل على ثقة باباه ، فجمعوا له التزكية المطلوبة . ومن ثم رسمه الأنبا كيرلس صباح الأحد ١٢ يوليو سنة ١٨٩٧ باسم الأنبا مكاريوس ، مع أن سنه آنذاك كان خمساً وعشرين سنة ، ولكنه كان شبيها بالأنبا مكارى الكبير الذى قيل عنه « الشاب الشيخ » (١) . ومن نعمة الله أن البابا الوقور رسم صباح اليوم عينه القمص حنا الإسناوى (رئيس دير السريان) أسقفا على النوبة والخرطوم باسم الأنبا سرابامون (٢) .

ولقد خرج الأسيوطيون الأرثوذكس لاستقبال مطرانهم الجديد بفرح وتهليل . ثم ذهب لتهنئته بعض وجهاء البروتستانت لعلهم يستطيعون استشفاف نوايا هذا الراعى الجديد . فذهلوا إذ رأوا وجهاً ملائكيا يسطع منه النور الإلهى .

وبدأ الأنبا مكاريوس عمله فى هدوء واتزان إذ قد استهل حبريته بافتتاح مدرستين : إحداهما للبنين وثانيتها للبنات واختار للمدرستين نخبة ممتازة من الموثوق فى عقيدتهم الأرثوذكسية ليعلموا فيها ثم انشغل بفتح المدارس فى مختلف البلاد التابعة لإيبارشيته . واستكمالاً

---

(١) راجع ما جاء عنه فى ف ٤٥ من ح ٥ لهذا الكتاب

(٢) انظر ف ١٠٦ من الكتاب عن البابا الوقور كيرلس الخامس .

للعمل التربوى عين الأرثوذكسى الغيور اسكندر بك حنا واعظا فى الكنيسة المطرانية ، ورسمه أرشيدياكون ومنحه حق الوعظ فى مختلف الكنائس ــ لا فى إيبارشيته فقط ــ كلما أتته دعوة من أية جهة ، وذلك ليرسخ عقيدة الآباء فى قلوب الأبناء .

ولقد كان المطران الجليل على جانب كبير من الزهد والتقشف ، بل لقد بلغ به الزهد حداً جعله يحتاج فى الكثير من الأيام الى المال الذى يشترى به القوت الضرورى ! لأنه كان يوزع ما يأتيه من التقدمات على إنشاء المدارس والكنائس وعلى الفقراء ــ و بصفة خاصة على المستورين . فكان حينما يجد نفسه خالى الوفاض ــ يرسل تلميذه الى أحد أبنائه ليقول له : « إن أبانا المطران يطلب اليك اليوم أن تغديه » . و بالطبع كان الشخص المختار لهذا الطلب يسارع الى تلبيته وهو متهلل .

ولعمق روحانيته كان خلال الصوم الأربعينى يقيم القداس الالهى يوميا (ماعدا يوم السبت طبعا) . و بعد الانتهاء من الصلوات يكتفى بأكل قربانة مع قليل من « الدقة » . أما صوم يونان فكان ينقطع عن الأكل خلال الأيام الثلاثة مكتفيا بالطعام السماوى الذى يأخذه بتناول الأسرار المقدسة وحين كان يقف للصلاة كانت ترتفع روحه نحو العرش السماوى فترن نغمات الشعائر رنيناً هادئاً عذبا ينفذ الى مكامن النفوس ، وتنساب دموعه على خديه لتختفى بين شعيرات لحيته التى تحيط بوجهه الملائكى النورانى . ولتعمقه فى الصلوات الكنسية كان يصلى دائما القداس المرقسى ــ الكيرلسى ، وهو القداس المصرى الصميم .

وكان المقر الأسقفى شقة مشيدة فوق سطح كنيسة الشهيد أبادير التى خربها المنشقون . فلما آلت الرعاية الى الأنبا مكاريوس اشترى قطعة أرض فسيحة فى الشمال الغربى من المدينة بنى فى وسطها كاتدرائية فخمة باسم الكاروز الحبيب مارمرقس . والى جوارها شيد مقراً أسقفياًمن طابقين عن يسار الداخل الى الكتدرائية . ومقابل هذا المقر، وعن يمين الداخل ــ شيد مجموعة من الغرف لضيافة الكثير من الزائرين الذين كانوا يفدون عليه باستمرار من مختلف جهات الإيبارشية (أو من غيرها) : كهنة وعلمانيين .

و بينما كان العمال يبنون منارة الكاتدرائية صعد ذات يوم على السقالات ليتفقدهم فى عملهم . ولشدة اهتمامه بمراقبة العمل انزلقت قدمه من على السقالة فهوى من فوق . وحينما كان يهوى صرخ : « تلقانى يايسوع » ، فنزل واقفاً على قدميه دون أن يصاب بأى أذى .

وخلال زيارته الراعوية كان يبنى الكنائس لمن هم فى حاجة اليها ، و يرمم الكنائس المتداعية . و بالطبع رمم كنيسة الشهيد أبادير وأعاد اليها رواءها الأول .

ولقد ظل ولعه بالفن و بالكتب ينمو على مدى السنوات . فأنشأ مكتبة ألحقها بالدار

الأسقفية تحتوى على اكثر من سبعة آلاف مجلد ، من بينها أربعمائة بخط يده .

وقد قضى في رعاية شعبه سبعاً وأربعين سنة لم يدخر خلالها قرشا واحداً . فهو الى جانب المشروعات الروحية والتربوية ، والى جانب عنايته بالمعوزين - كان شديد العطف على كل من يحيطون به من كهنة وعلمانيين فينتهز كل مناسبة ليوزع عليهم الهدايا .

وبعد هذه الخدمات الوفيرة ، ترك مطرانيته ليتولى البابا وية . وبما أن صلوات التنصيب (١) أقيمت فى ١٣ فبراير ، وبما أنه ولد فى ١٨ فبراير سنة ١٨٧٢ ، فقد كان عمره يوم أن انتظم فى سلسلة الخلفاء المرقسيين إحدى وسبعين سنة تنقصها خمسة أيام . ولقد توقع الجميع أن يكون عهده نهضة عامة فى شتى المجالات .

٥٠ - وفى يوم الأحد ٦ فبراير - أى قبل صلوات التنصيب بأسبوع وصل الى حبيب المصرى خطاب من ابنه أمين الذى كان يعمل طبيبا فى الاسكندرية ، قال فيه :

الاسكندرية يوم الأحد ٦ فبراير سنة ١٩٤٣ .

أحبائى

كيف حالكم جميعاً ؟ لعلكم بخير وعافية ولعلكم استرحتم من دوشة الاسبوعين الأخيرين بعد أن قضى الأمر وجلس على كرسى مارمرقس الرسول أحد المطارنة المحترمين مخالفا بذلك تعاليم من سبقوا وناقضا لتقاليد كنيستنا القديمة وإن دل هذا على شىء فانما يدل على انحلال الشعب القبطى وتفكك روح التضامن بين افراده وطغيان عوامل الاغراض والغيرة والطمع عليه وسريان جراثيم الضعف فى دمه . ولكنه أمر الله فى كنيستنا وقد تخفى علينا حكمته .

وانى لأهنىء سعادة الباشا على موقفه المشرف العظيم فقد كان فى تلك المعركة « المائعة » شجاعا باسلا حتى نهايتها لم يفل من بأسه كثرة الخصوم ولم يضعف من عزيمته خزلان

---

(١) نعود فنكرر أن المطران (أو الأسقف) لا توضع عليه يد ولا تقام له شعائر رسامة ، لأنه نال كرامة الأسقفية التى هى نفس الكرامة البابا وية - إذ أن البابا هو أسقف العاصمة . وكانت الكنيسة الأولى تعتبره الأخ الأكبر بين الأساقفة . والدليل على ذلك أنه للآن يخاطب أيا منهم بقوله « أخى وشريكى فى الخدمة الرسولية » . ومن الموجع أن الاندفاع العاطفى جعل المسئولين عن تنظيم حفلة التنصيب يقولون إنها رسامة « لتتويج » الأنبا مكاريوس . فكيف يمكن القول على « تلميذ » السيد المسيح الذى سيحمل عصا الرعاية ومسئوليتها بأنه « سيتوج » ؟ أنظر كتاب « مكاريوس الثالث » .. المذكور سابقا ص ٤١

الانصار(١) ولم تقوجميع الاسلحة الغير شريفة على زعزعة ثقة بقضيته فخرج من المعركة شريفا نظيفا رافع الرأس مرتاح الضمير وقد أدى رسالة ووفى الدين الذى فى عنقه ولن يضيع مجهوده سدىً .

بقى لى رجاء أخير وهو ان لا يترك ميدان المعركة الآن فلا تزال أمامه موقعة صغيرة اذ يجب عليه بعد أن يهدأ الأمر أن يطلب من البطريرك الجديد أن يصدر قراراً من مجمعه يحرم فيه جواز ترشيح المطارنة حتى لا تتكرر المأساة ويمكن تعليل ذلك بأن ظروف الانتخاب هذه المرة لم تكن طبيعية أو بأية علة أخرى . فإن نجح هذا المسعى فقد أدى لكنيسته أعظم خدمة ، وإن لم يكلل الله هذا المسعى بالتوفيق فقد أدى واجبه وأبرأ ذمته وترك الحكم على موقفه للأجيال القادمة .. (٢) ..

٥١ـ وما إن انتهت فرحة التنصيب وتقديم التهانى والتطلع نحو عهد من الهدوء والاستقرار حتى اكفهر الجو مباشرة . ذلك لأن الذين كانوا أنصار حبيب المصرى ثم خذلوه بخروجهم عن المبدأ الذى كانوا قد أجمعوا عليه ، انما انضموا الى خصومه لا لغرض سوى الوصول الى الزعامة ! لأنهم ـ حينما نجحوا فى الوصول بالأنبا مكاريوس الى السدة المرقسية ـ بدأوا يروجون لفكرة كلها خطورة على الكنيسة : مؤداها أن الأشخاص الوحيدين الذين لهم الحق فى عضوية المجلس الملى العام هم الذين أيدوا الفائز بالباباوية ! وحجتهم فى هذا أنهم ناصروه فهم أنصاره وبالتالى هم وحدهم الذين يستطيعون التفاهم معه ! وتنفيذاً لهذه الفكرة أرسلوا واحداً منهم ـ هو حسنى جورجى المحامى ـ الى حبيب المصرى ليستعرض معه هذا الموضوع بشىء من لباقته المعروفة . ولكنه ما كاد يبدأ الحديث حتى أوضح له وكيل المجلس الملى حقيقتين : الأولى أن ما ينادى به معناه إيجاد ثغرة داخل الكنيسة والحقيقة الثانية هى أنه قد سبق أن قدم استقالته من المجلس ولكن المجلس رفضها . فهو ليس بالرجل المصر على الاحتفاظ بعضويته لأنه يستطيع خدمة كنيسته أينما كان .

وفى الجلسة الأولى للمجلس التى انعقدت مساء الثلاثاء ١٥ فبراير تحت رياسة البابا مكاريوس قدم الجميع تهنئتهم إليه بعد أن صلى ومنحهم بركته . ثم ناشدهم على العمل بتفاهم ووئام وانسحب من الجلسة . فتبعوه الى مقر رياسته ، وألقى حبيب المصرى كلمة بين يدى قداسته عبر فيها عما يخالج النفوس من آمال تحت رعايته . ثم سلم الجميع على باباهم وعادوا الى قاعة الجلسات .

---

(١) ذلك أن أعضاء المجلس الملى كانوا قد أجمعوا فى بداية الأمر على وجوب حصر الترشيح فى الرهبان . ثم انشق بعدها المنياوى ومشايعوه .

(٢) سيرى القارىء متى تتبع أحداث هذه الفترة لماذا لم يستطع حبيب المصرى أن يحقق الاقتراح الذى قدمه إليه ابنه فى خطابه .

... وساد الصمت بضع دقائق قال بعدها أحدهم : « لنبدأ أعمالنا » . قال حبيب المصرى : « كلا . لماذا نبدأ فى جو من التوتر ؟ يجب أن نكون صريحين مع بعضنا البعض . أنا أعرف أنكم تريدون منى التخلى عن وكالة المجلس . فأريد أن أعرف تماما ما هى الاتهامات التى توجهونها الى » فقام المنياوى وقال : « لقد سبق أن تحادثنا فيما بيننا عمن يصلح فى الوقت الحاضر لأن يكون بطريركا واتفقنا على أنه الأنبا مكاريوس ولم يشذ عن هذا الأتفاق غيرك . ومادام أن الفائز بالباباوية هو من أيدناه تحتم أن يحيط به مناصروه ليعاونوه على تنفيذ برنامجه الاصلاحى . فوجب على حبيب المصرى أن يستقيل لأنه لم يكن من مناصريه » . وهنا اقترح حسنى جورجى أن تكون الاستقالة من وكالة المجلس لا من عضويته . لأنه لا يمكن للمجلس ولا للقبط الاستغناء عن خدمات حبيب باشا المصرى . ولكنه أصر على الاستقالة وقال : « اسمعونى وافهمونى جيداً . لقد كانت أعمالى واضحة جهاداً . فما عرفت يوما الرياء ولا المواربة . لقد ناديت من الساعة الأولى بوجوب اختيار البطريرك من بين الرهبان طبقا للتقاليد . وما كنت لأخفى رأى هذا ، ولا حاولت طعن أحد من خلف . وأريد أن أعرف إن كان ممكنا لشخص مصلح مجاهد منتج جبار العقل ان يصبح بين ليلة او ضحاها غير مصلح وغير مجاهد وغير منتج ، لا لشىء إلا لأنه أعطى صوته لغير الأنبا مكاريوس . إذن قياساً على هذا فعندنا إلف ومائتان وواحد وتسعون مصلحاً فى الطائفة ! أنا لا أعرف سوى الخصومة الشريفة : خصومة المبادىء . فأنتم زملائى وإخوانى أما الآن وقد أبيتم إلا أن تخلطوا بين المبادىء والأشخاص فأرى من واجبى الاستقالة ... وسيكتب غداً فى تاريخ القرن العشرين أن صوتاً ارتفع ينادى بما نادى به الآباء والأجداد فى وجوب احترام تقاليد الكنيسة وانتخاب راهب للكرسى البطريركى . وستعلم الأجيال أن فى الوقت الذى تفرق فيه الأقباط شيعاً لمناصرة شخص على شخص ظل بعض الناس مخلصين للمبادىء ولتعاليم الكنيسة التى تسلمناها من العهود الأول . وإن كان المبدأ الذى دانوا به ودان به عشرون قرناً من قبلهم لم يلق نجاحاً لأن الدعايات وأساليب الترويج قد طغت على العقول ، فإنه لما يشرف الجاهدين أنهم ثبتوا على المبدأ الى النهاية . فإن فشلاً مثل هذا أمجد من كل نجاح . وستظهر لنا الأيام حكمة التقاليد وبعد نظر الآباء ... » ثم انسحب ليترك لهم حرية التداول . فقبلوا الاستقالة فوراً وأعلنوا فى الوقت عينه أن الوكيل الجديد هو المنياوى ، وفيما يلى نص الاستقالة :

حضرة صاحب الغبطة البابا المعظم بطريرك الكرازة المرقسية :
ورئيس المجلس الملى العام

١ — بعد لثم يديكم الطاهرتين وطلب بركتكم وصالح دعواتكم اتشرف بأن أرجو الى غبطتكم والى حضرات زملائى المحترمين اعضاء المجلس الملى العام التفضل بقبول استقالتى فى عضوية المجلس. إن غبطتكم يعرفون ولا شك الادوار التى مر بها الترشيح للكرسى البطريركى فى عهد تنيح سلفكم الصالح الأنبا يؤنس — بل من قبل تنيحه —

الى يوم الانتخاب الأخير حيث جلستم على عرش مارمرقس الرسول بنعمة الله وصوت الشعب . فكان بعضنا أى بعض أعضاء المجلس الملى وهم اقلية يؤيدون ترشيح نيافة الأنبا يوساب . وكانت اكثريتنا وفى طليعتها زميلى الدكتور المنياوى باشا وانا نؤيد الترشيح من بين الرهبان . ولكن هذه الاغلبية كانت على اجماع — بعد أن حدث خلاف فيما اذا كان يوجد راهب صالح للكرسى — على أنه فى حالة الانتخاب من بين المطارنة فغبطتكم أولى الكل بهذا الكرسى العظيم لما عرف عنكم فى تاريخكم الطويل المجيد فى التقوى وسعة التفكير وحب الاصلاح .

وانتهت المعركة الانتخابية . ونطق صوت الله القدير . والرأى عند معظم المفكرين الذين يهمهم أن يسود السلام . ولتحقيق الاصلاح المنشود . انه بمجرد ان تتم مشيئة الله وتنتهى معركة الانتخاب . يجب ان يزول كل خلاف بين الاخوة . والآ يكون هناك غرماء . ومرشحون . ومؤيدون . ومعارضون . بل لايكون فى نظرنا جميعا الا بطريرك ندين له كلنا بالولاء والاخلاص ونطلب بركته . ونلتف حوله . ونشد أزره . ونستهل الى العلى ان يمده بروحه القدوس .

بيد أن حديثاً دار اليوم بينى وصديقى وزميلى سعادة الدكتور المنياوى باشا فهمت منه غير هذا . فهمت منه أنه فى هذا العهد — الذى نرجو ان يكون عهد صلاح وعمل منتج — يجب آلا يحيط بالبطريرك الجديد و يعاونه الا اولئك الذين ناصروه وأوصلوه الى الكرسى حتى يتم الانسجام بين الاب البطريركى و بين معاونيه . ولم يخف عنى بصراحته المعهودة انه يكون من الاولى أن أنسحب من المجلس الملى .

بل أشار الى انه اذا تقدم احد الانتخابات الملية المقبلة ولم يكن فى الكتلة التى جاهرت بتأييد ترشيح غبطتكم للكرسى البطريركى فانه وزملاؤه ينزلون الى الميدان لقتاله .

٢ — اما من جهة استقالتى من المجلس فان حضرات زملائى جميعاً يعرفون أننى من زمن طويل . وأنا أهتم بالاستقالة . لفرط ما كابدته من عناء ومتاعب . وما بلوته من أخلاق بعض الناس . وما تحملته من جهد أضنانى . ولكنى أرجىء الاستقالة بناءً على إلحاح إخوانى . ولشعورى بأن الواجب يقتضى بأن أبقى فى مركزى حتى تنتهى الأنتخابات للكرسى . فلما ظهرت النتيجة وجلستم على الكرسى نويت إرجاء الآمر حتى تنتهى الدورة وهى وشيكة الانتهاء . حتى لا أبادر غبطتكم بالاستقالة . ولأننى أشفقت أن يقال أن فاتحة العهد كانت انقساماً . واشفقت أن تؤول الاستقالة بانها امتناع عن التعاون مع غبطتكم لا سمح الله .

ولكنى بعد أن سمعت هذا الرأى من صديقى المنياوى باشا . ولمحت شيئاً من الفتور من بعض اخوانى . كأنهم تناسوا ذلك الجهاد الطويل المشترك بيننا لمجرد خلاف فى

الرأى انتهى امره . هو خلاف ظاهرى اكثر منه خلافاً حقيقياً . وهو على أى حال يشرفنى لانه قام على المبادىء . وعلى الصراحة . وعفة اللسان والبعد عن كل تجريح أو حقد . فاننى رأيت واجباً على نحو نفسى ان انفذ ما اعتزمت من زمن طويل . وان اتقدم الى اخوانى جميعاً طالباً التكرم بقبول استقالتى ولهم كل شكرى . وكل مأرجوه الآ يخامر غبطتكم الظن ان هذه الاستقالة منشأها رغبتى فى الامتناع عن معاونتكم . فغبطتكم أدرى الناس بى و باخلاقى . فقد خلقت لكى اعطى لا لكى آخذ .

٣ــ اما من جهة التلويح بمحاربتى او محاربة غيرى فى الانتخابات الملية المقبلة فقد كنت افضل لصديقى المنياوى باشا آلا يعمد اليه . وهو يعرف خلقى . و يعرف آنفتى و يعرف اننى ما استجديت ثقة ولا سعيت اليها . على اننى احب ان اطمئنه باننى فضلا عما يعرفه فى شخصى من صفات زاهد فيها فى وقت طويل كما يعلم . وعلى أية حال . فى اليوم الذى تقوم فيه الحملة الانتخابية على أساس ان هذا فى حزب البطريرك . وذلك من غير ضربه . وان هذا من مناصريه وذاك من غير مناصريه . فلن اكون انا بالذى ينزل الى مثل هذا الميدان .

واعتقادى أن هذا الذى يقول به سعادة المنياوى باشا فى اشد الامور خطراً . لان الخلاف بين الاقباط فيما يتعلق بالانتخابات للكرسى البطريركى كان آمراً طبيعياً . وليس يصح ان يبقى مصدر عداء وخصومة بينهم . ولان معنى هذا القول ان الذين ناصروا غبطتكم فى الانتخاب هم وحدهم الذين يحق لهم أن يساهموا معكم فى الاصلاح . وهم وحدهم الذين يمكن ان تنسجموا معهم و ينسجموا معكم . وان كل من عداهم ولو كانوا من أحسن الناس شخصية وانصعهم ماضياً واكثره جهاداً لا يستطاع أن يقوم بين غبطتكم و بينهم تعاون أو تفاهم او انسجام . ومعنى هذا ايضاً انه يوم تبدأ الحملة الانتخابية الملية المقبلة سيكون مدارها قسمة المرشحين الى قسمين : مناصريكم ومخاصميكم . وهو وضع من اخطر الاوضاع فى نظرى .

واننى اذ اترك مكانى فى المجلس الملى العام ورأسى مرفوعة وصحيفتى بيمينى بعد سنوات طويلة فى جهاد شاق مضنى كاف نجحى الهادى فيه دائماً مصلحة هذه الأمة العزيزة اذكر الاخوان جميعاً كريم ودادهم . واحتفظ لهم فى نفسى باجمل الذكريات . وابتهل الى الله جل شأنه ان يهب غبطتكم القوة والعافية والعمر الطويل . وان يمدكم بروحه القدوس حتى تتمكنوا فى تنفيذ برنامجكم الاصلاحى العظيم . كما أتمنى لحضرات زملائى فى المجلس أتم التوفيق فى جهودهم .

وتفضلوا بقبول عظيم الشكر وخالص الاجلال .

من ابنكم المخلص
(حبيب المصرى)

(قبلت فى جمعية المجلس الملى العمومية المنعقدة يوم الثلاثاء الموافق ١٥ فبراير سنة ١٩٤٤)

ورد هذا الخطاب ضمن « قصة حبيب المصرى »

ومن المؤلم أن الانبا مكاريوس نفسه قبل الاستقالة فوراً هو أيضا !

وقد أحدثت استقالته رجةً فى مختلف الأوساط القبطية ذات الصلة الوثيقة بالكنيسة . فنشرت جريدة الوطنية الخبر نقلا عن الأهرام ، وقد نشرته بعددها الصادر فى يوم الخميس ٢٤ فبراير فى حين أن الجريدة المنقول عنها نشرته فى ١٧ فبراير . ثم عقّب صاحب « الوطنية » على الخبر بقوله : « إن استقالة حضرة صاحب السعادة الأستاذ حبيب المصرى باشا كانت الأولى من نوعها فى أسبابها ، ولذلك سننشرها عند وصولها إلينا . فقد قيل عن هذه الاستقالة إنها لعدم الاتفاق بين سعادته وحضرات أعضاء المجلس على المبدأ الخاص باختيار البطريرك من بين الرهبان أو المطارنة . لأن سعادته كان ينادى بأن البطريركية حرام على غير الرهبان الذين لم يتجاوزوا فى رتبتهم الكهنوتية رتبة القمص ، وثبت على رأيه الى النهاية . وكان جل أعضاء المجلس يقولون بقوله الى الأسبوع الأخير قبل عملية الانتخاب . ثم تحولوا عن رأيهم وقالوا بجواز انتخاب البطريرك من بين المطارنة . وقد اختاروا لها الأنبا مكاريوس فعلاً على هذا الأساس .

وإن الخُلف فى الرأى بين رئيس هيئة وأعضائها لم يترتب عليه فى يوم من الأيام استقالة الرئيس أو الأعضاء من مناصبهم .

ولذلك كانت استقالة حضرة صاحب السعادة حبيب المصرى باشا غير طبيعية وتقليداً غير معروف عند القبط فى المجلس الملى وفى غيره من الهيئات الرسمية النظامية الأخرى ، لا سيما وأن مدة المجلس على وشك الأنتهاء .

وكان من المنتظر أن يحكم الشعب بين المجلس ووكيله فى الانتخابات القادمة .

والذى نعرفه عن سيرة سعادة حبيب المصرى باشا فى وكالته للمجلس أنها كانت نزيهة وديمقراطية . فقد اختلف سعادته مع الهيئة أكثر من مرة ، وحصلت مناقشات حادة بينه و بينها ، خضع أخيراً لرأيها . كما أن هذه السيرة نفسها تشهد بأن سعادته كان يضع المصلحة العامة فوق كل اعتبار آخر . وكان يبذل من التضحيات فى سبيل مايذكر لسعادته بالشكر .

أما جريدة الإنذار (وكانت تصدر فى المنيا) فقد نشرت مقالاً مطولا نقتطف منه ما يأتى

فقد كنا نرجو قبل ذلك ، ألا تكون باكورة ثمار المجلس ، فى أولى جلسات عهده

الجديد ، أن يقدم المصرى باشا استقالته من وكالته وأن يقبلها المجلس بهذه السرعة . وقد اقترن اسم المجلس باسمه منذ عشرين عاما ، فما أعد المجلس مشروعا ، ولا وضع لائحة ، ولا نفذ حركة إصلاحية الا وكان حبيب المصرى صاحب المشروع ، وواضع اللائحة ، ومنفذ الحركة .

وقد اذيع فى بعض المجالس أنه قيل للمصرى باشا أن الشخص الذى كان يدعو اليه لم ينجح ، وأنه لهذا ينبغى أن يقدم استقالته .

ولو سلمنا جدلا بأن هذا صحيح ، فإننا نرى أنه يكفى أن تتقارب القلوب وتتصافح الأيدى ، وتتصافى النفوس ، بعد انتهاء معركة الانتخاب .. أما وقد استقال المصرى باشا من وكالة المجلس فإننا نرجو أن يحتفظ بأمانة ناخبيه كعضو فيه ، فإننا لا ندرى كيف يحرم المجلس الملى العام من هذا الرجل الذى عرفته طائفته وكنيسته فرداً مخلصاً غيوراً على مصلحتها ، منذ دخل ميدان الحركة الطائفية من ٢٥ سنة ، ومنذ عاصر المجلس عشرين عاما اتم فيها وهو فرد ، ما لم يتمه كثيرون غيره مجتمعين .

كفى المصرى فخراً أنه وضع بنفسه لائحة انتخاب البطريرك ، تلك اللائحة التى حاول كبار رجال الطائفة من قبله — وفى طليعتهم المرحوم بطرس باشا غالى — أن يحصلوا عليها فلم يفوزوا منها بطائل ، وظل هو ساعياً داعياً حتى صدر الأمر الملكى بها ، ثم أجرى الانتخاب الأخير بمقتضاها ؛ فكانت فوزاً أى فوز للكنيسة والطائفة .

أليس المصرى باشا هو واضع مشروع الأحوال الشخصية لغير المسلمين الذى تنظر فيه اليوم اللجنة المؤلفة لبحثه .

ألا يذكر الأقباط آراءه وبحوثه ومذكراته القانونية الشهيرة التى أخذت بها المحاكم فى قضايا وصايا المسيحيين . وخاصة فى قضية المرحوم جبران جريس الشهيرة .

وهل تنسى له طائفته موقفه فى مسألة دير أنبا رويس ودفاعه عنها . فكسب بها حقاً كاد أن يضيع وتسدل عليه الستائر

ألم يعمل المصرى باشا على تنفيذ العديد من حركات الإصلاح ، وفى مقدمتها إنشاء المدارس وتعميم الديانة فى المدارس القبطية . وغير هذا كثير مما لا تتسع عجالة عابرة كهذه لسرد ما تطويه صفحات جهاد استمر عشرين عاما (١) .

ويبدو أن المنياوى أراد تغطية الموقف ، فزار حبيب المصرى فى بيته . وقبل الانصراف

---

(١) جريدة الإنذار فى ٢٧ / ٢ / ١٩٤٤

دعاه الى حفلة يقيمها له فى داره تكريما له . فوعد بالرد عليه بعد التفكير وموازنة الأمور . ثم بعث اليه بالرد التالى :

أخى المنياوى باشا :

أشكر لكم جميل تفضلكم بز يارتى . وأشكر لكم على الأخص ما أبديتموه نحوى فى عواطف كريمة كان لها أعمق التأثير فى نفسى . على أننى بعد انصرافكم فكرت ملياً فى الدعوة التى تفضلتم بتوجيهها لى فى داركم العامرة . فرأيت أن أتقدم إليكم بالاعتذار راجياً إعفائى منها فى الوقت الحاضر .

لقد عرفتم فىّ الصراحة . كما عرفتها فيكم . فانا بهذه الصراحة المتبادلة لا أكتمكم أننى أشعر أنكم جرحتمونى جرحاً عميقاً فى الصميم . وزاد هذا الجرح عمقاً أن أتى من ناحية ابراهيم المنياوى الذى أعززته وأحببته دائماً فوق ما يحب الشقيق شقيقه .

سيلتئم هذا الجرح كما يلتئم كل جرح . وسأظل دائماً أعز الصديق الذى احببته وأعززته وقدرته إنى رجل إذا أحببت لا أستطيع أن أكره . وإذا أعطيت لا استطيع أن آخذ . وإذا اخلصت لا أستطيع أن أتحول . وبهذه الروح سأنظر دائماً اليك .

وثق ياصديقى أننى — من جانبى — سأحتفظ لك فى نفسى فى كل حين بأعمق ما يحتفظ به صديق لصديقه . وثق أنه مهما تفرقنا الأيام . أو يفرقنا الرأى أو تفرقنا لن اضرب لك سهما يوماً لا عن قرب ولا عن بعد .

بيد أنى رأيت بالأمس من بعض الاخوان صورة أفضل أن أستجم قليلاً . وأن أبتعد عن الحياة قليلاً . حتى أنساها . أو أتناساها إن استطعت . فما اعتدت النفاق .

فشكراً لك ياصديقى على فكرة تكريمى . وأرجوك أن تترك هذه الفكرة الى حين ودمت . لصديقك دائماً ..

(الثلاثاء ١٩ فبراير سنة ١٩٤٤)

ولم يكتف قداسة الأنبا مكار يوس الثالث باستقالة حبيب المصرى والرضى عن استبداله بالمنياوى ، بل لقد عين القمص ابراهيم لوقا راعى كنيسة مارمرقس بمصر الجديدة وكيلاً للبطر يركية . وذلك مكافأة له على أنه كان الساعد الأيمن للمنياوى وصحبه فى ترو يج الدعايات الانتخابية لصالحه .

٥٢ — على أن كل الآمال التى تركزت على الأنبا مكار يوس وما سيحققه من إصلاح

لم تلبث أن تبددت ــ بل وتلاشت ! فإن المنياوى وصحبه الذين نجحوا فى إبعاد حبيب المصرى عن المجلس الملى قد أحدثوا ثغرة فى الصف الواحد . ولو أن الثغرة كانت بين الشعب فقط لكان من الممكن أن يتداركها البابا الوقور بحكمته كما استطاع أن يتدارك الشقاقات التى كانت فى أسيوط حينما بدأ رعايته الأسقفية هناك . ولكنهم استهدفوا ترسيخ نفوذهم فبدأوا بالراعى الأول نفسه . وأول نجاح لهم كان تعيين ابراهيم لوقا وكيلا للبطر يركية . ثم استكملوا هذه الوكالة بتعيين أتباعهم فى الدار الباباو ية . وبهذه الخطة اقاموا سدا بينه و بين الشعب من جهة ، و بينه و بين إمكانياته من الجهة الأخرى . وقد نشرت الوطنية تعليقا على هذا الموقف المحزن على صفحتها الأولى قالت فيه :

سكرتير ية الخدم وسكرتير ية السادة

ظل المجلس الملى الشر يف يعيب على المتنيح المثلث الرحمات الأنبا يؤانس البطر يرك السابق اختيار امناء سره من الخدم الذين تنقصهم الثقافة الممتازة . ويجهلون اللغات الأجنبية . ولا يجيدون أصول البروتوكول الواجب توافرها فى من يقومون بسكرتير ية بابا الشرق وزعيم مسيحييه . وكنا نصدق نحن عامة الشعب هذا القول .

فلما تولى غبطه البابا المعظم الأنبا مكار يوس الكرسى البطر يركى المرقسى تلافى المجلس هذا العيب وعين لسكرتير ية غبطته اكبر موظفيه . واعلمهم . واكثرهم ثقافة ودراية باللغات وإجادة للبرتوكول ، وهللنا لهذا التعيين . واكبرنا اخلاص المجلس الملى للبابا ، ومحافظته على كرامته وهيبته . ولكن ماذا حدث ؟ .

حدث أيها القارىء الكريم ما لم يكن بالحسبان ، أن السكرتير ية العالمة العلامة ، صاحبة الحصافة والثقافة المتفوقة لم تستطع المحافظة على راحة زعيم كنيسة مارمرقص المجيدة أسبوعاً واحداً . واظهرته فى حالة لا يرضاها لغبطته أبناؤه المخلصون ، ولا ابناء الكنائس الاخرى فانها :

(١) نفرت أبناءه الممتاز ين بالأخلاص التام لذاته الكريمة فقاطعوا القصر البطر يركى الى الابد .

(٢) قطعت دابر الكهنة وهم أبناؤه وجنوده من قصره وهو بيت أبيهم . وجعلت سياسة المنشورات هى صلة التفاهم بين هذا القائد وجنوده الذين لا يستطيع ان يدبر شؤون الكنيسة بدونهم .

(٣) أوجدت الخلاف المستحكم بينه و بين اخوته المطارنة ، فاصبحوا ينظرون الى

اخيهم الاكبر وابيهم بعين الأشفاق ، والالم . وبذلك استطاعت السكرتيرية الحكيمة أن تقص أجنحة النسر المرقسى بابعاد المطارنة وهم اركان حربه باقصائهم عن قصره .

(٤) نشرت السكرتيرية المهذبة نشرات على صفحات الجرائد يتبرأ منها الادب الكنسى ، ولا يعرفها التسامح المسيحى العالى ولا يصح صدورها من مسيحى عادى ، ونسبتها الى حامى حمى الاداب المسيحية فى الشرق ــ هذا الخراب بلتنا به السكرتيرية النشيطة فى اسبوعين اثنين فكم من المصائب ستجر على الكرسى المرقسى العظيم إذا استمرت شهوراً أخرى ؟ الله يتولى الكرسى برحمته ، ويخلصها بعونه من سكرتيرية السادة النبلاء . و يتغمد الأنبا يؤانس برحمته لانه كان بعيد النظر فى اختيار السكرتيرية من الامناء المخلصين ولو كانوا من عامة الشعب لانهم حافظوا على كرامته ، وسمعته ، وهيبته وظل مصون الكرامة حتى آخر نسمة من حياته بالرغم من شيخوخته المحطمة ، وفقدان الذاكرة ، وتوتر الاعصاب ، التى حلت به ، فاستطاع السكرتيريون الاميون ان يحيطوا مولاهم بالكرامة والمجد والعظمة إلى آخر لحظة فى العالم .   قبطى ارثوذكسى .

و (الوطنية) تقول ان « قبطى ارثوذكسى » اصبح من الألقاب التى يتفاخر بها كتاب القبط ولذلك اصبح مشاعاً يدعيه كل من اراد . ولذلك نقول أن صاحب هذا المقال من اعلام كتاب القبط الدينيين وكفى .

وفى الاسبوع عينه الذى ظهر فيه المقال المذكور آنفاً أصدر عضواً بالمجلس الملى ــ لم يشأ أن يذكر اسمه ــ نشرة ، ثم أتبعها بغيرها . وقد جاء فى النشرة الأولى ضمن ما جاء ، قوله : « ... وأكبر دليل على أن حبيب المصرى باشا شخصية لها مكانتها الأولى أن جلالة الملك (حفظه الله) استدعاه لمقابلته يوم الأحد ٥ مارس الجارى وأستطلع رأيه فى مشكلة أوقاف الأديرة ، وظل معه أكثر من ساعة سرد فيها المراحل التى مرت بهذه المشكلة منذ ١٨٨٣ (١) . ولم يستطع أقرب المقربين الى حبيب باشا أن يعرف منه أكثر من ذلك ... » (٢) .

ولقد راح المجلس الملى يطالب بأوقاف الأديرة منذ البداية ، فكانت أول قنبلة ألقاها فى الميدان . وأصابت شظاياها غبطة السيد الأب البطريرك . والواقع أن قرار المجلس الملى باستلام تلك الأوقاف ، وتسرعه فى طلب ادارتها بنفسه ، وإعلانه عن موظفين للعمل بها ، كان قراراً تعوزه الحكمة . فقد كان من تسرعه فى ضرورة تسلمه إدارة الأوقاف أن فتح ثغرة بين قداسة البابا و بين أعضاء المجمع المقدس .

---

(١) انظر ملحق رقم ١

(٢) أنظر ملحق رقم ٢

٥٣ــ واستمر تعاقب الأيام ــ إذ لا يوقفه أى حدث . وبهذا التعاقب بدأ الصوم المقدس ــ الكبير ــ لسنة ١٩٤٤ . وكان من المنتظر أن أولئك الذين درجوا على اعتبار هذا الموسم فترة لتمحيص النفس وللتوبة ولتوثيق الصلة بينهم و بين الله و بالتالى بينهم و بين إخوتهم ــ كان من المنتظر أن يصفوا خلافاتهم و يصوموا صوماً طاهر بخشوع . ولكن شيئا من هذا لم يحدث . واستمرت الخلافات والمناوءات !

على أن الله محب البشر لايدع نفسه بلا شاهد فيسطع نوره خلف ظلمات الإنسان ، وتتدفق محبته استجابة للقلوب المتطلعة نحوه . ولقد وجد المتطلعون نحوفاديهم الحبيب فى موسم هذا الصوم الكبير الفرصة لزيارة الاراضى المقدسة . فحينما كانوا ينتهون من صلوات ذات الروعة الفريدة ، كانوا يجلسون معا حول ابيهم الروحى ــ نيافة الحبر الجليل الأنبا ثيئوفيليس . وفى هذه الجلسة ــ جلسة المحبة ــ يوم خميس العهد اتفقوا بانسجام عجيب على تأسيس « رابطة القدس للأقباط الأرثوذكس » . وتم تأسيسها بالفعل ذلك اليوم المبارك ٥ برمودة سنة ١٦٦٠ (١٣ أبريل سنة ١٩٤٤) ، تحت رعاية نيافة الأنبا ثيئوفليس ور ياسة حبيب المصرى .

ولما انتهوا من الاحتفال بعيد القيامة المجيدة وعادوا الى مصر ونفوسهم متهللة ، ذهبوا لمقابلة قداسة البابا وأخبروه بما جرى ، ثم رفعوا اليه تقريراً مفصلا . فباركهم و بارك جهودهم . وما على أى شخص الا أن يذهب الى مقر الرابطة لكى يدرك قوة البركة التى منحها إياهم هذا البابا الجليل . لأنه على امتداد السنوات ــ من سنة ١٩٤٤ الى الآن أدت خدمات وفيرة فى الأراضى المقدسة وفى مصر ، ونمت نمواً مطرداً . وقد احتفلت فى أبريل سنة ١٩٦٩ بيوبيلها الفضى بأن اقامت قداسا إلهيا فى الكنيسة المقامة على سطح مبناها ، ثم أصدرت كتابا ضمنه جهودها منذ إنشائها . وقد سجلوا على صفحته الثالثة عشرة « مراجع وزارة الداخلية بالجمهورية العربية المتحدة » جاء فيها :

« لم تسبق رابطة القدس أية هيئة أو أى فرد فى أى زمان فى القيام بخدمات رابطة القدس للتبشير على الحجاج الأقباط ، ومنذ بدأت رابطة للأقباط الأرثوذكس الاضطلاع بخدماتها الى الآن تؤدى أعمالها بدقة ونشاط ونزاهة وأمانة استحقت تقدير السلطات المعنية . كما تؤيد نفس الشهادة سجلات وزارتى الشئون الاجتماعية والاقتصاد (مراقبة النقد) ، والمواصلات (السكك الحديدية) ، ومصلحة الطيران المدنى (شركة الطيران العربية المتحدة) أو « مصر للطيران » .

وتصدر الرابطة مجلة ترسلها كهدية الى مشتركيها ، كما تخرج تقويما سنويا .

والعجيب أنه خلال الربع قرن (الذى انتهى سنة ١٩٦٩) عاصرت الرابطة ثلاثة من الباباوات المرقسيين هم : الأنبا مكاريوس الثالث ، الأنبا يوساب الثانى ، الأنبا كيرلس

السادس ؛ وثلاثة من مطارنة القدس هم : الأنبا ثيئوفليس ، الأنبا ياكوبوس ، الأنبا باسيليوس (أطال الله حياته) . كذلك تعاقب على رياستها ثلاثة من الأراخنة هم : حبيب المصرى ، كامل بولس حنا ، عوض الله ابراهيم .

وقد قضت الرابطة السنوات التسع الأولى من غير مقر ثابت ، الثلاث الأولى منها فى غرفة من مكتب صبحى برسوم المحامى (قدمها مجانا) . ثم اضطرت الى استئجار شقة قرب باب الحديد لاتساع أعمالها . على أن أنشطتها ظلت تتزايد باستمرار مما استوجب أن يكون لها مقر ثابت . فقرر مجلس إدارتها أن يلجأ الى العون الإلهى ، وخلال صلاة جمعة ختام الصوم سنة ١٩٥٤ (بالقدس) وضعت على المذبح المقدس لكنيسة الأنبا أنطونيوس ثلاث وريقات :

١ ـ ورقة مكتوب عليها « استعملوا الرصيد فى شراء مقر للرابطة » ،

٢ ـ ورقة مكتوب عليها « استعملوا الرصيد لتنفيذ مشروع للرابطة فى القدس » ،

٣ ـ ورقة بيضاء (١) فلما انتهى القداس الإلهى خرج حكم القرعة بالورقة الأولى .

وارتكاناً على هذا الحكم بدىء فى التنفيذ فقدمت الرابطة ملتمسها الى الرئيس جمال عبد الناصر طالبة منه منحها قطعة أرض لتبنى عليها مقرها فوافق على الطلب لفوره وأشر عليه بعبارة تدل على وطنيته الفائقة وهى : « تعامل معاملة جمعية الإخوان المسلمين » . وظهر العون الإلهى فى أن القائمين بالعمل وجدوا قطعة أرض ـ ٩ شارع يوسف باشا وهبة ـ بالفجالة ، على مسيرة سبع دقائق من محطة كبرى الليمون . وتمت الصفقة ، واحتفل بوضع حجر الأساس يوم الأحد ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٥ بحضور الأنبا ثيئوفيلس وعدد من رجال الاكليروس .

وفى يوم العنصرة لسنة ١٩٨١ تفضل قداسة البابا شنودة الثالث برسامة سكرتيرها فوزى اسحق كاهنا باسم القس ايساك .

وهكذا نرى مراحم الآب السماوى وسط كنيسته على الدوام .

٥٤ ـ وبعد أن استمتعت أرواحنا بالحديث عن القدس . وما بذله ـ و يبذله ـ بعض محبى الأراضى المقدسة ، نعود الى متابعة مجريات الأحداث فى عهد البابا مكاريوس الثالث .

... كانت الأطيان والعقارات الموقوفة على البطريركية وعلى الأديرة مشكلة معقدة منذ أن صدر الفرمان الخديوى بإنشاء المجلس الملى سنة ١٨٨٣ . لأن الأعضاء الذين جاءوا ـ مستندين فى تشامخ الى قوة الحكومة ـ أعلنوا من البداية رغبتهم فى تولى إدارة هذه الاوقاف . وعلى الرغم من إصرارهم فقد رفض المطارنة ورؤساء الأديرة تسليمهم إياها . وعلى ذلك قام

(١) مما تجدر الاشارة اليه وجود ورقة بيضاء لعل الله لا يريد مشروعا من المعروضين فيعلن ذلك عن طريق الورقة البيضاء ـ وهذه هى الخطة التى انتهجها كل من لجأ الى القرعة الهيكلية قديما .

النزاع بين الأبناء والآباء . ومعذرة فى وضع الأبناء هنا قبل آبائهم ، وذلك لأنهم هم الذين بدأوا النزاع ، بل وأشعلوه . ثم خمد فترة عاد بعدها فى عهد البابا مكاريوس .

ولئن تساءل البعض : كيف تكون أملاك لمن تركوا العالم كله ؟ فالإجابة من واقع التاريخ هى أن هذه الممتلكات جاءتهم بوصفها تقدمات عرفاناً بالجميل . ثم تزايدت نتيجة للعمل المستمر الذى قام به الرهبان : سواء كان هذا العمل فى شكل خدمة انسانيه أو فى شكل استثمار للأراضى والعقارات الموقوفة . ولم يقم حولها أى نزاع حينما كان الأراخنة يؤدون مسئولياتهم نحو آبائهم ونحو بقية الشعب فى محبة وتفاهم . فلما حاد العلمانيون عن خطة آبائهم بأن وصلوا الى جعل سلطتهم رسمية مدعمة بفرمان خديوى ، حادوا أيضا عن خطة المحبة والتفاهم . وبهذا المسلك أوجدوا داخل الكنيسة قلقاً وعدم استقرار لم يخمد نهائيا الا فى عهد البابا كيرلس السادس .

ولقد كان الأنبا مكاريوس ــ وهو مطران ــ قد اتفق مع شريكه فى الخدمة الرسولية الأنبا ثيئوفيلس أسقف منفلوط على التنازل عن الأوقاف : كل فى أسقفيته ــ للمجلس الملى فى سنتى ١٩٢٠ و ١٩٢٦ . وحالما فاز الحبر الأسيوطى بالباباوية طالبه المنياوى ومشايعوه بأن يسلمهم الأوقاف . ولم يتردد البابا الجليل فى قبول الطلب ، فكتب فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٤ خطاباً قال فيه : « تنشأ إدارة خاصة لأوقاف الأديرة بالدار الباباوية يديرها المجلس الملى العام ... تكون مهمتها جرد أموال الأديرة فوراً ، ومحاسبة النظار الحاليين الذين يتولون إدارتها . وأن يكون تعيين وإقالة النظار بمعرفتنا بناء على مقترحاتكم . ومع جزيل احترامى ومحبتى للبابا الوقور الأنبا مكاريوس .

أستميح لنفسى العذر فى أن أقول إن التصرف داخل إيبارشية خاصة محدودة غيره فى الكنيسة بكل إيبارشياتها . فهذا الخطاب الذى خطه للمنياوى بوصفه وكيلا للمجلس الملى العام قد استشار المطارنة ورؤساء الأديرة ، وبخاصة لأن كنيستنا لا تقرّ سلطة للفرد حتى متى كان هو قداسة البابا ، بل قد جعلت السلطة العليا للمجمع . والأنبا مكاريوس ــ مع علمه وروحانيته ــ لم يستشر المجمع ، بل لم يتداول فى الموضوع حتى مع عضو واحد من المجمع المقدس .

وليس من شك فى أن زهد البابا الجليل ومسلكه السابق هما السبب فى أنه كتب هذا الخطاب ، وقد كتبه ثقة منه فى أن المطالبين بالأوقاف هم أبناؤه . ولم يكن ليتصور قط أنهم سيقلبون الأوضاع قلباً تاماً فيجعلون من التعاون حقوقاً خاصة لهم يهيمنون بها حتى على أبيهم الروحى الذى وثق بهم ! فلقد استهدف قداسته أن يؤسس عائلة قوامها المحبة المتبادلة والتقدير العميق ، فإذا بهم يحولونها الى محكمة يتنازعون فيها . ولما كان النزاع مما يثير العواصف فقد ضاع صوت المحبة بين هيجان هذه العواصف المتضاربة .

وعلى الرغم من هذا التصادم فقد عاد البابا الجليل الى الكتابة للمنياوى ــ وهذه المرة كانت بخصوص الاكليريكية . فقال بأنه علم أن المجلس قد شكل لجنةً لدراسة هذا المعهد الحيوى للكنيسة ، فهو لذلك يرجو منهم أن يجعلوا من الأنبا تيموثيوس مطران الدقهلية رئيساً لهذه اللجنة لتسير الدراسة وفقا لطقوس كنيستنا المحبوبة وتعاليمها . ولكن المنياوى وأنصاره صموا آذانهم عن الإصغاء الى هذا الرجاء إذ رأوا أن صرف المال اللازم للنهوض الذى يرغب فيه البابا الجليل أكثر مما يريدون إنفاقه ! فاتسعت الهوة الفاصلة بين الأب وأبنائه العاملين داخل نطاق اختصاصه .

٥٥ ــ وكأن هذا الجفاء بين قداسة الأنبا مكار يوس والمنياوى لم يكن كافيا إذ أعلن المجمع المقدس استنكاره للتصرف الباباوى ! فاجتمع المطارنة والأساقفة بر ياسة الأنبا بطرس مطران سوهاج ، و بعد التداول فى موضوع الخطاب الذى كتبه البابا الجليل بخصوص الأوقاف اصدروا قرارهم ببطلان هذا الخطاب لكونه مخالف صراحة لكل ما قضت به القوانين الرسولية والمجمعية وللتقاليد التى سارت عليها الكنيسة القبطية بكل حرص على مر القرون . ومما استلزم سرعة اجتماع المجمع المقدس أن المنياوى وصحبه ــ مع مكانتهم العلمية والأجتماعية ــ كانوا يجهلون الجهل كله تعاليم كنيستهم . ومن أكبر الأدلة على هذا الجهل أنهم لم يتورعوا عن أن يرفعوا دعوى على ذلك الذى أعلنوا أيام الدعاية له بأنه خير من يسوس الكنيسة فى مختلف مجالاتها ، و يسير بها فى طريق النمو والصلاح ــ دعوى تسلمها قداسته على يد محضر ! (١) .

أما القرارات المجمعية فقد صدرت فى بيان نشر على الشعب ، واليكم نصه :

بسم الآب والابن والروح القدس اله واحد آمين

بيــــان

من المجمع المقدس للكنيسة القبطية الأرثوذكسية

الى حضرات الأبناء المباركين المحبوبين والكهنة والشعب بسائر أنحاء الكرازة المرقسية . النعمة لكم والرحمة والسلام من الله الآب والمسيح يسوع ربنا .

---

(١) كانت الفترة الأولى للاحتلال الانجليزى فترة النشاط « التبشيرى » على أقواه . وبما أن كبار القبط كانوا يرسلون أولادهم الى المدارس الأجنبية فقد نشأ عدد غير قليل منهم يعرف الكثير عن بلاد معلميهم وعن كنائسهم ولا يعرف الا القليل ــ أو بالحرى الضئيل ــ عن مصر وكنيستها . ولم يفلت من عدم المعرفة هذه إلا أولئك الذين تلقوا معرفتهم الكنسية من والديهم (أو من جداتهم وجدودهم) . فالجهل الذى نسبه دعاة التبشير الى كهنتنا كان فى الواقع الحاجز الذى أقاموه بين بعض من تعلموا فى مدارسهم و بين أمهم الكنيسة المصرية الأصلية . راجع ايضا كتاب « مكار يوس الثالث ... » ص ٦٧ - ٧١ .

لقد تتبع كل قبطى أرثوذكسى غيور على مجد كنيسته التطورات التى حدثت بالكنيسة منذ تنصيب غبطة الأنبا مكار يوس بطر يركا الى الآن واقترنت هذه التطورات بالتحدث عن :

١ ــ المجمع المقدس ٢ ــ غبطة البطر يرك ٣ ــ المجلس الملى العام ٤ ــ الأوقاف .

ويهمنا أن نطلع الرأى العام فى هدوء على هذا البيان ليلمس حقيقة الموقف بالبرهان فلا يخدع .

١ ــ المجمع المقدس :

أ ــ هو مجمع مطارنة وأساقفة الكنيسة .

ب ــ هو السلطة الدينية التى تحكم فى سائر شئون الكرازة المرقسية .

جـ ــ نصت القوانين الكنسية (٢٨ رسطج) على أن يجتمع مجمع الأساقفة دفعتين فى السنة لتدبير سائر شئون الكنيسة (المجموع الصفوى ص ٢٤ و ٤٧) .

د ــ نصت قوانين الآباء الرسل بأن البطر يرك لا يفعل شيئا بغير رأى الأساقفة .

هـ ــ نصت قوانين الآباء الرسل والمجامع أن ما يقرره المجمع لا تبدله ولا تغيره سلطة ما غير المجمع المقدس .

و ــ نصت قوانين الآباء الرسل والمجامع على خضوع الأساقفة المتقدمين (باباوات و بطاركة) للمجامع ولا تخضع هذه لهؤلاء .

ومن هذا تتضح قدسية المجمع وسلطته وقوته وصحة انعقاد جلساته التى عقدها فى يومى ٨ و ١٤ بشنس سنة ١٦٦٠ (١٦ و ٢٢ مايو سنة ١٩٤٤) .

٢ ــ غبطة البطر يرك :

ا ــ بمجرد تنصيب غبطته ترأس جلسات المجلس الملى العام وقدم له ــ دون استشارة المجمع المقدس ــ كتاباً يأمر فيه بتسليم أوقاف الأديرة للمجلس الملى العام

ب ــ قابل كثيرون من حضرات أصحاب النيافة المطارنة غبطته و باحثوه فى صدد كتاب التسليم فأجاب غبطته بأنه لم يأمر بالتسليم بل بتقديم حساب فقط ــ فطلبوا من غبطته تحر يرا بهذا المعنى فأبى .

جـ ــ استمر المجلس الملى العام يستصدر من غبطته قرارات منفذه ومتممة للكتاب الأول القاضى بتسليم الأوقاف .

د ــ باحث غبطته فر يق كبير من عظماء الشعب والجمعيات القبطية بصدد قرارات التسليم المذكورة فكان تارة يتبرأ منها وتارة يدافع عنها .

هـ ــ عاود بعض حضرات أصحاب النيافة المطارنة التفاهم مع غبطته وطلبوا منه عقد

المجمع المقدس للبت فى سائر شئون الكنيسة المعلقة ــ فوعدهم بذلك بعد انتهاء الصوم المقدس .

وــ منح غبطته المجلس الملى العام سلطانا واسعا فى الأمور الروحية فباشر المجلس هذه السلطة وأجرى تنقلات بين كهنة الكنائس فى القاهرة ــ خلافاً لما تقضى به القوانين الكنسية واستأثر المجلس بغبطته ووضع الحجب والحواجز بين غبطته و بين الاكليروس والشعب وحرض غبطته على مقاطعة مطارنة الكنيسة وخلا القصر البطر يركى من السكرتار ية الروحية التى لا يجوز خلوه منها ولا يستقيم الحال بدونها .

زــ صدر عن غبطته منشورات راعو ية أمر فيها بتنفيذ بعض الأمور الطقسية فلم تنفذ لمخالفتها لقوانين الكنيسة وتقاليدها وقد كتبت عن ذلك المجلات الدينية .

حــ دعاه جميع حضرات أصحاب النيافة المطارنة لعقد المجمع المقدس للمرة الثانية فلم يجد فحرروا لغبطته ثالثا وحددوا ثلا ثة أيام لدعوة المجمع فلم يفعل ــ وأخيرا اجتمعوا وتوجه لغبطته نواب عن المجمع يدعونه لرئاسة جلساته فامتنع .

ومن هذا يتضح أن غبطته لم يساير القوانين الكنسية المحددة لسلطة المجمع واختصاصاته ــ فى حين أنه رأس جلسات المجلس الملى العام وساعده على الهيمنه والتصرف فى كل أمور الكنيسة الروحية والادار ية .

٣ ــ المجلس الملى العام :

أــ تعدى بعض أعضاء المجلس بالقذف فى حفلات عامة على هيئة المجمع المقدس محاولين أثارة الشكوك مما دعا الى امتعاض الكثير ين واحتجاجهم .

بــ استأجر جر يدة مصر للدعاية لمشروعه المرتجل وقرر لها فى ميزانيته الرسمية ٤٠٠ جنيها إعانة سنو ية كما اشترى لإدارتها الأ ثاث الموجود بها الآن وذلك لا لخدمة الرأى العام القبطى بل لخدمة المجلس ومناصرته وأخذ ينشر فيها ما يساعده على الدعاية لمشروعه بإمضاء مؤ يدين من غير الأقباط الأرثوذكس كما قلب الأوضاع والحقائق فيما نشره من بيانات .

جــ ادعى الرغبة فى إصلاح الأديرة الكائنة خارج مدينة القاهرة بيد أنه يدير الأديرة الكائنة بداخل مدينة القاهرة للراهبات منذ خمسين سنة ومع ما لهذه الأخيرة من الايراد الوفير فان حالتها تدعو الى العطف والرثاء .

دــ طلب وضع اليد على أوقاف الأديرة والأبروشيات ــ ولكن سوء تصرفه فيما هو تحت يده مما هو ملموس فى المبانى الخربة والأطيان التى تباع من يوم الى آخر جعل الكثير ين يقولون الأمين فى القليل أمين أيضا فى الكثير ؟ .

هــ ظن أنه يخدع قلوب البسطاء بأنه لا يمكن لرجال الدين أن يديروا الأمور المالية

مستشهدا بآيات الكتاب القائلة « لا يرضى أن نترك نحن كلمة الرب ونخدم موائد » و بالآية القائلة « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين الله والمال » وهو لا يعى أن رجال الدين لهم مواهب متنوعة وأن الرسل أقاموا الشمامسة لهذه الخدمة (وهم من طغمة الكهنوت) تحت إشراف الرسل أنفسهم ــ وأن المؤمنين كانوا يأتون بالدراهم و يضعونها تحت أرجل الرسل وهم يتولون توز يعها وأن الدسقلية تأمر بأن الأسقف الذى ائتمنه الله على النفوس لا يجوز أن يحاسبه أحد بل و يظن المجلس الملى العام (الذى لا وجود له فى أى كنيسة رسولية أخرى) أنه سيد العارفين بالكتاب المقدس والنظام الكنسى ولم يدر أن جميع الكنائس المسيحية فى العالم تتبع هذه التعاليم والتقاليد فيدير اكليروسها كافة أمورها الروحية والإدار ية والمادية .

ومن هذا يتضح أن المجلس الملى العام فرق بين غبطة البطر يرك و بين الاكليروس والشعب وأنه تعدى حدوده واختصاصاته والمرعيات من نحو كرامة رجال الدين وأثار الأضطراب والشر فى الكنيسة .

أخيراً: بهذا البيان أطلعنا الشعب القبطى الكريم على حقيقة الحال وقد اتضح له أن هناك فرقا شاسعا بين الحقيقة و بين ما يذاع وما يقال .

فلنعالج أمورنا إذن بالحكمة والسداد .

والله الذى وعد الكنيسة قائلا « كل آلة صورت ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه » والذى وعد بأن أبواب الجحيم لن تقوى عليها وأنه فى وسطها فلا تتزعزع الى الأبد نسأل مراحمه العالية أن يز يل عنها هذه المحنة وأن يحفظ سلامها بيمينه القو ية وذراعه الرفيعة ولر بنا المجد الى الآبد أمين ،

تحر يراً بدار البطر يركية بالقاهرة فى ١٤ بشنس سنة ١٦٦٠ (٢٢ مايو سنة ١٩٤٤) .

٥٦ ــ وانتهت الدورة الملية فى أول يونيو سنة ١٩٤٤ . وتمهيداً للدورة الجديدة بدأت الحملات الدعائية للفوز بعضو ية المجلس . و بديهى أن الذين استباحوا القذف حتى فى رجال الدين ، لم يتراجعوا فى سبيل الوصول الى عضو يتهم فى المجلس ــ المفروض فيه أنه أعلا هيئة مدنية ــ عن استعمال كل الوسائل المباحة وغير المباحة . وهنا أيضا لم يكتفوا بالتغنى بفضائلهم الذاتية بل أضافوا إليها الطعن فى منافسيهم . وليس ذلك فحسب بل زادوا عليها أنهم أعطوا لأنفسهم الحق فى إفشاء المكاتبات المتبادلة بين الآباء المطارنة و بين باباهم ! ولقد نشرت « الوطنية » مقالاً على صفحاتها الأولى يوم الخميس ١ يونيو نورده هنا ليقف عليه من يهمه معرفة الحقيقة . والهدف من هذا السرد هو أن يتحاشى الأحفاد ما سقط فيه أجدادهم (١) .

---

(١) انظر ملحق ٣ .

وفى العدد عينه من الجريدة كتب ميخائيل ابراهيم (من شبرا) مقالاً بعنوان « أرثوذكسية أعضاء المجلس الملى نورده مع سابقه للغرض عينه

٥٧ ـ ووسط المد والجزر المتناوبين لمعمعمة الدعاية الملية انشغل فريق من الرهبان بالعمل البنائى الذى هو من أكبر النعم الإلهية على الإنسان . و يتضح هذا العمل البنائى من المقال التالى :

أثبت فريق من رهبان الدير المحرق فى مذكرة نشر ملخصها على صفحات جريدة « مصر » فى عام ١٩٣٩ أن الرهبنة القبطية كانت تنقسم الى أربع فرق . فرقة للتعليم وأخرى للتبشير وثالثة للتمريض ورابعة لخدمة الثلاث فرق . وأثبتوا أيضاً أن جهاد الرهبان الأقباط وصل الى بلاد الانكليز . فلما عادوا الى الدير عام ١٩٤٠ تقدموا الى صاحب النيافة الأنبا اغابيوس رئيس الدير طالبين التصريح لفريق منهم بالعمل فى التعليم الالزامى . فأذن لهم نيافته مغتبطاً .

وتبرع الرهبان لهذا المشروع الجليل بمبالغ من مرتباتهم الشهرية ثم يمموا وجوههم شطر بعض القادرين من أبناء « رزقة الدير المحرق » يجمعون مبالغ ضئيلة . و بعد فترة ليست طويلة أسست أول مدرسة وتقدمت تقدماً عظيماً جعل رئيس الدير يتحقق من صدق رغبتهم ويمدهم بمبالغ صغيرة فانشأوا مدرستين فى « المنشأة الكبرى » و « السراقنا » و يديرها القمص أرمانيوس ونيس ...

تفانى الرهبان فى العمل رغم ما يعترض سبيلهم من عقبات أخصها عقبة المال ، حتى أصبحت مدرسة « رزقة الدير المحرق » قسمين (إلزامى وابتدائى) . وراح الآباء القمامصة والقسوس تاوضروس ابراهيم ناظر المدرسة ودميان برسوم ودماديوس وانجيلوس والأستاذ بسيط جيد المدرس بمدرسة الدير يبذلون قصارى جهودهم حتى تقدم طلبة السنة الرابعة للابتدائية فنجحوا جميعاً بتفوق وحصلوا كلهم على درجات عالية تتراوح بين ٦٦ فى المائة و ٨١ فى المائة رغم فقر بعضهم الشديد حتى أن بعضهم كان يشترك فى كتاب واحد مع زميل له . بل إن الآباء جمعوا تبرعات فيما بينهم لشراء ملابس ونفقات الطلبة المعسرين لتأدية الامتحان ...

إن نيافة الأنبا أغابيوس مطران صنبو وقسقام وديروط ورئيس الدير المحرق رجل طيب القلب يحب الإصلاح والمصلحين . ولعل الزائرين له يلمسون ذلك جلياً إذ كثيراً ما يتحدث اليهم عن نتيجة المدرسة مغتبطا ـ كما أنه كثيراً ما كان يفاجىء المدرسة بزياراته المتكررة إبان الدراسة . وطالما تحدث عن رغبته فى ضرورة قيام مدرسة صناعية إلى جانب المدرسة الأبتدائية على حساب الدير ، فنرجو أن تتحقق هذه الرغبة فعلى هذه الأسس تقوم الرهبنة الحقيقية .

٥٨ ـ وخلال هذه المعمعمة الساخنة ترك الأنبا مكاريوس الدار البابا وية وذهب الى

حلوان حيث عاش فى بين داخل حديقة كنيسة السيدة العذراء (١) . وبينما هومقيم هناك ، حدث أن تحدد موعد اكليل ثريا حبيب المصرى . فرأى حبيب وزوجته أن يذهبا الى قداسته ليرجوا منه أن يتفضل فيبارك اكليل بنتهما . وبالفعل ذهبا إليه . فلبى رغبتهما وجاء الى الكاتدرائية المرقسية بالأزبكية مساء الأحد ٣٠ يوليوسنة ١٩٤٤ . واتضح أنه جاء خصيصا للاكليل إذ ما كاد ينتهى من رياسة الشعائر الدينية حتى عاد الى حلوان لتوه . وفى عصر اليوم التالى ذهب الوالدان ليقدما تشكراتهما للبابا الجليل . وفى هذه اللقاء انهمرت الدموع غزيرة على خدى رجل الله وانسابت فوق لحيته البيضاء الطويلة وقال : « ياريتنى سمعت كلامك وبقيت فى مطرانيتى . لانى لما كنت مطرانا كان الله يستجيب لكل طلباتى مباشرة أوعن طريق شخص أو فى كلمة عابرة . ولكنه أدارلى ظهره من يوم ما دخلت البطريركية » . وتعانق البابا الوقور وابنه الحبيب وامتزجت دموعهما فسحت الجفوة الطارئة ــ لأن المحبة لا تسقط أبداً (٢) .

٥٩ ــ واستمرت المساجلات فى تصاعد ، فكتب أحد الصحفيين يقول :

والواقع أن هذه المعركة الانتخابية يعبىء لها أعضاء المجلس الجهود لأنهم يدركون أن انتصارهم فيها معناه انتصارهم على طول الخط وفيه ضمان كاف لتسلم أوقاف الأديرة وانصياع الرهبان وتسليمهم المواقع ، لأن معنى هذا الانتصار فى أبسط صوره هو هدم المجمع المقدس ... وأعضاء المجلس الملى يستعينون لقضاء هذا المأرب بكلمة سحرية قد بدأنا نملها والله وهى دعوى « الإصلاح » ولقد أعجبتنى والله كلمات صاحب السعادة حبيب حنين المصرى باشا فى تعقيبه على دعوى إلاصلاح بقوله (لقد أصبحت أكره كلمة الإصلاح لكثرة ما حملها الناس من المعانى الظالمة حتى أصبحت تعنى الفوضى والثورة والخروج على النظام والتقليد وعلى الدين) وقد ذكرتنى والله كلمة حبيب باشا بان كل أولئك الذين خرجوا على قواعد الدين الصحيح زعموا هذا بدعوى الإصلاح .

فليتدبر أبناء الطائفة القبطية من جمهرة الناخبين هذه الدعوى الغير صحيحة وليدركوا أن قصة « الإصلاح » قصة مملولة ، وليعلموا علم اليقين أن الآباء المطارنة لا يعارضون فى الإصلاح إذا كان ثمة إصلاح ، ولم يعارض آباء الكنيسة أعضاء المجلس الملى فى أى اقتراح يتقدم به فرد من أبناء الطائفة فضلا من أعضاء المجلس الملى يكون فيه خير لقضيتها وخير لقضية الكنيسة ... هذا ما يجب أن يعرفه الناخبون وما يجب أن يذكروه وأن يضعوه نصب أعينهم فى يوم الأنتخاب .. والواقع أن المعركة معركة مبادىء وتبعاً لنتيجتها سيكون بقاء المجمع المقدس وحفظ كيانه وسلامة تكوينه وقدسيته ... فليراقب الناخبون الله وليوفقهم خالق السموات والأرض وليهدهم الى الصواب (٣) .

سالم سيدهم

(١) راجع ف ٦٤ من قصة البابا الوقور الأنبا كيرلس الخامس .

(٢) قصة حبيب المصرى ص ٢٣٠ .

(٣) عن الافتتاحية بجريدة التيمس المصرى فى عددها الصادر يوم ١٧ أغسطس سنة ١٩٤٤ .

٦٠ــ وتزايد ألم قداسة البابا وحزنه بأزاء كل هذه المشاحنات ، وتزايد التوتر بينه و بين المنياوى وصحبه لاعتداءاتهم المتكررة على سلطته . فلقد ضيقوا عليه حتى أصبح وكأنه محجور عليه !

كما أن هذا التوتر أدى الى أن خسرت الكنيسة عدداً من رجالها الذين تباعدوا عن هذا الجو المشحون بالخصام . و بالطبع تعطلت المشروعات الكنسية . فلما وجد الأنبا مكار يوس نفسه عاجزاً عن تنفيذ آماله للكنيسة لم يجد أمامه غير الابتعاد هو أيضا ! وفى هذه المرة قرر أن يلجأ الى دير الأنبا بولا لكونه أبعد الأديرة عن القاهرة ولوعورة الطر يق الموصل اليه .

وقد رافقه فى سفره الأنبا تيموثيئوس مطران الدقهلية والأنبا ثيئوفيلس مطران القدس والأنبا ابرآم مطران الجيزة .

٦١ــ إلا أنه على الرغم من بعد الدير و وعورة الطر يق فقد ذهب الكثيرون للسؤال عنه ولاستعطافه بأن يعود . فكان يهدىء نفوسهم المهتاجة و يطلب اليهم أن يمهلوه قليلا ليستعيد هدوءه النفسى . وخلال الأسبوع الأول من إقامته بالدير كتب الى الأنبا تيموثيئوس يقول : « أخى الحبيب الروحى الأنبا تيموثيئوس مطران الدقهلية : بعد القبلة الرسولية والمصافحة الأخو ية ، لازلت أشعر بمرارة فى نفسى وحزن عميق لا يفارقنى على أثر المناقشة الأخيرة التى حدثت بحضوركم مع الدكتور المنياوى باشا وراغب بك اسكندر وتصرفاتهما معنا **وسياسة الإرغام التى أرادا اتباعها .** ولم أكن خاطئا إذ طلبت اليهما التفاهم بنية خالصة ، وهويؤدى حتما الى الإصلاح المنشود الذى تطلبه الكنيسة . ولكنهما أبيا إلا أن أكون متسرعا فرفضت . وقد عمدا فى الأيام الأخيرة الى مضايقتى بطرق من العيب ذكرها فى كهولتى هذه . وكنت أنتظر منكم ومن إخواتكم المطارنة أن تقفوا بجانبى فنرفع صلاة لكى يهدينا السيد المسيح الى الطر يق الحق حتى لا يحدث انقسام فى الطائفة ، و يتشتت الشعب الى فرق إذ هو فى اشد الحاجة الى توحيد الجهود وجمع الصفوف .

صلوا لأجلى ونعمة الرب تشملكم ولعظمته الشكر دائما » .

وإذا أحس بما يملأ قلوب محبيه من ألم أراد أن يدخل عليهم شيئا من الطمأنينة فنشر بينهم الكلمة الوجيزة التالية :

كلفنى غبطة البطر يرك أن أعلن بلسان غبطته ما يطمئن الشعب القبطى أجمع على توفر أسباب راحته بديرى الأنبا انطونيوس والانبا بولا حيث يلقى من أبنائه الرهبان وحضرات المطارنة صادق الولاء والأخلاص .

وقد وعد غبطته أن يعود الى مصر آملاً أن تكون قد زالت الأسباب التى كانت داعية لعدم استكمال راحته . و يدعو بالتوسل الى الله أن يهب الكنيسة والطائفة نعمة من لدنه بجمع شملها وتوحيد كلمتها وتميم عناصرها شعباً واكليروساً الى كتلة واحدة فى حماية الله وعنايته تعالى ورعاية صاحب الجلالة الملك المعظم المحبوب وإخلاص حكومته السنية ،

مطران الدقهلية

عزيزى حبيب باشا المصرى بعد صالح الأدعية المسطر بعاليه هو النص الأصلى الذى أرسلته امس الى جريدتى الاهرام والمقطم وقد نشر اليوم بالمقطم محزوفاً منه اهم عبارة وردت به فنرجو اعلانه بواسطتكم الى الصحيفة التى نشرتها ،

كذلك أرسل يوم السبت ١٦ سبتمبر خطابا الى جريدة مصر لنشره . ولكن بما أن هذه الجريدة كانت أجيرة المنياوى وصحبه فإنها لم تنشره ! ثم عثر عليه بعض أحباء البابا الجليل فنشروه فى جريدة الأنوار[١] يوم الذكرى الأولى لانتقاله الى الأخدار السماوية (٣١ أغسطس سنة ١٩٤٦) . ونقتطف هنا جزءه الأول لأن الباقى سرد للحوادث التى سبق ذكرها والتى جعلته يلجأ الى الدير ، قال قداسته :

حضرة المحترم رئيس تحرير جريدة مصر الغراء :

بعد السلام والاحترام ، أرجوكم أن تتكرموا بنشر هذه الإفادة أدناه بجريدة مصر . وأشكركم لذلك كل الشكر . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،

مكاريوس

« ... إنى اخترت الإقامة فى دير القديس العظيم أنبا بولا لكونه أبعد الأديرة القبطية عن الريف لكى استريح من الأتعاب والأمراض التى انتابتنى من وقت وجودى بالبطريركية بمصر . لأنه من حين دخولى فيها قد أصبت بمرض فى ذراعى الأيمن لا يهدأ أبداً لا بالليل ولا بالنهار . وقد عالجنى أشهر الأطباء بجميع أنواع العلاج فلم استفيد شيئا من علاجهم . وذراعى الأيسر قد ابتدأ كالأيمن . وزاد مرضى فى أذنى وثقل سمعها . فلا أسمع بها إلا نادراً جداً من الذين يتكلمون بصوت عال و بوضوح . وهذا المرض من أكبر النقائص التى تمنع **الكهنوت** . فضلا عن ذلك تعب فكرى الذى أتعبنى جداً حتى طلبت الراحة من كل ذلك . وظننت أنى أرتاح إذا سكنت حلوان فلم أجد راحة بعد أن سكنتها مدة . فاخترت الراحة فى الدير البعيد جداً

---

(١) هى جريدة أسبوعية كانت تصدرها جمعية ابناء الكنيسة التى كان أبونا داود المقارى من اكثر العاملين فيها تفانياً .

عـن الـريـف لأتـعـبـد فـيـه وأتـوحد كما كنت قبل المطرانية لأن عيشة الاختلاء مع الله يرتاح لها القلب والنفس والحواس . ولعلي أجد هنا ما أملت برحمة الله وإنعامه ... » (١)

والجـدير بالذكر أن قداسة البابا وجد فى حصن الدير أوراقاً متناثرة فجمعها وتمعن فيها ، وتمكن من أن يعيد صياغتها الى كتب منسقة يستطيع الرهبان (أو غيرهم) الانتفاع بقراءتها .

كما أنـه يجب أن نعرف أن الدكتور أحمد ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء لم يسترح الى ما بـلغته الأمور من تحرج ، فكتب الى البابا الجليل خطاباً يقول فيه إنه لولا مشاغله الوفيرة لسافر الى الديـر لمـقـابـلته شخصيا لكى يرجو منه التكرم بالنزول من الدير الى مقر كرسيه لاستئناف رعاية الـكـنـيـسة . وذلك لأن وجوده بالدير يؤثر تأثيراً غير حميد فى سير الأمور . وألح رئيس الحكومة على قداسته أن يستجيب لرجائه .

٦٢ــ وتحت ضـغـط الـشـعـب وإلحـاحـه ذهـب المنياوى لزيارة قداسة البابا ــ وليته لم يـذهـب ! لأن الأنـبـا مـكـاريوس كتب بعدها خطاباً الى الأنبا تيموثيئوس يطلعه فيه على الآلام الـتـى فـاضت بها نفسه نتيجة لهذه الزيارة (٢) . وقد أرسل نيافة المطران بدوره هذا الخطاب الى حبيب المصرى ــ وهذا نصه :

عـن الخطاب المرسل من غبطة البطريرك ومعنا صورة منه بخط يده وقد أوقفت نشره رغم تقديمه محافظة على كرامته والطائفة .

قـد رأيتم حـضرتكم تحكم سعادة الدكتور ابراهيم باشا فى حين تشريفه بدير الأنبا بولا لما حتم عـلـى بـالـرجوع لمصر حالا فلما أوضحت له عدم مقدرتى على ذلك أبدا لأنى منهوك القوى من الـتعب ولولا مشورتكم على بكتابة هذه من جراء تدخل الباشا فى طلب الحكم على أحد المطارنة وهـذا الأمـر خـارج عـن اخـتـصـاص المجلس كلية وقد بلغنى أنه سعى فى **التحريض على ثلاثة منهـم بـكـل طـرق الـتـحـريـض** وضبطت بعض كتابات منه بإمضائه بهذا المعنى وقدم لى بعضها لأحـقـقـهـا فـامتنعت حتى لا يثبت ما تبلغ فيها وفى غيرها لأن المشكو عليه يقدر أن ينكر مضمون الـكـتـابات والخطابات لأنه ليست بخط يده بل مطبوعة واذا رفع بعضهم شكوى ضده فلا يكون ــ نـصـيـبه اقل من خدش الشرف ومن مضايقتى وعدم مقدرتى إجابة طلبه وعدم مشاركته فيه كنت اسـتـغـيـث منه تضرعا **اليه أن يرحمنى ولا يزعجنى هكذا بل يتأنى على ويرفق بى وأصرح له**

---

(١) الـعـدد الخـاص بـالنيروز ــ ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٦ ــ ص ٢٤ ، و يلاحظ الأدب الجم الذى يخاطب به قداسة البابا أحد أبنائه العاقين . أما « الريف » فهو بالنسبة للرهبان كل البلاد المصرية خارجاً عن الدير .

(٢) من المفارقات التى يجب تسجيلها أن المنياوى وكتلته تجاسروا على تعيير البابا الوقور بأنهم هم الذين أوصلوه الى الكرسى البابـاوى ، فى حين أن أحداً لم يتجاسر أن يذكر الأنبا يؤنس بأن الملك فؤاد هو الذى أوصله الى الكرامة الباباوية .

أننـى أشعـر من هذا باختناق وضغط شديد فى قلبى حتى أشعر انه يحترق كأنه يشوى كما يشوى اللحـم علـى السكـارة وأسـمع صوت طشطشة على النار وأقول له ارحمنى ياابنى وأشفق عليه وهو لا يبالى بل يريد أن ينفذ كلامه وكنت أقول هذا الكلام وأنه للمشتكين الـذين قيل عنهم إنهم محرضون ولكن لثقتهم بمساعدته لهم ومقدرته على تنفيذ مآربهم كانوا يسـمعون تضرعى هذا بغير مبالاة وفى مصر كنت متعبا جدا وزيارة واحدة منه فى حلوان أو مـن أحـد أتبـاعه وأتباعه ولله الحمد هم كثيرون كانت تجعلنى لا أذوق النوم مدة يومين أو ثـلاثـة أو أكثر وقد رتبتم حضرتكم لى لما عرفتم سبب مرضى وانكسار نفسى ولما لم أجد راحتى بـالـبعد فى حلوان أردت التخلص من هذا كله بالبعد من هذا الوسط الى أبعد دير ولم أرتعبا أبدا مـن حين وصـولـى الـيـه إلا مـن وقـت حـضـوركم الذى كاد الباشا أن يتجاسر علىّ أزيد مما كـنـت أرى منه سابقا لأنه على زعمه أننى انقلب ضد المجلس فقط لا غير فضلا عن أنى متضايق مـن أعـمـالهـم ضـدى ولو أنى أعتقد تمام الاعتقاد أنهم أبرياء مما ينسب اليهم وغير ذلك فالمجلس المـلـى يـطـلـب أيـضـا مـاليـس من حقه ولا من اختصاصه فيطلب السيطرة على الكنيسة وكـهـنـتـهـا ورؤسائها الامر الغير جائز قانونا ولا عرفا فى كل الكنائس الدنيا أبدا وقد سبقت مرارا عـديـدة فـأشـرت على حضرات المطارنة واللجنة التى عينها المجلس للنظر فى أوقاف الأديرة وقلت لهم إن كل ما يتراضوا عليه أكتفى به وأقبله بكل سرور وأسير بمقتضاه لأن كل الطوائف المسيحية المـوجـودة بمصر تخضع لكهنتها ولأساقفتها و بطاركتها وكل أعمالها سائرة بنظام تام وكانت الفرصة مواتية لى لطلب اشتراك كل أفراد الشعب مع الأوقاف والمطارنة وكل الأعمال النافعة ولا يطلب ذلـك مـن الأديرة هــذا لأن جميع الطائفة ملزمين بالاشتراك فى عمل المطلوب أسوة بكل الطوائف الحيـة فـإذا كـان كـلامه المستعلى فهل مثل هذا الكلام الجاف والزعيق والتهديد سيرخينى فتأبى نفسى أن أكون فى هذا الوضع الغير محتمل ولا مجدى ،

هـذا بعض ماقيل فى تعبير غبطة البابا عن آلامه التى صارت آلام الجميع بل سببت آلام الطائفة وما نعانيه الآن من سوء هذا التعريف .

٦٣ـــ ثم غـادر الـبـابـا الجـلـيـل رحـاب الناسك الأول وذهب ليستريح تحت رعاية أبى الرهـبـان . وفـى رحلته من دير الأنبا بولا الى دير الأنبا أنطونى ، نزل من السيارة التى أقلته على بـعـد مـئـات مـن الأمـتـار ومـشى على قدميه هذه المسافة الطويلة . وقد استنتج عدد غير قليل من أحـبـائـه أنـه فـعـل ذلـك اسـتـغـفـاراً . ووصـل دون أن يـكون قد أعطى الرهبان خبراً بعزمه على الاعتكاف فى ديرهم . وما كادت أعينهم تقع عليه حتى هرعوا الى الترحيب به . ثم رجوا منه أن يسـتـريح قليلا ريثما ينظفون الكنيسة . ولكنه شكرهم وظل واقفا متكئا على عصاه . فلم يسعهم إلا أن يفتحوا له باب الكنيسة ليدخلها مباشرة . وحالما وصل الى حجاب الهيكل خر ساجداً على ركـبـتـه ، وأخـذ يـبـكـى بـكـاء مُـراً ، و يقول بصوت عال سمعه الجميع : « أخطأت إذ صرت بطريركا . لست أريد العودة الى البطريركية . فلأَصير كَسيحاً أو أعمى . لا أريد العودة . لقد

ندمت يا ربي . أليست من توبة للخاطيء !؟ » وكان منظر الرجل الوقور ذى اللحية البيضاء الطويلة النازلة على جيب قميصه مهيبا رهيبا الى حدٍ جعل كل الحاضرين يبكون و يتوجعون و يشاركونه أنينه . ثم تجمع البعض منهم حوله ، وانحنوا عليه ، ورفعوه من على الأرض ، واحتاطوا به ، وأخذوا يعزونه . فوجد من أبنائه الرهبان ذلك التجاوب الروحي والتعاطف الإنساني اللذين كان ينشدهما من أبنائه الذين يحيطون به فى العالم دون جدوى . فتعزت نفسه الجريحة .

٦٤ — ولقد حدث ذات ليلة — وهو مازال فى دير الأنبا بولا — أن قصد بعض أحبائه ومريديه الى زيارته . وضلوا الطريق الى حد أن الليل أرخى سدوله وهم يبحثون عن الدير . وأصابهم شيء من الذعر لئلا يطول توهانهم فى تلك الصحراء القفرة التى ضاعف قفرها الصخور العالية المعترضة للطريق عند كل منحنى . فرفعوا بأبصارهم نحو الأفق فى ضراعة صامتة . وإذ بهم يلمحون قداسة البابا يحيط به عدد من الرهبان ! فتهللوا وتراكضوا نحوهم . ولما وصلوا إليهم سأله واحد منهم عن السبب فى وجودهم خارج الدير فى مثل هذه الساعة المتأخرة . فأجابه بأنه علم بالروح أن بعضاً من المخلصين له آتون للسؤال عنه . فلما استعوقهم خرج مع الرهبان المصاحبين له ، وساروا فى الطريق الآتى من القاهرة ليستقبلوهم . فسار الجميع فى موكب من الفرح إذ قد تجمعت القلوب فى ألفة وتناغم .

٦٥ — وخلال كل هذا المد والجزر ظلت رحى المعركة الانتخابية دائرة . ولما كانت الخطابة والكتابة مفتوحتين على مصراعيها آنذاك فقد استغلها المرشحون : كل حسب شخصيته . فالبعض التزم الأدب وحسن المعاملة ، بينما غيره لم يتورع عن السباب والشتائم المعيبة ! وفى اليوم المعين للانتخاب بالذات — أى قبل أن تظهر النتيجة — نشر نيافة الحبر الجليل الأنبا تيموثيئوس كلمة فى جريدة المقطم نقلتها عنها جريدة الوطنية ، قال فيها :

اليوم أو غداً تذاع أسماء حضرات أعضاء الهيئة الجديدة المنتخبة للمجلس الملى العام وسواء أظهرت بين الناجحين عناصر جديدة أو لم تظهر فسيان ذلك عندنا . ولكن الذى يهمنا ويهم كل غيور مخلص هو أن تفتح هذه الهيئة المحترمة عهدها بأن يتناول أعضاؤها من الأسرار المقدسة عند البدء بعملهم . وأن يتعاهدوا على الخدمة النزيهة الصادقة فى ظل الاتحاد والتضامن بين المجلس والاكليروس . وان يحافظوا على عقائد الكنيسة الأرثوذكسية وتقاليدها وقوانينها المقدسة وأن يقطع حضرات أعضائها عهداً بالتعاون مع أحبارها وفى مقدمتهم غبطة البابا المعظم البطريرك لتنفيذ الرغبات الرئيسية التى تصبو اليها نفوس الجميع لخير الشعب . ولتكن المحبة رائدهم والحكمة شعارهم . والله تعالى يوفقهم ويهديهم إلى مايرضيه . المقطم

مساء الثلاثاء ٢٤ أكتوبر ١٩٤٤ .

تيموثاوس مطران الدقهلية

و « الوطنية » تقول إن نيافة المطران يريد بذلك أن يضع تقليداً كريماً للهيئات الملية إلى العمل الطائفى إلا بعد تناولهم من الأسرار المقدسة . وهو تقليد معمول به فى جميع الهيئات العامة رسمية وغير رسمية .

ومن المؤسف أن هذا النداء الأبوى الهادىء لم يجد آذانا صاغية ، بل ضاع كغيره من النداءات الهادئة وسط صخب المشاحنات . لأن الأكثر ألماً هو أن الناخبين لم يحاولوا وزن الأمور بميزان المصلحة العامة ، لكنهم إذ وجدوا بين المرشحين أربعة من الباشاوات (١) قالوا : لنضعهم وجها لوجه كى نرى ماذا سيعملون ! فأدى هذا التفكير الى استمرار التخاصم ، ولم يؤذ البابا الجليل وحده بل أذى الكنيسة كلها . لأن الموقف داخل المجلس الجديد انطبق عليه قول الشاعر : متى يبلغ البنيان يوماً تمامه إذا كنت ما تبنيه غيرك يهدمه !

٦٦ــ ومع ما تكنه القلوب من محبة وتقدير للأنبا مكاريوس ، فقد أنجح الناخبون المنياوى وكتلته ! فزادهم هذا النجاح صلفاً وجبروتاً .

على أن الشعب أعاد حبيب المصرى الى المجلس الملى . وفى هذه المرة لم يستطع الذين تكتلوا ضده فى بداية عهد البابا مكاريوس أن ينازعوه حق البقاء فى عضويته . فلم تكن إرادة الشعب وحدها هى السبب فى عودته بل زادها قوة تصالح قداسة البابا معه . وعلى الرغم من ذلك فقد نازعوه حق الوكالة . .

وما أن أذيعت أسماء الفائزين حتى كتب له كاهن كنيسة السيدة العذراء بمسرة (شبرا) الخطاب التالى :

فى ٢٨ / ١٠ / ١٩٤٤

حضرة صاحب السعادة حبيب حنين المصرى باشا .

تحية واحترام . انى اذ أهنى فلا أهنيكم الا بالصحة السلامة أولاً . اما الفوز بعضويه المجلس الملى فانى اهنىء الكنيسة ورجال الاكليروس وعلى الخصوص والشعب على العموم بشخصيتكم التى نحى فيها الأيمان المستقيم والاخلاص والشجاعة المتزنة والعدل وفوق ذلك المحبة التى هى رباط الكل مؤمنا أن دورة هذا المجلس الجديد ستكون دورة سلام ووئام واتحاد على اساس صحيح بين المجلس والمجمع المقدس وجميع رجال الاكليروس لتكون كرامتهم محفوظة وعلى راسهم غبطة البطريرك لأنه كرامة رجال الدين هى كرامة الكنيسة والشعب ــ وبذا يسهل تسوية المسائل المعلقة وأهمها مسألة الكنيسة الحبشية وتستعيد الكنيسة مجدها بحقوقها كاملة

(١) هؤلاء الأربعة هم الاثنان اللذان ورد إسماهما فى ف ٦٦ ومعهما مراد باشا وهبة وتوفيق باشا دوس .

وقوانينها محترمة وطقوسها ماصونة كما كانت منذ فجر المسيحية وتظل الى أبد الدهور فيكون لكم الفخر فى الدنيا والثواب فى الاخرة .

والله القادر يحافظ عليكم و يوفقكم لكل عمل صالح .

المخلص
القمص تادرس راغب

٦٧ــ و بالطبع لم يرق هذا الموقف فى عيون الآباء المطارنة ، فتشاروا معاً : فى مقابلات لاثنين منهم أو ثلاثة ، ثم فى لقاءات أوسع . وأخذوا يتوافودون على قداسة البابا فى الدير أفراداً وفى مجموعات . وخلال اجتماعاتهم مع قداسته بدأت القلوب تصفو . و بتوالى هذه الزيارات ، وبمرور الأيام امتنع الأنبا مكاريوس بوجوب عودته الى مقره ، مذكراً نفسه بالمثل القائل : « الى يبنى كوبرى يستحمل التقل » .

ومما يجب تسجيله أن رجال الحكومة المسئولين بذلوا كل جهد لتهدئة نفس البابا الحزين .

ولما رأى أعضاء المجلس الملى ما بذله أحمد ماهر باشا لإقناع البابا الجليل بالعودة ، اجتمعوا فى هيئة جمعية عمومية وكتبوا خطاباً لقداسته أعلنوا فيه خضوعهم وطاعتهم وولاءهم له ، كما تعهدوا بالمحافظة على حقوقه الراعوية وكرامته الأبوية . ووقعوا بالإجماع على هذا الخطاب الذى حمله اليه بعض منهم .

وتحت هذه الضغوط التى توالت على البابا الوقور ، وتلبية لإخلاص رئيس الحكومة ولتعهد أولاده بالحفاظ على كرامته ، عاد الى الدار البابا وية يوم السبت ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٤٤ . ولم يكن يدرى أن تصالحه مع إخوته المطارنه سيضاعف من هجوم المنياوى وكتلته على الرغم من تعهدهم بتكريمه ! فلقد نسوا الاحتشام الواجب نحو الأب الروحى وأعلنوا أنه هو الذى نقض عهده معهم ! ...

٦٨ــ وقبل البدء فى الحديث عن المشكلة الاثيوبية فى عهد الأنبا مكاريوس الثالث ، يجدر بنا أن نقف لنراجع صلة الكنيستين : القبطية والاثيوبية على مدى ١٦١٨ سنةــ أى منذ أن رسم الأنبا أثناسيوس الرسولى أول مطران لتلك البلاد الشقيقة سنة ٣٢٦ . إذا لا يليق باولاد الكنيسة القبطية ــ بل بخدام يحبونها الى حد خدمتها ــ أن يقولوا : « فما سمعنا أن بابا قبطيا أمر

بإنشاء ملجأ أو مدرسة فى اثيوبيا ، أو قام ببناء عدد من الكنائس كما يحدث فى إيبارشيات مصر والقدس ... » (١) .

ولنبدأ من بداية الانقسام الذى نتج عن خلقيدون إذ قد أجمع المؤرخون على أن الاثيوبين شاركوا إخوتهم المصريين إيمانهم الأرثوذكسى الذى تعلموه منهم كما شاركوهم عداءهم للامبراطورية البيزنطية . ثم حينما دخل العرب مصر واستطاع الأنبا بنيامين أن يعود الى مقر رياسته و يتفقد شعبه أولى الاثيوبين عنايته .

ولقد عاش أسقف اسمه يوحنا النيقيوسى ، كتب سير الشهداء كما كتب تاريخاً عاما منذ بدء الخليقة الى أيامه واختص مصر بتفاصيل خاصة فى هذا الكتاب . وبما أنه سابق على الفتح العربى فقد كتبه بالقبطية . ولما كان بعض طالبى الرهبنة من الاثيوبين يحضرون ليعيشوا فى برية شيهيت بالذات ، فقد حدث أن تعاون أحدهم مع شماس قبطى فترجما معاً تاريخ النيقيوسى الى اللغة الحبشية القديمة .

ثم حدث سنة ٩١٩ أن رسم مطران لاثيوبيا باسم الأنبا بطرس فتسلم مهام رعايته وسهر على الشعب كأب حريص . و بعد شهور من وصوله مرض الامبراطور ، وأحس فى نفسه بأنه المرض الأخير . فدعا نيافة المطران الى جانبه وأطلعه على إحساسه ، ثم قال له : « أنت تعرف أن إدارة شئون المملكة تتطلب التعقل والاتزان . فعندما أنتهى من هذه الحياة أرجو اليك أن تعنى بتربية ولدى — الأميرين — فتهيؤهما لهذه المسئولية . ومتى بلغا سن الرشد وازن بين كليهما وأعط الملك لمن تراه أكثر مقدرة » . ونفذ الأنبا بطرس وصية الأمبراطور بضمير يقظ ، ثم رأى أن الأبن الأصغر أكثر حكمةً ومقدرة . فلم يتردد فى أن يمسحه امبراطوراً ... ولقد كان تصرف الأمير الأكبر تصرفا أهوج الى حد أنه تسبب فى جفوة بين الكنيستين استمرت لستين سنة ! (٢) ...

---

(١) راجع كتاب « مكاريوس الثالث ... » ص ٧٨ ، وهنا لى الحق فى سؤال من تجاسر وكتب هذه الكلمات : هل عدم سماعكم معناه أنه لم يحدث ؟! أما عن بناء الملاجىء فلم يحدث فى مصر نفسها إلا فى أواخر القرن التاسع عشر لأن المحبة لم تعد ملتهبة ! فقد كان القبط (قبل ذلك) يتبنون اليتامى و يربونهم مع أولادهم سواء بسواء حتى ينشأوا بين أب وأم واخوة ولا يشعروا بأنهم « أولاد ملجأ » . ومن أروع الأمثلة على هذا التبنى البابا يوساب الأول الذى تيتم من أبو يه فوجد أبا وأما بالتبنى — راجع سيرته فى حـ ٢ من هذا الكتاب . الفصل المعنون « ضربة قاصمة » . أما عن المدارس والكنائس فإن كل مطران فى إيبارشيته هو الذى يبنيها سواء فى أنحاء مصر أو فى القدس ، لأن المطران فى إيبارشيته هو المسئول عن الشعب الذى أقامه الله راعيا عليه . وبهذه المناسبة ذكرنى تعليق الكاتب الخادم القبطى بما جرى بين طالب أمريكى وأستاذنا دكتور جوردون المصرولوجى الأمريكى الكبير حينما كنت أدرس بكلية دروپسى بفيلادلفيا . فقد كان الأستاذ يتحدث عن الأنبا شنودة رئيس المتوحدين ، فسأله الطالب : « ومن هو؟ » أجابه : « هو عملاق من عمالقة الكنيسة القبطية » . فرد الطالب بقوله : « ما سمعت عنه الى اليوم » . فكانت إجابة دكتور جوردون حاسمة إذ قال : « ليست هذه غلطة شنودة ؟ » وأنا بدورى أقول لمن لم يسمعوا بأى نشاط كنسى مصرى فى اثيوبيا : « ليست غلطة باباوات الكنيسة القبطية . ففتشوا الكتب وابحثوا ودققوا ثم احكموا » .

(٢) راجع حـ ٢ من هذا الكتاب ص ٢٧١ - ٢٧٢ ، ٢٨٦ - ٢٨٧ ، ٤٨١ ، ٤٨٣ - ٤٨٤ .

ومن غرائب الأحداث أن فيضان النيل جاء شحيحا فى أواخر القرن الحادى عشر، فى باباوية الأنبا ميخائيل الرابع (البابا الـ ٦٨) . وأشيع أن الاثيوبين وضعوا العراقيل فى مجراه كى لا يفيض المقدار اللازم ! وبالطبع امتلأت القلوب فزعاً من هذه الإشاعة فرأى الخليفة أن خير من يتوسط فى هذا الموضوع هو البابا المرقسى الذى رحب بالاقتراح وسافر لتوه . ولما علم الامبراطور بمهمته أجاب : « إننا لم تضع أية عراقيل عمداً ، ولكن ربما يكون قد وقع فى مجرى النيل بعض الصخور أو الاشجار نتيجة للعواصف » . وأرسل الامبراطور رجاله لتنظيف المجرى ففاص النيل الفيضان المطلوب .. وهنا نجد أن الصلة بين الكنيستين شملت أيضا الاحتياجات المادية وتجاوب الطرفان لها .

ولقد كان للاثيوبين دير خاص بهم فى برية شهيت بناه لهم الآباء الأقباط فى أوائل القرن الثانى عشر حين وجدوا عددهم يتكاثر فى تلك المنطقة . ويجب أن نذكر أن كل الأجانب الذين كانوا يعيشون فى برارينا وفى أديرتنا كان معلموهم من الآباء القبط . ومن الأدلة على وجود الاثيوبين — وغيرهم — أنه عثر على مخطوطين : تنقسم كل صفحة من صفحاتها الى خمسة أعمدة ، يختص كل عامود بلغة مختلفة عن الأخرى ، وإحدى هذه اللغات الحبشية .

ونجد سنة ١١٨٥ أن الأنبا اسحق الذى رسم مطراناً على اثيوبيا تلك السنة قد استصحب معه عدداً من مهرة الصناع والفنانين القبط ، وهؤلاء قد بنوا الكنائس الجديدة ورمموا القديمة .

وفى أواخر القرن الثالث عشر ، وعلى امتداد الرابع عشر ، قامت حركة واسعة النطاق لترجمة الكتب من العربية والحبشية القديمة الى الأمهرية والجفرية (اللتين أصبحتا اكثر اللهجات استعمالاً) . وقد رأس هذه الحركة الروحية الفكرية نيافة المطران (القبط طبعا) . حتى لقد عبر الاثيوبيون عن تقديرهم له بأن لقبوه (الأب تراجوامانا) فكلما تعاون القبط مع إخوتهم فى العصور الأولى على الترجمة من القبطية الى الحبشية القديمة ، هكذا تعاونوا فى هذه الحقيقة على الترجمة من العربية والحبشية القديمة (١) .

والكتب — وإن تكن من أعظم ما قدمته الكنيسة القبطية لأبنائها الأثيوبين — فهناك تقدمات أخرى لا تقل عنها عظمة . فن بين الأعمال المعمارية الضخمة سلسلة من الكنائس شيدت فى حكم الملك لاليبالا ، منحوته فى الصخر والمخطوطات المتبقية من هذا العهد تعرفنا أن الأقباط الذين بنوها (٢) .

---

(١) « ترجمات من العربية الى الأدب الاثيوبى » (بالانجليزية) للدكتور مراد كامل نشره فى مجلة الآثار القبطية ، العدد السابع سنة ١٩٤١ - ص ٦١-٧١ .

(٢) « كنائس لاليبالا الضخمة » (بالانجليزية) — مقال للويس فيند لاى بالانجليزية نشره فى مجلة الآثار القبطية ، العدد التاسع سنة ١٩٤٣ ، ص ٢١-٣٣ ، كنيسة الاسكندرية فى افريقيا للدكتور زاهر رياض ص ٩٨-٩٩ ؛ راجع أيضا « السياسة الفاشية فى اثيوبيا » للمؤلف نفسه ، مقال نشره فى مجلة « نهضة افريقيا » العدد الثالث عشر يناير سنة ١٩٥٩ - ص ٢٤-٢٥ ، وحـ٣ من هذا الكتاب ص ٣٩-٤٠ ، ١٢٤ ، ١٢٦-١٢٧ ، ١٥٠ ، ١٦٤ ، ١٩٠-١٩١ ، ٢١١ ، ٢٧٥-٢٧٩ ، ٢٩٢-٢٩٣ .

وفى منتصف القرن التاسع بعث الانجليز بدعاة التبشير . فى زى ضباط الجيش الى امبراطور اثيوبيا . وهؤلاء أقنعوه بأنهم إنما جاءوا ليدربوا جيشه على أحدث أساليب القتال . فرحب الامبراطور بهذا الأمر . ولكن الأب المطران علم بالروح حقيقة هؤلاء « الضباط » ، فأنذر الامبراطور أولاً ثم دارت المكاتبات بينه و بين الأنبا بطرس الجاولى (البابا الـ ١٠٩) . فرأى هذا الراعى الساهر أن الوضع أخطر من أن ينتهى بالمكاتبات ، فاستقدم القمص داود الأنطونى وزميلاً له فى الرهبنة هو القمص برسوم وأوفدهما الى اثيوبيا حيث قضى سنتين (ما بين سنة ١٨٥٢ — سنة ١٨٥٤) . وأنجحت النعمة اللاهية مسعاهما الى حد أن الامبراطور طرد هؤلاء الضباط من بلاده (١) .

ويجب أن نذكر أن البابا الوقور كيرلس الخامس قد شمل الشعب الاثيوبى بالرعاية التعليمية . فقد أرسل سنة ١٨٩٨ خطاباً الى كل من نيافة الأنبا متاوس والامبراطور منليك يوصيهما على شاب قبطى اسمه جرانت عصفور . فما إن وصل الخطابات حتى استدعيا الشاب المذكور واستفهما منه عما يطلبه . أجاب بأنه يرغب فى افتتاح مدارس للتعليم الابتدائى يتولى التدريس فيها شبان قبط ليضمن أرثوذكسية التعليم الدينى فيها فراقت الفكرة لصاحب النيافة ولصاحب العرش الذى أرسل رده الى البابا الوقور بموافقته (٢) .

أما الأنبا يؤنس الـ ١٩ فقد زار الاثيوبين زيارة راعوية . كذلك قدم لهم كل ما يمكنه من عنده ومن شعبه حينما عانوا مرارة الحكم الإيطالى كما ورد فى الفصل السابق لهذا مباشرة .

... بعد هذا الملخص الموجز الذى تحتم سرده إنصافاً لما بذله آباؤنا من جهود فى سبيل الاثيوبين نعود لنتابع مجرى الحوادث فى عهد الأنبا مكاريوس الثالث .

فلقد بين لنا أن المنياوى و بعضا من رجال المجلس الملى يعاونهم القمص ابراهيم لوقا قد تكتلوا معا ليفوز المطران الأسيوطى بالسدة المرقسية . **ولئن كانت الحقيقة مريرة إلا أن الولاء للكنيسة يحتم سردها .** وهذه الحقيقية الموجعة هى أنهم كانوا يريدون الاستئثار بالسلطة على كافة المرافق الكنسية وهيهات لعابد السلطة أن يراعى حرمة للحق . لذلك فإن القمص ابراهيم لوقا اتفق مع بعض أنصاره أن يروجوا إشاعات مؤداها أن أنبا كيرلس غير كفء للقيام بأعباء الرعاية لشعب كبير كالشعب الاثيوبى ! (٣) وليس ذلك فقط بل لقد أرسل بعض مريديه الى

---

(١) جـ ٤ من هذا الكتاب ص ٣٤ ، ٤٦ - ٤٧ ، ٨١ ، ٢٨٠ - ٢٨٤ و ٣٢٨ - ٣٣٠ ، راجع أيضا مجلة مدارس الأحد — العدد العاشر للسنة الثالثة — ديسمبر سنة ١٩٤٩ . وهذا العدد بأكمله عن اثيوبيا وجميع مقالاته كتبها قبط ممن عاشوا فى اثيوبيا أو زاروها . ومن أبدع ما جاء فى العدد مقالان : أولهما للمؤرخ كامل صالح نخلة بعنوان : « هكذا أحب الباباوات اثيوبيا » ص ١١ - ١٢ وثانيهما للعلامة مراد كامل بعنوان : « هكذا أحبت اثيوبيا الباباوات الاسكندرية » ص ١٣ - ١٥ . ومرة أخرى : من له أذنان للسمع فليسمع .

(٢) انظر ف ١٦ من سيرة الأنبا يؤنس الـ ١٩ .

(٣) ستأتى التفاصيل الخاصة بهذا العملاق الروحى عند سرد سيرته .

اثيوبيا للغرض عينه . وكان قد جال فى أذهان بعض رجال المجلس الملى أن يؤسسوا جمعية مصرية — اثيوبية . ولكن مع الأسف وقفت هذه الفكرة عند حد طبع السجلات الخاصة والكليشيهات اللازمة نتيجة لتلاعب القمص.ابراهيم لوقا . بل لقد أدى هذا التلاعب الى نتيجة مؤسفة أخرى هى أن الأمير ماكونن (الابن الأصغر للامبراطور هيلاسلاسى) فكر فى الزواج من ايفا البنت الثانية لحبيب المصرى . ولكنه عدل عن تنفيذ فكرته وقرر الزواج من اثيوبية إذ لم ترقه تصرفات وكيل البطريركية !

وفى يونيو سنة ١٩٤٤ أوفد الأنبا مكاريوس وفداً برياسة الأنبا تيموثيئوس لمقابلة هيلاسلاسى والتفاهم معه على رغبات شعبه وإمكانية تنفيذها . وقبل أن يغادر الوفد أديس أبابا فى طريق العودة إلتقى رئيسه بنيافة الأنبا كيرلس الذى حمل شريكه فى الخدمة الرسولية خطاباً سرياً لقداسة البابا أطلعه فيه على الوقائع التى يعيشها الاثيوبيون .

وعاد الوفد الى الوطن . ورفع نيافة الأنبا تيموثيئوس تقريره مشفوعاً بخطاب الأنبا كيرلس الى البابا الجليل .

ولما كان ابراهيم لوقا وكيلا للبطريركية فقد تمكن من الاطلاع على هذا الخطاب الذى كان يجب أن لا يطلع عليه غير صاحب القداسة وحده . فاستغل الوكيل منصبه بأن أعطى الخطاب للمنياوى . وهذا بدوره نشره على صفحات الجرائد ! وفى الحال قامت أزمة خطيرة بين الكنيستين ، بل بين البلدين أيضا لأن الخطاب كان يتضمن أسراراً عن العلاقات بين الأسرة المالكة والكنيسة من جهة ، وبينها و بين الشعب من الجهة الأخرى .

ولقد ضاعفت هذه الأزمة من أوجاع الأنبا مكاريوس كما ضاعفت من اختلال الأمور . فلما فاض الكيل بالبابا الجليل استهل عام ١٩٤٥ بإقالة القمص ابراهيم لوقا وتعيين القمص مرقس سرجيوس بدلاً منه .

وفى ٢١ مايو سنة ١٩٤٥ — بعد خمسة شهور من عودة البابا الوقور الى مقر رياسته — دعا المجمع المقدس الى الانعقاد وتناقش مع أعضائه فى المطالب الاثيوبية . ثم قرروا بالإجماع رفضها لتعارضها مع قوانين الكنيسة . وأرسلوا قراراتهم الى الحكومة الاثيوبية التى عاودت إلحاحها لاستجابة طلباتها . ولكن الموضوع ظل معلقا الى أن آلت الباباوية الى الأنبا يوساب الثانى .

٦٩ — وعلى الرغم من الضيق ومرارة النفس ، ومع قصر مدة باباوية الأنبا مكاريوس ، فقد تمت خلالها زيارتان لهما أهميتها التاريخية . وقد كانت الزيارة الأولى مساء يوم الأثنين ٢٠ أبريل سنة ١٩٤٥ — وهى زيارة الملك فاروق للدار الباباوية ، ليفتتح أسبوع النشاط المدرسى

الذى أقامته مدرسة الأقباط الكبرى (١) . فاستقبله قداسة البابا يحيط به عدد من مطارنته . وكان لقاء حاراً تعانق فيه الأنبا مكاريوس ومليك البلاد فى مودة واضحة . كذلك تجمع حول الآباء عدد من كبار رجال القبط وأعضاء المجلس الملى . وبعد تبادل التحيات ، استراح الجميع فى السرادق الفخم الذى أقيم خصيصاً لهذه المناسبة . ثم قام البابا ومعه الملك فتفقدا المعروضات المختلفة على مدى ساعة من الزمن . وفى أول مايو قصد الأنبا مكاريوس بصحبه عدد من المطارنة الى قصر عابدين وقدموا شكرهم للملك .

أما الزيارة الثانية فكانت من غبطة بطريرك روسيا . فقد وصل الحبر الكبير الى القاهرة صباح الأربعاء ٦ يونيو سنة ١٩٤٥ . وأوفد الأنبا مكاريوس بعض المطارنة لاستقباله على المحطة . وبعد الظهر من اليوم عينه ذهب قداسة البابا بنفسه يصحبه خمسة من المطارنة لزيارة الضيف الكبير فى كنيسة الروم الأرثوذكس بالحمزاوى (قرب الموسكى) . ثم رد البطريرك الروسى هذه الزيارة فى الساعة العاشرة من صباح الجمعة ٨ يونيو. وقد خف للقائه الكهنة والشمامسة بثيابهم البيضاء ، فوقفوا فى صفين من بوابة فناء الكاتدرائية الى بابها . أما المطارنة فوقفوا عند مدخل الكاتدرائية . بينما جلس البابا الجليل على أريكة تحت منبر الكنيسة تتسع لجلوس ثلاثة الى جانبه . وما أن وصل الضيف الى مدخل الكاتدرائية حتى قرعت الأجراس إيذاناً بوصوله . وكان بصحبته اثنا عشر مطراناً روسيا وغبطة بطريرك أنطاكية الأرثوذكسى ومطارنته من الأقليم السورى . فدخل الجميع الى الكنيسة يتقدمهم الكهنة والشمامسة القبط ينشدون الألحان الكنسية المناسبة . وجلس كل فى المكان المعد له وفى تلك المناسبة لم يجلس من العلمانيين الى جانب الآباء المطارنة غير أربعة : اثنين الى جانب كل صف . فمن ناحية جلس توفيق دوس باشا وعزيز مشرقى المحامى ، ومن الناحية الأخرى حبيب المصرى وأيوب صبرى صاحب جريدة الوطنية . وقد رفع صلاة الشكر نيافة الحبر الجليل مطران القدس ، كما كان الأنبا توماس مطران الغربية على رأس الكهنة والشمامسة وهم يرددون المردات الكنسية العذبة وبعدها ترنم — بمفرده بلحن باللغة اليونانية : ترنم بصوته الرنان الحنون تكريما للضيوف (٢) .

فلما انتهت الصلوات صعد الجميع الى الدار البابا وية وجلسوا فى صالونها . وقد جلس عن يمين الضيف الكبير حبيب المصرى وتوفيق دوس ، فالمطارنة ، فرؤساء الأديرة . وقد جلس مقابلهم وزيرا روسيا واثيوبيا المفوضان ، فنيافة مطران القدس ومطران الأقصر . وبعد تبادل الحديث الودى وتناول المرطبات قام الضيوف لينصرفوا . فنزل قداسة البابا وكل من معه ليودعوهم عند البوابة

---

(١) هى التى بناها البابا كيرلس الرابع الى جانب الكاتدرائية المرقسية ثم هدمها المسئولون عن الكنيسة فى أواخر سنة ١٩٨١ .

(٢) والحقيقة أن صوت الأنبا توماس كان يهز القلوب هزاً .

ويعلق أيوب صبرى على هذه الزيارة فى ختام مقاله عنها بقوله : « أما القمص سرجيوس وكيل البطريركية فاليه يرجع الفضل فى إتمام هذه الزيارة الميمونة ، فقد كان الحركة الدائمة والعقلية المفكرة ورسول الخير والسلام والعمل الجدى بين الكنيستين لإنجاح هذه الزيارة بحيث جاءت كما أرادها : مشرفةً للكنيسة القبطية رافعةً رأسها بين أخواتها الكنائس الأخرى » .

٧٠ـ على أنه بالرغم من هاتين الومضتين ظل التوتر والقلق سائدين . بل إن الجفاء أخذ يتزايد منذ أن تولى القمص سرجيوس وكالة البطريركية لأنه جعل من نفسه سياجاً قويا بين قداسة البابا وبين من يهدفون الى الافتئات عليه . وبعمله هذا برهن على ولائه للجالس على كرسى مارمرقس فأدخل شيئا من الطمأنينة على نفسه الجريحة : تلك النفس التى لم تذق غير الوجع والحزن منذ بلوغها البابا وية .

٧١ـ ولم يمضى غير شهرين وخمسة وعشرين يوما على قيام البابا مكاريوس برد الزيارة لبطريرك موسكو حتى استودع قداسته روحه الطاهرة فى يدى الآب السماوى . فوصل الى ميناء السلام بعد أن جاز العواصف والأنواء . وكانت المدة التى قضاها على الكرسى المرقسى سنة وسته شهور وستة وعشرين يوما . وخلال هذه الفترة القصيرة لم يرد أن يرسم أى أسقف ، لأن الندم الذى جرفه على بلوغه الى البابا وية ألهب ضميره فجعله يتراجع عن استعمال سلطانه فى رسامة الأساقفة .

وقد نشرت جريدة « المصرى » فى ١ سبتمبر سنة ١٩٤٥ الخبر التالى :

نعى من البطريركية

بأسف بالغ ينعى مطارنة الكنيسة القبطية وأساقفتها ووكيل المجلس الملى العام وأعضاؤه الى الأمة المصرية خاصة والى الأمم الشرقية عامة رئيسا دينيا عظيما وكبيرا للأحبار جليلا هو صاحب الغبطة والقداسة الأنبا مكاريوس الثالث بابا وبطريرك الكرازة المرقسية والحبشة والنوبة والخمس مدن الغربية .

انتقل الى الأمجاد السموية فى الساعة التاسعة والدقيقة الخامسة عشرة من صباح يوم الجمعة ٢٥ مسرى ١٦٦١ ٣١ اغسطس ١٩٤٥ متمما رسالته الدينية . ولد غبطته بالمحلة الكبرى فى صباح الأحد ١٨ فبراير سنة ١٨٧٢ وانتظم بسلك الرهبنة بدير القديس الأنبا بشوى فى سنة ١٨٨٨ وسيم قسا بيد المثلث الرحمات الأنبا يؤانس سنة ١٨٩٢ وفى سنة ١٨٩٥ استدعاه المتنيح الأنبا كيرلس الخامس وسامه قمصا وعينه سكرتيرا خاصا لغبطته وفى سنة ١٨٩٧ تمت رسامته مطرانا لأسيوط وكان عمره ٢٥ سنة . وبعد أن قضى فى هذه الرتبة ٤٧ سنة مطرانا وقع عليه الاختيار ليكون عظيماً لأحبار الكنيسة القبطية على أثر نياحة المثلث الرحمات الأنبا يؤانس

التاسع عشر واحتفل بتنصيبه بطريركا فى يوم الأحد ٥ أمشير ١٦٦٠ — ١٣ فبراير سنة ١٩٤٤ باسم الأنبا مكاريوس الثالث وهو المائة والرابع عشر فى عداد باباوات الاسكندرية .

وسيحتفل بالصلاة عليه فى الكاتدرائية المرقسية الكبرى في الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم الأحد ٢ سبتمبر سنة ١٩٤٥ .

أسكن الله نفسه البارة مساكن الأبرار وألهم أبناء الكنيستين المصرية .

أما جريدة أخبار اليوم فبعد نشر الخبر عقبت عليه بمايلى :

ومن المصادفات الغريبة ان يموت شيخ الإسلام و بطريرك الأقباط فى النصف الأخير من اغسطس ، وهكذا شاء القدر أن يتعانق الصليب والهلال فى الحياة والموت .

والإنسان حين يدهش لحادث ما يعتبره « من المصادفات » ، ولكن تدبير الله اللا مدرك فيما يتعلق بمصائر الناس ليس فيه « مصادفات » .

٧٢ — كانت الأقصر وإسنا وأسوان تؤلف إيبارشية واحدة فى عهد الأنبا يؤنس الـ ١٩ . فلما شغر كرسيها اختار له الراهب باسيليوس الأنطونى .

وقد ولد هذا الراهب بمدينة المنصورة من أبوين تقيين دعياه شفيق صبرى ، وكان وحيدهما . و يبدو أن اختيارهما للاسم كان إلهاما لأنه كان شفيقا للغاية صبوراً للغاية . ولقد تيتم من أبيه فى سن مبكر، فربته أمه التربية المسيحية الحقة . لذلك اشتغل حالما تخرج من الكلية . وكانت الوظيفة التى انفتحت أمامه فى سكك حديد السودان . ولكن الاضطرار الى كسب القوت لم يخمد النار الملتهبة فى داخله نحو الحياة النسكية . فكان يشتغل نهاراً فى عمله الوظيفى ، أما لياليه فكانت ملكاً له . فكان يقضيها فى قراءة الكتاب المقدس ، وكتابات الآباء ، وفي الصلوات الصادرة عن أعماقه . وهكذا استطاع أن يعيش فى ألفة مع الله على الرغم من التزاماته العالمية .

و بعد اشتغاله بالوظيفة ثمانى سنوات ، وجد أن أمه لديها ما يكفيها للحياة . فاستأذنها وقصد الى الاكليريكية فى بداية العام الدراسى لسنة ١٩٣٢ . وقد قضى ثلاث سنوات فى هذه الدراسة فزادته محبة للكنيسة ورغبة فى التنسك . فدفعته هذه المحبة وهذه الرغبة الى أن يذهب الى القدس عند نهاية العام الدراسى لسنة ١٩٣٥ . وهناك اعترف للأنبا ثيئوفيلس مطرانها الجليل بالرغبة التى طالما اشتاق الى تحقيقها . وأدرك رجل الله صدق هذا الشاب فرهبنه باسم باسيليوس . ومن ثم قصد الى دير أبى الرهبان . وكان سعيه نحو الكمال فى مثابرة وبهجة الى حد أنه لم يبق بالدير غير تسعة شهور . لأن كرسى الأقصر خلا إذ ذاك فزكاه رئيسه واخوته لهذه الكرامة

تزكية إجماعية . وفرح الشعب بهذه الثقة الإجماعية واستصحبوا الراهب باسيليوس الأنطونى الى الدار البابا وية بالقاهرة حيث رسمه الأنبا يؤنس أسقفا باسمه الرهبانى فى ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٣٦ (١) .

وما إن انتهت شعائر الرسامة وطقس التسليم (٢) ، حتى بدأ الأسقف الجديد عمله فقد كان صورة حية لشخصية مطران قديس أدرك فى عمق الكرامة التى أخذها من الله ، وأحب فى نقاوة قلب إيبارشيته التى ائتمن على رعايتها . ولما كان مسئولا عن ثلاث محافظات فقد كانت هذه الإيبارشية مترامية الأطراف . فبدأ عمله بزيارة راعوية تنقل فيها بين القرى والكفور ثم بين المدن ، وعمل مسحاً شاملاً لسكانها . وعلى ضوء هذه الزيارة الراعوية الأولى ، نظم زياراته التالية . ومما يجب ذكره بالاعتزاز أن الأنبا باسيليوس وجه عناية خاصة بالمعوزين والمستورين : فكان يزور الفقراء قبل الأغنياء . فمثلا زار ذات مرة أرملة فقيرة وحيدة إذ لم يكن لها أولاد . فلما دخل الغرفة الحقيرة التى تقطنها قدمت له كرسيا خشبيا منخفضا وجلست هى على الأرض إذ كان الكرسى الذى قدمته للأسقف هو الكرسى الوحيد لديها . وجلس عليه فى صبر ودعة يصغى الى كل ما تريد أن تقوله . فما انتهت ، ووقف ليعطيها البركة ، أعطته خمسة قروش وهى تعتذر فى خجل . فشكرها وأخذها منها . ولما انصرف رفعت الكرسى الذى كان جالساً عليه فوجدت أنه ترك لها تحته خمسة جنيهات (٣) .

ودأب على الجهاد من أجل شعبه حتى حين كان يحضر الى القاهرة لحضور المجمع المقدس أو للسؤال عن والدته المكرمة . فكانت بعض المجلات القبطية تنشر أخبار جهاده من حين الى حين كما يتضح لنا من الخبر التالى :

ذكرنا فى العدد الماضى كلمة موجزة عن المجهودات القيمة التى يبذلها حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا باسيليوس أسقف كرسى الأقصر وإسنا وأسوان لنشر الوعظ ومدارس الأحد والمكاتب القبطية فى جميع بلاد وقرى الأبروشية .

وقد كان نيافته أخيراً بالقاهرة وتكلم فى بعض الكنائس عن حاجة الأبروشيه الى

---

(١) يقول القمص تاوضروس السريانى إن الرسامة تمت فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٣٦ ، وسواء كانت فى سبتمبر أو فى أكتوبر ، فقد نال الكرامة الأسقفية فى الربع الأخير من سنة ١٩٣٦ .

(٢) لما كانت الرسامة تتم فى الكاتدرائية المرقسية فى العاصمة ، فإن التقليد يقضى بأن يستصحب الأسقف الجديد أسقف (أو أكثر) منتدباً من قداسة البابا ، الى مقر الكرسى الجديد . ويحمل المندوب البابوى المخطوط المسجل فيه طقس الرسامة . وعندما يصلون الى الكنيسة الرئيسية التى ستصبح مقراً للأسقف الجديد ، يسلمونه مفتاحها فيفتحها ، و يدخلها فى موكب بينما الكل يرددون الألحان الخاصة بهذه المناسبة . ثم يرفعون صلاة الشكر ، يقرأ بعدها الأسقف المرافق طقس الرسامة ، و يستكملون هذه التلاوة بالشعائر الكنسية التى رتبها الآباء .

(٣) من نعمة الله علىّ أننى كنت أعرف الأنبا باسيليوس شخصيا . وقد روى لى قصة الأرملة المذكورة طباخنا القبطى الأقصرى الذى كانت عائلته تعيش فى قرية الرزيقات .

تعضيد الشعب القبطي حتى تتمكن من أداء رسالتها على الوجه المطلوب فتقدم الكثيرون ــ تدفعهم الغيرة على بناء أسوار أورشليم المنهدمة ــ باشتراكاتهم وعطاياهم . والأمل وطيد فى أن يستمر حضراتهم على هذا التشجيع وأن يحثوا الآخرين أيضا للاشتراك فى هذا العمل الطائفى الجليل .

وبعد أن وزعت الخدمة بين جمعية نهضة الشبيبة القبطية الأرثوذكسية وجمعية جنود المسيح القبطية الأرثوذكسية كما أوضحنا أصبحت تقوم كل منها الآن بالخدمة بنشاط وغيرة .

وقد أهتمت جمعية النهضة بتنظيم مكتبتها وجلبت لها أغلب أنواع الكتب والصور الدينية حتى أصبح الآن من الميسور لكل مسيحى فى الأقصر والبلاد المجاورة أن يحصل على ما يلزمه من هذه المطبوعات بأقل الأسعار . فنرجو لها كل تقدم فى خدمتها الجليلة (١) .

وسبحان الله فى حكمته اللا مدركه : فهذا الأسقف الذي منحه الآب السماوى أن يجمع بين التخشع الباطنى والعمل الدائب ، لم يعطيه غير ما يقرب من إحدى عشرة سنة ليرعى هذا الشعب الجائع العطشان . فبعد أن ابتهج هو وشعبه بعيد القيامة المجيد سنة ١٩٤٧ بخمسة شهور ، اضطر الى دخول مستشفى نجع حمادى العام حيث وجد الأطباء أن مصرانه الأعور ملتهبا إلتهابا حاداً مما أضطرهم الى الانتظار وإجراء ما يمكنهم لإزالة هذا الإلتهاب قبل إجراء العملية له . ولكن الآب السماوى ــ فى شامل رأفته ــ نقله الى مساكن الأبرار خلال فترة الانتظار . فطارت روحه الى الفردوس فى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٤٧ . فصح عليه رثاء النبى : « غربت شمسه اذ بعد نهار » (٢) .

كاد يصرعنا بقدرما روعنا ، نبأ انتقال السيد الجليل ، والحبر التقى النبيل ، الطيب الذكر والخالد الأثر ، مثلث الرحمات ، نيافة المتنيح الأنبا باسيليوس مطران كرسى الأقصر وإسنا وأسوان . على إثر عمليه جراحية ، صعدت بعدها روحه الطاهرة الى الرفيق الأعلى والأسمى لتستريح إلى يوم الجزاء ، عن حياة وكفاح ونضال وصراع ، ظل الى يوم أن رقد ، رجل بر وفضل وكمال . فكان نصره فى كل ذلك نصراً علماً مبيناً .

فأن نعيناه أو بكيناه ، فانما ننعى فيه شخصيته الهادئة الوديعة الممتلئة سماحة ودعة ، المتجملة بالبساطة والرقة والعذوبة المسيحية الخالصة . مثل راقٍ فيما ينبغى أن يكون عليه الراعى الصالح فى تواضعه الكريم وأدبه الجم الوفير .

---

(١) رسالة المحبة ــ العدد الرابع للسنة الخامسة ــ أبريل سنة ١٩٣٩ ص ٣٠٥-٣٠٦ . ويؤسفنى أننى لم أعثر على « العدد السابق » .

(٢) قال أرميا النبى هذه الجملة فى توجعه على أورشليم ، وقد أوردها فى ١٥ : ٩ .

مفخرة لكليتنا الاكليريكية . عقلية متزنة . روحانية متقدة . غير ملتهبة . قناعة وزهادة فى الطعام والشراب واللباس . اقتدار على الوعظ والتعليم بلهجة روحية فعالة مؤثرة . لن ننسى له مرة يوم خطب فى إحدى كنائس القاهرة داعيا الشعب لتأييده فى مشروعاته الاصلاحية . فقد كان حديثه حماسة وقوة انطلقت من قلبه قبل لسانه ، فكانت دعوة حارة استجابت لها دموع السامعين ، وكانت سخينة فصهرت القلوب وأذابت تحجرها . فانسابت الأيدى فى سخاء عظيم . ولم يكن أحد يحس فى كل ذلك أنه قد عمل الا أقل ما يجب عليه لتشجيع هذا الراعى الصالح النشيط ...

سلام عليك ياسيدنا فى دار الحق والخلود . فلتسترح ولتنتظر يوم يأتى راعى الرعاة الأعظم فيتوجك بأكليل المجد الذى لا يبلى (١) .

ولما كان من خريجى الأكليريكية ومن المقترمين بها كتب ـ تلبية لطلب حبيب جرجس ـ الرسالة التالية :

يسرنى جداً أن أعلن أن المدرسة الاكليريكية ، أصبحت مبعث الانتعاش الروحى والنهوض ، فى عصر أصاب الحياة الدينية فيه فتور وركود . وعشمى أن تظل المدرسة باذن ربنا يسوع المسيح ، وبادارة حضرة الاستاذ القدير والمضحى الغيور والمدير الجليل حبيب بك جرجس ، سائرة فى طريق الرقى حتى تتحقق الآمال بأحياء مجد اجدادنا الذين رووا الأرثوذكسية بدمائهم ، وفدوا الأيمان بأرواحهم ومهجهم .

قبل أن تختارنى نعمة الله اسقفاً ، قضيت بالمدرسة الاكليريكية ثلاثة أعوام ، طالباً لمست خلالها جهود الاستاذ المدير الجبارة ، وحملاته الموفقة للنهوض بهذه المدرسة حتى تصبح للطائفة العزيزة نوراً وللأرثوذكسية المصرية قوة وحياة ، والاكليروس الرشيد منهلاً وينبوعاً ، تخرّج خدام الكلمة الأمناء ، ورجال القيادة الروحية الأقوياء ، ومادام عنوان الاكليريكية مديرها الأستاذ حبيب بك جرجس ، علم التضحية ورمز الوفاء ، ومادامت المدرسة ، تستمد قوتها من رب الكرمة إله السماء .

ومادامت الاكليريكية تتمتع بتشجيع حضرات أصحاب النيافة المطارنة الأتقياء تحت رعاية حضرة صاحب الغبطة سيدى البابا المعظم الأنبا يؤانس فستظل فى نماء سائرة الى الأمام غير ناظرة الى الوراء حتى يحقق جميع ما يعلق عليها من وطيد الأمل وحسن الرجاء .

هذا وإنى أرى لزاماً علينا أن نشدد فى تنفيذ ما يأتى بقوة الله ومساعدة سيدى غبطة البابا المعظم تعضيداً للمدرسة .

---

(١) مجلة مدارس الأحد ـ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ـ ص ٢٧ ـ ٢٨ .

١ ـــ قصر سيامة الكهنة أينما وجدوا على خريجى المدرسة .

٢ ـــ إعطاء الفكرة الحسنة الصحيحة عن الاكليريكية بحالتها الراهنة لأراخنة الشعب بأبروشياتنا المختلفة .

٣ـــ التضافر لأيجاد العمل لكل خريجيها ، لنشر كلمة الله بين الربوع وسط الشعب الجالس فى الظلمة وظلال الموت ، لتعليم أخص عقائد الكنيسة الأرثوذكسية وطقوسها وحقائق الكتب المقدسة وكلامها .

٤ ـــ الاتصال بالمدرسة الاكليريكية بانتظام بالزيارة والمراسلات ونشر جميع مؤلفات مديرها . ودروس مدارس الأحد الخاصة بها ، والوقوف بستمرار على أخبارها وأحوالها .

٥ ـــ عقد مجلس يحضره جميع الآباء الروحيين وحضرة مدير المدرسة سنوياً للنظر فى أمورها ومطارحة البحث فيما يعود عليها بالخير العميم والنجاح القوم .

ختاماً أطلب من الرب يسوع أن يوفق الجميع لخدمة كنيسته المجيدة وأن يشملنا بنعمته ولعظمته الشكر دائما ،

١٩٣٨/١١/١١

باسيليوس (١)
أسقف الاقصر واسنا
انبا باسيليوس (الأقصرى)

عبير القديسين

ملابسه من الخيش

كم افتقد ابتسامتك الحلوة المشرقة ، والنور الذى يشع من عينيك الصافيتين .

كم تشتاق أذنى الى سماع دعواتك الصالحة « ربنا معك .. الله يحافظ عليك .. ربنا يحميك من كل شر » لم يكن فك الطاهر يعرف الا كلمات الدعاء ..

كما يهزنى الحنين الى سماع « آجيوس » المنغمة ذات الثلاثة مقاطع التى اشتهرت بها فى خدمتك للقداس الألهى .. فكنت تهز أعماق النفوس لتنحنى الرؤوس أمام الله القدوس ..

فى رحاب الرب يسوع ياسيدى الأنبا باسيليوس .

(١) كتاب حبيب جرجس ص ١٨٨ - ١٨٩ .

الحديقة التى تطل على نيلنا الخالد فى أقصى الصعيد ، صفت فيها المناضد وزينت بالورود وتدلت الثريات فى الوانها الزاهية تضيف الى المكان جمالا فوق جماله تندس وسط فروع الأشجار و يتناثر ضوؤها متعدد الالوان هنا وهناك .

والمدعون يتوافدون من علية القوم وصفوة المثقفين فقد كان هذا فرح أبنة المدير وسوف يرأس صلوات الاكليل نيافة الأسقف باسيليوس بمهابته الملائكية وصوته الرخيم .

وانبعث فى المكان صوت الدفوف على لحن السلام الرائع تحية للاسقف الذى وصل تحيطه القدسية و يضىء وجهه بابتسامة القديسين ، وتليت الرسائل والنصائح على مسامع العروسين ، ورفرفت الألحان الكنسية الرائعة فوق الرءوس وملء الاسماع . ولبس العروسان التاجين وتقارب رأساهما فى حنان بالغ يضمهما السر المقدس ، وهلل الجميع وهنأوا السعيدين ، وحينئذ وقف الأنبا باسيليوس مودعا ومباركا ومشى فى الطريق المؤدى الى خارج الحديقة .

.. أسرع السيد المدير وكبار الاصدقاء وراء الاسقف يرجونه أن يبارك مائدة الطعام بالعشاء معهم فقد أعد له خصيصاً ما إذ طلب والكل يتوقعون ترحيبه بالاشتراك معهم . وقد كانت كرامة كبار القوم آنذاك تأبى عليهم الا أن يشاركهم الأسقف الكبير طعامهم و يبارك منزلهم حيث تذبح الذبائح وتصف الخراف المشوية و يكثر الشراب ثم يلقى بالعملة الفضية على الفقراء المتجمعين حول المكان ينتظرون مثل هذه المناسبات . لكن القديس أعتذر برقته المألوفة وسار فى طريقه يحيطه صفوة من الخدام الدينين فى التربية الكنسية حتى اذا وصل الى عربته أشار الى الخادم الذى كان يحبه وقال « يا ابنى لوبقيت معهم لاحرجتهم جميعا واعتديت على حريتهم فى المرح واللهو فى هذه المناسبة ، وأود أن اتركهم على سجيتهم دون أن يضطروا الى تمثيل الورع والتقوى فى حضرتى .. دعهم دون قيود أو تكلف .. أما أنا فأفضل دائما الخبز والزيتون فى عشائى .. سلام لكم جميعاً »

وركب القديس عربته تودعه خفقات القلوب ..

أيام الصوم الكبير بروحانياتها وعظاتها ولياليها التى تقضى فى الصلوات والابتهالات ، و يدعو نيافته كاهن الكنيسة الكبرى ورفيق مسيرته و ينبئه باعتزامه افتقاد كل القرى المجاورة فى شرق النيل وغربه .

و يتحرك الركب فى الصباح الباكر الى شاطىء النيل حيث المركب الشراعية المتواضعة تقلهم الى الغرب فهناك قرى منتشرة على الشاطىء أهملها السلف حتى أصبح مسيحوها لا يعرفون عن مسيحيتهم شيئا . وإذا علمت لمن هذا كان منذ ثلاثين عاما لتصورت أن المدفع والجهل المطبق الذى كان به الفلاح المصرى فى أقصى الحب ناهيك عن الجوع الروحى لعدم الافتقاد .

وصمم القديس أن يزور الأكواخ والاطواف (جمع طوف بلغة الصعيد وهو ساتر من الطين يختبىء وراءه الفلاح وأسرته وماشيته ان وجدت) .

.. دخل الى أحد الأكواخ ولم يجد فيه حتى الحصير فأحضر له أحد مرافقيه حجرا ليجلس عليه وجاءت المرأة المسكينة ترتجف من مهابة الموقف فابتسم لهم وربت على رأسها و باركها و بارك أولادها أشباه العراه وتهدج صوته فى شفقة أبو ية ورفع عينيه نحو السماء وظل صامتا بعض الوقت .

فى هذه الاثناء وصل الى المكان . من دس فى يد الأسقف مبلغا من المال كهبة للكنيسة وخرج لتوه لا يعلم الحاضرون من أين جاء فهو ليس من سكان هذه القرية ، وملابسه تنم على بعض الثراء ـــ فما كان من القديس الا أن استدار الى المرأة المسكينة وسلمها المبلغ دون أن ينظر اليه وقام لتون و باركها وخرج .

نعى الناعى، فى الابروشية من أقصاها الى أقصاها ، صعود الروح المباركة القدسية الى بارئها سجى الجسد الطاهر فى الهيكل الجانبى بالكنيسة الكبرى ليبيت الى اليوم التالى حتى يقام الاحتفال الرسمى وتتاح الفرصة لأساقفة الابروشيات القريبة للحضور والمشاركة فى صلوات التجنيز .

ـــ امتلأت الكنيسة بالوافدين ، وغصت الحديقة بالباكين ، وازدحمت جميع الطرقات المؤدية الى الكنيسة الكبرى بالمتذكرين المحدثين بفضائل القديس ومعجزاته ، والمترحمين له بالسكن فى رحاب القديسين الذين سبقوا الى السماء وقد انيط بمدرسى مدارس الأحد حراسة الجسد الطاهر بالمناوبة طوال الليل خوفا من الزحام الشديد .

ـــ كان فى المدينة مدرس مبتدىء فى مدارس الأحد اسمه « بطرس » يشكو دائما من جرح صديدى فى رقبته لايكف عن النزيف (لا يعصم ولا يعصر ولا يضمد بالزيت) وقيل له كثير عن خطورة هذا الجرح وخبث طويته ولم يجد فيه العلاج الطبى وظل ينزف بالصديد و بطرس يغير ضماداته من وقت لأخر وهو يصرخ الى الله طالبا للشفاء .

ـــ وفى منتصف الليل ، تسلل بطرس ـــ كأنما تسوقه قوة خفية ـــ الى حيث جسد القديس فى صندوقه الخشبى وقد ألبس حلة الكهنوت الموشاة بالذهب وصبت عليه العطور والحنوط وهو أشبه بالمبتسم فى نومه كما كان يبتسم فى صحوه .

ـــ وأفسح له زملاؤه الطريق الى جسد القديس ، فجثا يبكى و يصلى ثم مد يديه المرتعشتين يلمس بهما وجه القديس ولحيته ثم يعود بهما الى رقبته المربوطة بالضمادات وكرر ذلك

ثلاث مرات ثم وقف يتأمل القديس المحبوب فى رقدته الأخيرة وانتحى ركنا من الهيكل الجانبى وأسند رأسه الى الحاجز الخشبى ونام .

ـــ وفى الفجر الباكر ـــ بدأ يستيقظ وتعود اليه ذكريات البارحة و ينظر حوله ليرى و يتأمل ثم يمد يده بحركة لا ارادية كما اعتاد أن يفعل الى رباط رقبته الذى توقع أن يكون الصديد قد غطاه ولكنه وجد الرباط جافا تماما على غير العادة فوقف سريعا وقد الهمه وازع داخلى أن يتقدم الى أحد زملاء الخدمة و يفك الرباط و يطلب منه أن ينظر الجرح النازف فى رقبته ، فقال له الزميل أن الجرح ملتأم تماما كأنما مضت عليه السنون فى برء تام ولا يوجد أى أثر للصديد فمجد الجميع الله على عنايته بأبنائه ومعجزاته على أيدى قديسيه وتوجهوا واحداً واحداً الى الجسد المسجى يقبلون يده حبا واكراما . وذاع خبر هذا الأمر فى المدينة كلها .

ـــ عندما كان الأباء الكهنة يلبسون الجسد الحلة الكهنوتية و يعيدون تنظيم ملابس القديس بعد نياحته اكتشفوا لأول مرة أن ملابسه الداخلية مصنوعة من الخيش (الشوال) بطريقة بدائية جافة فلما شاع هذا الخبر بين تعجب الناس وتكريمهم للقديس الذى كان يعذب جسده طلباً للتقشف دون أن يدرى بذلك أحد تقدمت أرملة عجوز الى الكاهن تعترف بأنها كانت تحيك للأسقف الراحل ملابسه الداخلية من الخيش الخشن وقد أمرها بالصمت التام حتى يفارق الجسد (١) .

منير غالى بولس

٧٢ حـ ـــ فى مثل هذا الشهر من سنتين مضتا ـــ فى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٤٧ ـــ انتقل الى السماء راع جليل ، له فى قلوبنا مكان أثير ومركز ممتاز ، هو نيافة الأنبا باسيليوس مطران الأقصر .

كنت تبصر وجهه فترى الوداعة حية والمحبة فياضة ، فتشعر نحوه تعاطف وألفة ، و يغمرك هو بحنانه ورعايته ، فإذا بك تحس أبوة صادقة واهتماماً جديا بشخصك وبما تعمل ، وتشجيعاً مخلصا يكون له أطيب الأثر وأقواه لأنه صادر عن شخصية عظيمة المركز جليلة المقام ..... ذهب إليه بعض الشبان يطلبون إليه أن يتفضل بالصلاة من أجل زميل لهم ، فقبل عن طيب خاطر وكان نعم المعزى الذى يجبر القلوب الكسيرة .

تحبه من أول ما يقع بصرك عليه . فإذا حضرت قداساً له ، فهو المصلى صاحب الصوت الحنون الرحيم الذى تخرج من قلبه الصلوات فتؤثر فى كل من يشاركه وترتفع بأذهانهم الى الأعالى : نطق سليم وألفاظ واضحة ونبرات عذبة ، ومهابة وجمال روحانى . ومن أجل هذا أحبه

---

(١) عن جريدة وطنى فى ٢٤ / ١ / ٧١ .

الجميع وتعلقوا به ــ حتى الأطفال كان يجذبهم اليه بلطفه ، فيتحدث إليهم و يعلمهم فى حنان بالغ ومحبة حلوة .

قال لنا أحد مدرسى الأحد إنه كان يعطى الدرس فى فصله ذات يوم عقب الانتهاء من القداس الإلهى . وكان الأنبا باسيليوس هو المصلى فى تلك الكنيسة . فلما وجد المدرس يحدث تلاميذه جلس بينهم يستمع الى الدرس .... نعم جلس نيافة المطران بين الصبية يستمع الى المدرس الشاب حتى نهاية الدرس . وخرج وهو يحادث المدرس مثنيا ومشجعا . لهذا لن ينسى هذا الخادم ذلك التشجيع الذى وهبه اياه فى ذلك اليوم صاحب هذا القلب الكبير ....

وهو ــ الى كل ذلك ــ حازم يعرف جلال الرتب الكهنوتية ..
وهو ــ الى كل ذلك ــ حازم يعرف جلال الرتب الكهنوتية ...
لم يعظ كثيراً ولكنه كان هو عظة حية ... ونحن لا نحاول قط أن نمدحه ــ فما قيمة المديح لرجل انتقل من هذا العالم ؟ إنما نتحدث فى بساطة عن بعض الذكريات العاطرة التى يحفظها الجميع له ....

حدث من أحد الشمامسة ما اضطره لأن يعنفه (أثناء الصلوات) ، حتى إذ قرب وقت التناول دعاه اليه ، وفى تواضع رائع يسمو على الوصف همس فى أذنه « سامحنى » .
وأمسك بالجسد المقدس يقسمه .
هذا هو الأنبا باسيليوس : صورة خالدة للوداعة والقلب المحب اليقظ . مثل راق فيما ينبغى أن يكون عليه الراعى الصالح فى تواضعه الكريم وأدبه الجم الوفير ...

أيها الراعى الكريم ــ إننا نحن أولادك شباب مدارس الأحد نذكر شخصك المحب المحبوب ، ورأفتك وروعة وداعتك . ومع أننا نشعر بعدم استحقاقنا الدعاء لك بالنياح فاننا نذكرك بأن لا تهملنا فى صلواتك وفى تضرعاتك المقبولة أمام الله (١) .

٧٣ ــ ومقابل هذا المطران العجيب الذى لم يزد عمره على عمر الزهور العطرة يقف مطران عاصر أربعة من خلفاء كاروزنا الحبيب ، وهذا المطران هو أنبا بطرس الذى نشأ فى طهطا . فلما بلغ سن الشباب اشتاق الى حياة النسك فذهب الى الدير المحرق حين ترهبن باسمه الأصلى . ثم اختير للخدمة فى اثيوبيا . وعند عودته انضم الى دير السيدة العذراء ــ برموس فتعرف عن قرب بالبابا كيرلس الخامس والتحق بخدمته . وفى سنة ١٩٢٠ قرر البابا الوقور أن يفصل ما بين اخميم وسوهاج و بين جرجا والبلينا : فجعلها ايبارشيتين . ونتيجة لهذا الفصل رسم الراهب بطرس مطرانا على المنطقتين الأوليتين فى ٥ نوفبر من تلك السنة . وكان مقداماً جرئيا

(١) مجلة مدارس الأحد ، توت سنة ١٦٦٦ - أكتوبر سنة ١٩٤٩ - ص ١٧ - ١٩ .

نجح فى المحافظة على شعبه تماماً . ومع جرأته عرف أن يكتسب صداقة ولاة الأمور وصداقة الشعب المسلم العائش ضمن إيبارشيته . فأحبه الجميع وأكرموه فى مختلف المناسبات . كذلك انشغل ببناء الكنائس الجديدة وترميم القديمة . وكان يقوم بز يارات راعوية منتظمة كى يعرف أحوال أبنائه أولاً بأول . وكان مضيافا سخيا فتح باب مطرانيته لكل غاد ورائح .

وقد كتب أحد أبنائه مقالاً عنه اعترافاً بجهوده البناءة قال فيها :

تربع الحبر الجليل الانبا بطرس على كرسى ايبارشية اخميم وسوهاج منذ أكثر من خمس وعشر ين سنة . والشعب الأرثوذكسى لا يعرف عن نيافته الا الحزم والجهاد والاصلاح

بدأ نيافته خدمة شعبه فأصلح كنيسة الشهيد العظيم أبى سيفين باخميم . ثم أنشأ جمعية الأقباط الأرثوذكس باخميم فكانت أولى الجمعيات فى نهضتها و بفضل رعايته ساهمت بنصيب وافر فى اعانة أكثر من خمس وعشر ين عائلة فقيرة . ولم يكد ينتهى بعد من مشروعاته الأصلاحية حتى بدت مشكلة بناء سور جبانة الأقباط الأرثوذكس باخميم فكان فيها نيافته مثالا أعلا فى الحزم والحكمة . و بعد جهاد طو يل استغرق أكثر من ستة عشرة سنة إنتهى الأمر بسلام . والشعب بمدينة اخميم يذكر لنيافته جهاده من أجله . وفى عشر ين يناير ذهب إلى مدينة الرويهب تبع مركز المنشاة وقضى هناك ثلاثة أيام وضع خلالها تصميما لبناء كنيسة ومدرسة رغم أن صحته لا تسمح له بالجهاد .

هذا كان فى ٢ مارس سنة ١٩٤٧ ، واصل بعده جهاده إذ أنه فى تمام الساعة ٩ صباحاً من يوم السبت ٨ مارس الجارى شرّف مدينة اخميم مطران الايبارشية وما أن سرى نبأ قدومه بالمدينة حتى هرع إلى دار المطرانية لفيف كبير من الشعب وكبار أعيان مدينة اخميم من إخواننا المسلمين لتهنئة قدومه بالسلامة من القاهرة . وظلت غرفة الاستقبال زاخرة بزوار المهنئين حتى ساعة متأخرة من الليل .

وفى الصباح الباكر توجه نيافته إلى كنيسة الشهيد العظيم أبى سيفين وسط لفيف كبير من الشعب تتقدمهم فرقة الشمامسة حيث أقام نيافته قداساً حبر ياً شهده جمع غفير من الشعب حتى أن الكنيسة على اتساعها ضاقت بجمهور الحاضر ين . وفى أثناء القداس رفع نيافته درجة حضرتى القس يعقوب تادرس والقس شنوده اسحق إلى درجة قمص .

كما قام برسامة عدد كبير من الشمامسة لكنيسة السيدة العذراء باخميم . و بعد انتهاء القداس هتف الشعب بحماسة بالغة أقصاها بحياة نيافته . حتى هم بالانصراف وخرج يتقدم

شعبه الغفير حتى وصل إلى دار المطرانية . وظلت هذه زاخرة بالقادمين حتى غادر المدينة فى تمام الساعة الخامسة والنصف وودع كما استقبل بالحفاوة والاجلال (١) .

ولم يعترف بفضله أولاد إيبارشيته فقط بل كتب عنه غيرهم أيضا . ومن الذين عرفوه عن قرب ودفعتهم محبتهم للكنيسة وتقديرهم لآبائها أن يكتبوا عنه القس مرقس شنودة . فقد كان هذا الكاهن خادماً لكنيسة مارمرقس بطهطا وكان نشيطا غيوراً لم يكتف بالعمل داخل حدود كنيسته الخاصة بل امتد بتطلعه نحو الكنيسة الأم فى عموميتها . وعلى ذلك أصدر مجلة شهرية باسم رسالة الكنيسة المرقسية الأرثوذكسية ، كتب فى عدد نوفمبر سنة ١٩٥٠ منها على ص ٩٧ــ ٩٩ المقال التالى :

« جولة فى أنحاء الكنيسة الأرثوذكسية »

كان لابد لى من أن أزور مدينة سوهاج بعد زيارتى لأبوتيج ، إذ أنها مركز الايبارشية الملاصق لايبارشيتنا من الناحية القبلية .

تشرفت بزيارة حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا بطرس مطران كرسى اخميم وسوهاج . فلقيت من نيافته كل عطف وتشجيع للرسالة وقضيت وقتاً مباركا فى حضرة نيافته تحدث التى فيه عن المشروعات العظيمة التى يقوم بها وهى بناء كاتدرائية تحمل اسم الشهيد العظيم مارجرجس فى الجهة البحرية من مدينة سوهاج على أرض واسعة تبلغ نحو الفدان والثلث . وكذا بناء مطرانية فخمة بجوار الكاتدرائية يليق بهذه المدينة الكبيرة ، وسيتفضل نيافته بوضع الحجر الأساسى لهذين المشروعين فى خلال الأيام القليلة القادمة و يعاون نيافته شعبه الكريم وصفوه من الرجال المخلصين المتوقدين حماسة لبناء بيت الله .

وأملنا عظيم فى أبناء الكنيسة المباركين بسوهاج وغيرها أن يهبّوا كرجل واحد لجمع التبرعات لهذه المشروعات الضخمة .

وقد سرنى وجود جمعيات قبطية نشيطة بسوهاج دائبة العمل فى ميادين الخير والعلم والدين ــ نكتفى الآن بذكر أسمائها . الجمعية الخيرية.جمعية السلام . جمعية الإخلاص . جمعية الشبان والطلبة . جمعية جنود المسيح . جمعية السيدات . ولكل جمعية من هذه الجمعيات نشاطها . وأرجو لها جميعاً كل خير وتوفيق ونجاح فى تأدية رسالتها القائمة بها .

وفى المدينة كنيسة فخمة على اسم السيدة العذراء . وقد علمت أنها شيدت فى عهد

---

(١) جريدة الأنوار عددا ٢ و١٦ مارس سنة ١٩٤٧ .

المثلث الرحمات الأنبا متاووس وأعيد تجديدها فى عهد نيافة الأنبا بطرس المطران الحالى أدام الله حياته الغالية . وإلى جوارها مطرانية فخمة هى التى شيدها نيافة الأنبا بطرس .

يتناوب الخدمة بالمدينة كاهنان هما جناب الآب القمص اسحق والآب القمص مرقس . و يقوم بالوعظ واعظ اكلير يكى نشيط وقد علمت أنه يزور أفراد الشعب ز يارات منتظمة ودور ية مما جعل الإقبال على الاجتماعات الليلية عظيماً .

وعلى بعد ٦ كيلو من سوهاج يوجد دير أثرى قبطى عظيم قديم العهد باسم القديس الأنبا شنودة رئيس المتوحدين شيد فى القرن الرابع المسيحى ، و بداخله كنيسة أثر ية . ولهذا الدير مولد سنوى يزدحم بالوافدين اليه من جميع أطراف البلاد لتقديم النذور الى كنيسته للتبرك . وكذا على بعد ٣ كيلومتر من دير الأنبا شنودة يوجد دير آخر باسم الأنبا ابشوى (الدير الأحمر) به قصر للملكه هيلانه وكنيسة ضيقة بها نقوش جميلة للغاية وبها صورة جميلة للآب البطر يرك الأنبا ثوفيلس (البابا الـ ٢٣) . والطر يق بين الدير ين غير ممهد و يصعب ز يارة الدير الاحمر إلا بمشقة عظيمة .

٧٤ــ من أمجاد كنيستنا القبطية أن عدداً من عمالقة الايمان فيها كانوا من الفقراء الذين لا يعطيهم العالم أى اعتبار. ألم يكن أنبانوس الذى رسمه كاروزنا العظيم ليخلفه فى رعاية الشعب إسكافيا ؟

ومن هؤلاء الفقراء فى العالم الأغنياء بمحبة الله راغب ساو يرس الذى نال كرامة الأرشيدياكونية فكان رئيساً لشمامسة جمعية أبناء الرسل بالقاهرة . وحياته جديرة بالتأمل لأنها تنفخ فيمن يتأملها روح العزيمة والإيقان بأن الإنسان مهما كان ضعيفاً فقوة الله تكمل فيه . بل إن العجب العجاب أنه كلما زاد الضعف الإنسانى تضاعفت القوة الالهية فيه ! فيسطع أمامنا قول بولس الرسول : « ولكن لنا هذا الكنز فى أوان خز فية ليكون فضل القوة لله لا منا » (١) .

ولد راغب من أبو ين متواضعين ، ولكنهما ممتلئان نعمة ومحبة . وكان ميلاده فى ١٥ أغسطس سنة ١٩٠٢ ــ أى فى منتصف صوم السيدة العذراء . و يبدو أن أم النور أعانته فامتلأت نفسه من ذلك النور الحقيقى الذى تجسد منها . وهذه النعمة صاحبها عجز جسمى ! فقد ولد وساقه اليمنى أقصر من ساقه اليسرى ، وأقل قدرة على الحركة ، مما اضطره منذ البداية الى أن يتوكأ على عكاز ين طو يلين يرتكن كل إبط من إبطيه على واحد منها وكانت نشأته فى مصر القديمة ــ فى الحى المعروف باسم دير أبى سيفين . وهكذا فتح عينيه على نور هذا العالم ليرى حوله قباب الكنائس يعلوها الصليب .

---

(١) ٢ كورنثوس ٤ : ٧ .

وكان الولد الوحيد بين عدة أخوات ، فكان يلازم أباه ، و يذهب معه الى الكنيسة والى الاجتماعات فيها . وكثيراً ما قال له أبوه فى سيرهما معاً عن مدى شوقه الى رؤ يته خادماً للفادى الحبيب عاملاً فى كرمه .

ولما بلغ الثامنة من عمره قدمه أبوه الى القمص ميخائيل فانوس ـــ راعى كنيسة الأنبا شنودة رئيس المتوحدين ـــ والى المعلم حنا مرتلها ليتوليا أمر تربيته الكنسيه . وقد أخلص الإثنان فى تعليمه وفى توجيهه . وأما راغب فكان ينصت اليهما بكليته ويحفظ كل ما يقولانه له بابتسامة لطيفة ، ونظرات ملؤها التواضع والبراءة .

على أن والديه لم يكتفيا بهذا بل أرادا إدخاله مدرسة العرفاء بالمهمشة وكان المعلم تادرس يسى ـــ مرتل كنيسة مارمينا بفم الخليج ـــ من أقاربهما ، فتوسط لراغب وقبلت وساطته . وهكذا التحق بالمدرسة طوعاً لوالديه رغم المشقة التى يتكبدها فى الذهاب والإياب . وما إن بدأ الدراسة حتى صار موضع تقدير العرفاء الملقنين والأساتذة الشارحين . وفوق هذا فقد جعل من نفسه العين لزملائه المكفوفين إذ كان يقضى لهم كل حوائجهم . فيتنقل على عكازيه الضرور يتين بجسمه النحيل مسافات طو يلة ، عطفاً منه عليهم ، وحناناً على احتياجهم . وقد قضى بهذه المدرسة أربع سنوات ، وتخرج منها سنة ١٩١٩ . وقد أجاد الألحان والترانيم والمدائح والقداسات . وبما أن الله حباه صوتا رخيماً حنونا ، فقد كان كل من يعرفه يشتاق الى سماعه .

ثم رأى راغب أنه يجب أن يشتغل ليكسب قوته الضرورى ، واعترف لأبيه بهذه الرغبة . فنصحه بأن يعمل ترز يا . ولأنه كان مبتدئا رأى أبوه وجوب إلحاقه بترزى متدرب . واختار له محل الأسطى تادرس متياس بالدرب الواسع (١) . ففرح راغب بهذا الاختيار لأنه سيكون على مقربة من « الكنيسة الأم » ـــ كنيسة الكاروز العظيم . وكان فى كثير من الأحيان يترك المحل ليحضر قداساً أو اجتماعا . ومع ذلك فقد وجد الكثير ين من عارفيه يشجعونه ليخيط لهم ما ير يدون . مع العلم بأن يده اليمنى كانت أضعف من يده اليسرى تضامناً مع الساق الهز يلة (٢) ! فاستمر فى حرفته ، ولكنه انتقل الى العمل فى محل الأسطى فوزى بشارع الخليج المصرى (٣) ـــ أمام حارة زو يلة . ففرح بهذا القرب شعبا كل من كنيسة السيدة العذراء وكنيسة مارجرجس بتلك المنطقة . لأن حبه للكنيسة ولصلواتها كان يدفعه الى ترك المحل ـــ كلما سنحت الفرصة ـــ والذهاب الى إحدى هاتين البيعتين . ولم يبق بالمحل الجديد غير سنة ونصف لأنه ـــ على الرغم من ضعفه الجسمى ـــ كان محباً للعمل الدقيق ، والأسطى فوزى متعهد بالتور يد للمحال التجار ية ، فلا مجال عنده لدقة العمل . ومن ثم انتقل من عنده الى محل الأسطى عبد الملاك بشارع كلوت بك .

---

(١) أصبح اسمه الآن شارع الكنيسة المرقسية .

(٢) راجع ما قاله القديس بولس الرسول عن ترابط أعضاء الجسم فى ١ كورنثوس ١٢ : ١٢-٢٦ .

(٣) هو شارع بور سعيد الآن .

ولم يثنيه فى العمل بهذا المحل أنه فى الدور الثالث وليس له مصعد . لأنه كان محلاً نظامياً ذا سمعة طيبة . فرضى بالمشقة بابتسامته اللطيفة التى يبدو أنه نزل من البطن وهى مرتسمه على شفتيه ! فلما أتقن الصنعة رأى أنه آن الأوان لأن يفتتح لنفسه محلا مستقلا ــ وكان ذلك فى اكتوبر سنة ١٩٢٣ .

واشترى ماكينة « سنجر » فى نوفبر سنة ١٩٢٣ . وكان له صديق يعمل فى نفس الحرفة ، فاتفق معه على أن يستأجرا معاً محلاً واحداً ، و يؤدى كل منهما عمله الخاص مستقلاً عن الآخر . ووجدا مكانا مناسباً فى الدرب الواسع واشتغلا فيه بكل مودة وسلام .

على أن هذا العمل الضرورى لكسب العيش لم يضعف الجذوة المتأججة داخله . فبعد تخرجه من مدرسة العرفاء انتمى الى خدام المذبح بكنيسة الأمير تادرس ببابلون الدرج (١) . وكان عدد من أعضاء جمعية المحبة بشبرا كثير التردد على هذه البيعة ، فسمعوا راغب وهو يترنم بالألحان بدقة وأصالة ، وفى خشوع طبيعى . وأحسوا بانعطاف نحوه ، وطلبوا إليه أن ينضم الى جمعيتهم . فقبل طلبهم فى فرح وشكر . وهكذا صار الأسطى راغب رئيساً لشمامسة جمعية المحبة وعضواً عاملاً فى مجلس إدارتها فى أوائل سنة ١٩٢٧ . ونظراً لأن شمامسة هذه الجمعية كانوا يزورون مختلف الكنائس فى القاهرة وخارجها للاشتراك فى تأدية الشعائر الدينية بها ، أتيحت الفرصة لراغب لأن يرى هذه الكنائس ويخدم فيها .

ولما تسلم الأنبا ثيئوفيلس رعاية الكرسى الأورشليمى ، نشر نداء عاما يدعو القبط فيه للتبرك بزيارة الأماكن المقدسة ، فلبى دعوته عدد من الجمعيات ــ وخاصة الشماسية منها . وهكذا ذهب راغب مع غيره من العاملين فى الكنيسة الى القدس فى موسم عيد القيامة المجيدة سنة ١٩٣٦ . فنفحت فيه هذه الزيارة قوة جديدة وزادته نعمة فوق نعمة . وعند عودته أسس جمعية دعاها جمعية أبناء الرسل . ولم يقتصر عمل هذه الجمعية على الخدمة الشماسية ، بل امتد ليشمل عملاً أوسع وأكبر : هو البحث عن الضالين ومحاولة ردهم الى الحظيرة ، والسعى الى إحلال السلام بين العائلات المتخاصمة . فكم من شر يرده ، وكم من خصومة أذابها وأحل محلها الصفاء ! ولنزاهته وولائه فى هذا العمل الشائك الشاق نال تقدير آباء الكنيسة وكبار الأراخنة وكل مشتغل فى الخدمة ، ووجد من حبيب المصرى التشجيع والمودة الصادقة (٢) .

---

(١) تقع هذه المنطقة فى آخر مصر القديمة عند حدود المعادى ، وكنيسة الأمير تادرس متصلة البناء بكنيستين أخريتين هما كنيسة السيدة العذراء وكنيسة أباكير و يوحنا ، وعلى مرأى منها كنيسة الملاك القبلى ــ وكلها كنائس أثرية جديرة بالزيارة .

(٢) صحيح أنى عرفت راغب ساويرس معرفة شخصية ، ولكن معظم المعلومات الواردة هنا مأخوذة عن كتاب وضعه عنه صديقه ووكيل جمعيته نجيب يونان حنا بعنوان : « ترجمة حياة المرحوم الأرشيدياكون راغب ساويرس ــ من شمامسة أبناء الرسل بالقاهرة الى روح رئيسهم الخالد » . طبع بمطبعة الأمانة ، ٥٨ شارع الفجالة بمصر . والكتاب لا يحمل تاريخ طبعه . أنظر أيضا المقال : الأرشيدياكون راغب ساويرس « للدكتور سليمان نسيم ، نشره فى مجلة الإيمان عدد فبراير سنة ١٩٦١ ، ص ١٤٩-١٥١ .

ومن عجيب أن هذا الخادم الأمين الذى عرف أن يتاجر بوزناته لم يعش على هذه الأرض غير أربع وأربعين سنة ونصف ! إذ قد شاء الآب السماوى أن ينقله الى الفردوس فى ١٤ فبراير سنة ١٩٤٥ .

وكأن رب الكرم يعطينا هذه العينات من الإنسانية لكى يفهمنا أن الحياة المثالية لا تقاس بالعلم ولا بالزمن إذ هى أبدية تقاس بالفكر التنير و بالتسامى الروحى .

٧٥ــ على أن الله الرؤوف شامل ، فى محبته ورحمته ، لا يختص بها أحداً : فلقد أعلن ــ له المجد ــ « إن كل من يأتى الىّ لا أرده خارجا » ، إنه يريد قلب الإنسان ــ أى إنسان . فهو قد سر بأن يطلق على نفسه اسم « ابن الانسان » . فلئن رحب بالفقراء فإنه فى الوقت عينه يرحب بالأغنياء . ولقد تفهم الآباء لا نهائية محبة الله فعلمونا إياها بمختلف الوسائل . ومن أروع الأمثلة على هذا التعليم القصة التى سجلها الأبنا مكارى الكبير (أبو مقار) فى مذكراته والتى اختتمها بقوله : « قد علمنى الله أن لا فرق بين المتبتل والمتزوج ، وبين ساكن الصحراء والعائش وسط صخب المدن ، فقد وهبها الله نسمة الحياة ولا يطالبها إلا بالقلب النقى » (١) .

فإذا ما تمعنا فى تاريخ كنيستنا القبطية نجد الفقراء والأغنياء جنباً الى جنب تحصرهم محبة المسيح والرغبة العارمة فى العمل لمجد اسمه القدوس كذلك نجد أن كل عصر فيه مثل هؤلاء الملتهبين بالروح . فبعد أن حلقنا مع راغب ساويرس ، نستجمع أنفاسنا لنعاود التحليق مع **إسكندر بك حنا** . ومن العجيب أن واهب الحياة قد شاء أن ينقلهما ــ كليهما ــ الى فردوسه فى شهر واحد من السنة عينها . فرقد الأول فى ١٤ فبراير ولحق به الثانى بعد تسعة أيام فقط ! ... شب اسكندر تحت رعاية أبوين محبين للكنيسة فرضع حبها مع اللبن ثم بعد أن انتهى من دراسته التحق بخدمة الحكومة ، وتدرج فى مناصبها الى أن نال رتبة البكوية (٢) . ثم دفعته المحبة المتأصلة فيه الى الاستقالة من الحكومة ليتفرغ الى خدمة كنيسته و بخاصة لأنه آثر التبتل على الرغم من عدم دخوله الدير . وهذه الخطوة التى اتخذها توضح لنا عمق احاسيسه إذ قد ترك بمحض إرادته الجاه العالمى وإمكانية الترقى وحيازة رتب أعلا لكى يتفانى فى خدمة كنيسته بلا مقابل . لكن الفادى الحبيب علمنا أنه لا ينسى تقديم كأس ماء بارد ــ فكم بالحرى يذكر تضحية كتلك التى ارتضاها إسكندر حنا ؟ فبدلاً من المال والجاه منحه محبة الآلاف من بنى قومه ــ محبة فياضة تطغى على كل اعتبار .

ولكى يدرك القارىء الى أى حد كان إسكندر فرحاً بالخدمة ، يجدر به أن يعرف أنه

---

(١) راجع هذه القصة فى حـ ١ من هذا الكتاب ص ٢٦٣ .

(٢) كانت الرتب ابتداء من العصر التركى (سنة ١٥١٧ م) الى قيام ثورة سنة ١٩٥٢ هى : الباشاوية (أعلاها) والبكوية « الوسطى » والأفندية (أصغرها) ، ثم ألغتها الثورة .

كان من مواليد الاسكندرية ، ومع ذلك فقد كان يترك مدينة الاصطياف فى قيظ بؤونة تلبية لدعوة تأتيه من أسيوط أو غيرها من بلاد الصعيد . وهذه ليست مجرد تضحية براحته ، بل هى أيضا تضحية باسترواح هواء البحر والاسترخاء على شاطئه عند اشتداد الحرارة . وكان يلبى كل دعوة ليذهب و يعلم بعظاته التى تركزت على توضيح العقيدة الأرثوذكسية لكى تترسخ فى القلوب مقابل الدعايات والبلبلات التى كان يروجها أدعياء التبشير .

وأمام هذا المجهود الجبار أثار عليه عدو الخير حرباً بأن جعل بعض الناس ينشرون عنه بأن لا حق له فى الوعظ لأنه لم يشتغل قبل ذلك إلا بالوظائف الحكومية . فرأى الأنبا مكار يوس (حين كان مطراناً لأسيوط) أن يضعه فوق أى لوم ، ورسمه أرشيدياكون (أى رئيس شمامسة) . وهذا الإكرام الأبوى ضاعف من حرارة إسكندر حنا وزاده نعمة ، فجعل كلماته تنفذ الى مكامن النفوس .

وقد نالت مجلة الإيمان نصيباً وافراً من كتاباته إذ قد علم باللسان و بالبيان . لذلك قال عنه القمص جرجس بطرس صاحب المجلة المذكورة يوم تأبينه : « نتخيله وهو يعظ وسط الألوف من الجمع فيملك على الجميع مشاعرهم ، وكصياد ماهر يجذب بصوته الهادىء الساحر قلوب سامعيه ، و يصعد بهم الى رجاء المجد ، لأن الكلمة كانت تخرج من القلب الى القلوب — لا من الفم الى الآذان . . . نتخيله وهو جالس يتكلم الى محبيه أحاديث النعمة مجيباً على كل سؤال بحكمة ليست من هذا العالم . . . نتخيله وهو جالس الى مكتبه يحرر رسالة لعزاء حزين أو لمواساة مسكين أو لتقويم معوج أو لرد شارد ضال ، أو ليتبادل مع إخوته وأولاده فى النعمة تعزية الإيمان المشترك . فهو رسالة المسيح المقروءة من جميع الناس . كان أشبه بالنحلة التى تعمل بلا هوادة . فإذا ما حاول بعض أحبائه نصحه بالاستراحة قليلاً ، أجابهم : « خير لنا أن نذوب ونفنى من كثرة العمل من أن نصدأ من قلة العمل » . وهذه الرغبة المشتعلة فى العمل عبر هوعنها بأعمق دقة إذ قال لأخيه قبل انتقاله مباشرة : « كم كنت أتمنى صادقاً أن أستودع روحى خالقها وأنا على منبر الخدمة من أن أودعها وأنا على سر ير طريح » فلا غرابة إن قيل عنه من أحد أحبائه : « لم أتلق نعياً بفرح كما تلقيت نعى الرجل النادر القليل إسكندر حنا ! وكيف لا أفرح وقد آن يوم المكافأة وحل عيد التتويج ؟ ! »

أما فى الشعائر المقدسة التى أقيمت فى الكاتدرائية المرقسية بالأزبكية برياسة البابا مكار يوس ، فقد تبارى الأحباء فى رثاء إسكندر حنا . وفى النهاية قام قداسة البابا وتحدث عن الخادم الأمين الذى عرف أن يتاجر بوزناته التى منحه إياها رب المجد . ثم اختتم حديثه بقوله : « كلكم أحببتم إسكندر . ومدحتم إسكندر . وأكرمتم إسكندر . ولكن هل يوجد واحد بينكم قد تمثل بإسكندر؟ إن إسكندر قد تمثل بسيده ومعلمه الذى هو المثال الأعلى ، لذلك يهمه أن

تترسموا خطاه كما ترسم هو خطى ذاك الذى ترك لنا مثالاً لكى نقتفى أثره ، وكما قال بولس الرسول : « تمثلوا بى كما أنا أيضا بالمسيح » .

وقد أفاض قداسته فى وجوب القدوة الحسنة والمثل العليا ، سائلا الله تعالى أن ينعم على شعبه بالعيشة الصالحة والآخرة المرضية ، مستمطراً رحمات واسعة على نفس إسكندر الوديعة وروحه الهادئة بقدر ما أسدت من خير الى جيلها (والأجيال الآتية) (١) .

و بعد ثلاث عشرة سنة من انتقاله نشرت الكلمة التالية عنه :

الارشيدياكون اسكندر حنا

كانت حياته منذ طفولته مثالا للفضائل المسيحية ، واستمر قلبه مليئاً بالإيمان فائضاً بالنعمة . وحين التحق بخدمة الحكومة وجد أن واجبات عمله تحد من نشاطه فى عمل الرب . لذلك اعتزل وظيفته ليكون مكرساً للرب ، حراً فى التنقل بين بلدة وأخرى يدعو الجميع إلى الخلاص

كان يلبى دعوة الوعظ من أى مكان جاءته — متجولا من الشمال إلى الجنوب . غير مبال بحاجته الشخصية إلى الراحة . ولقد بارك الله فى جهوده وأثمرت خدمته خلاصاً للخطاة ، وتعز ية للحزانى ، وتشجيعا للخائر ين . وظلت حياته الشخصية شاهداً على تعليمه . من أجل ذلك أنجح الرب عمله فى ربح النفوس .

لقد كان واعظا قديراً — لا يمل منه مستمع مهما أطال ، تؤثر كلماته أعمق الأ ثر فى النفوس مبددة ظلام الشر . ولن ينسى واحد ممن استمعوا إليه صوته ، وتأثيره

انتقل إلى السماء فى ديسمبر سنة ١٩٤٤ متمما العام الرابع والستين . ومازالت الكنيسة تنتظر أن يرسل الله إليها من يواصل عمل هذا الواعظ الأمين ، نيح الله نفسه فى الفردوس مع خدام الله القديسين

واننا نرجو من جميع محبى هذا الخادم المثالى أن يرسلوا إلينا ما يعرفونه عنه كى يمكن أن نخلد ذكراه ولتكون سيرته وعمله نموذجين لكل خادم ير يد أن يعمل للرب بأمانة (٢) .

---

(١) مجلة الايمان — العددان ٦ و٧ — فبراير ومارس سنة ١٩٤٥ — ص ١٢٤-١٤٢ .

(٢) مجلة مدارس الأحد — يناير سنة ١٩٥٨ ص ٤٠ ، ومن نعمة الله أننى التقيت بأبينا القمص ميخائيل سعد (راعى كنيسة السيدة العذراء والقديس يوسف بسموحة بالاسكندر ية) مساء الثلاثاء ٩ أغسطس سنة ١٩٨٢ ، فتحدث عن إسكندر حنا باستفاضة وانتهى بقوله : « كان ممتعاً حقاً ، يأسر القلوب والأذهان » .

٧٦ــ لقد علمنا الآباء الأماجد أن رحمة الله أكبر من أية خطية ، وما على الخاطىء إلا أن يعود فى توبة وانسحاق ليجد الأذرع الأبوية مفتوحة لتحضنه . بل لقد بلغ إدراكهم لهذه الرحمة الشاملة الكاملة أنهم أفهمونا بأن خطية يهوذا الاسخر يوطى ليست فى خيانته لفاديه بقدرما هى فى يأسه من مغفرة هذا الفادى الحبيب الذى خانه ــ ولو أنه ــ حين ندم ــ عاد الى رب المجد وأعلن له ندمه لحصل على المغفرة كما حصل عليها الابن الضال . وهذا التعليم الأبوى الذى ينفخ فى النفس الأمل والثقة فى المراحم الالهية ، نجد له أمثلة غاية فى الروعة على مدى تاريخنا العجيب (١) .

وهذه النشوة الروحية التى فاضت بها قلوب التائبين مازالت تتكرر لو أننا فتحنا بصائرنا وتأملنا عمل النعمة . والسيرة التالية صورة من هذه الصور الباهرة التى تخبس أمامها الأنفاس . إنها صورة الشاب **حبيب فرج**

نشأ بعيداً عن الجو الروحى . وطغت عليه محبة العالم ببر يقها . فاستعذب الحياة الدنيا بكل ملذاتها . وإن حاول أحد أحبائه أن يحدثه عن الله ومحبته اللامدركة هم أذنيه وسخر من محدثه . وعلى الرغم من أنه كان يعيش على مقربة من كنيسة أبى الرهبان (بشبرا) ، وعلى الرغم من أنه كان يرقب الشباب فى ذهابهم وإيابهم الى الكنيسة والى الاجتماعات الزاخرة التى كانت تلتئم داخلها ــ فقد ظل متفرجا من الخارج !

ومن نعمة الله وعملها الخفى فى القلوب أن أصدقاء حبيب فرج لم ييأسوا منه ، بل ظلوا يطلبون اليه أن يحضر معهم : تارة بالاستعطاف وطوراً بالشدة . أخيراً وعد أن يحضر اجتماعاً كمتفرج فقط ، وحباً فى الاستطلاع ، مؤكداً أنه لا يعد بالمواظبة . ولكن من أين كان له أن يعرف أن عمقاً ينادى عمقا ؟ ! ورضى أصدقاؤه بذلك ، وقد ارتفعت الصلوات من أعماقهم لأجله ، و بلغت هذه الصلوات الى العرش الإلهى . وهكذا ذهب إرضاء لمن ظلوا يلحون عليه ولم يكن يدرى ــ وهو فى طر يقه الى الكنيسة ــ ما سيعمله الله فيه و به . فن أين له أن يدرى وهو لم يذق بعد ؟

وجلس يتفرس فيمن حوله دون أن يلتفت الى المتكلم . وفيما هو يتفرس فى هذا وذاك إذا بالجميع يختفون من أمام ناظر يه فلا يرى غير السيدة العذراء متألقة بالنور السماوى . فأمسكت بيده وأخذته أولاً لتر يه مكان الأشرار . ثم اقتادته الى قصر نورانى لم ير له مثيلاً ، ورأى القديسين كلا فى مكانه ووجهه يسطع بالنور. ثم أشارت الى كرسى شاغر، فنظر اليها مستفسراً عن السبب . أجابته بعذوبة فائقة : « هذا كرسيك . وهو محفوظ لك إن شئت أن تحصل عليه . ولن يمكنك من الاستراحة فوقه الا ابنى الحبيب الذى افتداك بموته على الصليب » .

---

(١) راجع « قاطع طريق يصبح قديساً » « وعلى ضفاف الأردن » فى حـ ١ من هذا الكتاب .

وتباعد الصوت العذب . وتلاشت الرؤيا المذهلة . ووجد حبيب نفسه مرة أخرى بين صفوف المجتمعين . ولكنه لم يعد متفرجا ...

لقد تملكته شهوة قدسية دفعته الى السعى المتواصل ليعوض الوقت الذى أضاعه . كان يلتهم كلام الله إلتهاماً ... يصلى فى المخدع . و يصوم بلا فتور. و يواظب على حضور القداسات ولم يكن آنذاك « قداس باكر» ، ومع ذلك كان لا يترك الكنيسة إلا بعد أن يقول أبونا « اذهبوا بسلام ... » . فكان رئيسه فى العمل يو بخه على التأخير ، إلا أن حبيب احتمل فى صبر تو بيخه بل وعراكه أيضا . كذلك عوّد نفسه على تلاوة الصلوات السبعة : فيصلى باكر والثالثة قبل الذهاب الى عمله ، والسادسة والتاسعة عقب رجوعه وقبل تناول الغداء ، والغروب والنوم قبيل خروجه للخدمة ، ثم يتلذذ بصلاة نصف الليل قبل أن ينام ومع هذه الصلوات واظب بلا انقطاع على قراءة الكتاب المقدس ، وعلى الصوم الانقطاعى . وذات مرة خطر فى باله أن ينقطع عن الطعام طوال الصوم الأربعينى اقتداءً بسيره ، ولكن أبا اعترافه منعه من ذلك .

واشتاق الى الرهبنة فقصد الى الدير المحرق ، ولكن رئيسه رفض أن يقبله مالم يأته بموافقة والديه ولما كان يعلم أنهما يرغبان فى تزويجه فقد عاد الى البيت فى صمت . فلابد أن الآب السماوى شاء أن يبقيه فى العالم ليكون صورة حية أمام الجميع للعمل الخفى الذى يعمله الروح القدس فى النفس التى تسلم اليه قيادها .

كذلك اشتعل قلبه بمحبة كنيسته القبطية : بتعاليمها وطقوسها وألحانها وصلواتها . اشتعل قلبه بمحبة قديسها وشهدائها ، و بتلك السحابة العظمى من الشهود الذين عاشوا بالله وفيه ومعه ، فواجهوا كل ضيقات العالم بيقين واطمئنان .

ولكن ما أبعد أحكام الله عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء ! فهذا الشاب الذى عاش حياة الخطية ثم حياة النعمة ، والذى اختبر طريق العالم وطريق السيد المسيح ، لم يعش على هذه الأرض غير سبع وعشرين سنة . وبما أنه انتقل الى الفردوس سنة ١٩٤١ فيكون من مواليد سنة ١٩١٤ــ أى أنه من قديسى هذا القرن العشرين .

ولقد قضى الساعات الأخيرة فى ترنيم وتسبيح ، وفى دعاء واستشفاع بالقديسين . ومن عجيب أنهم حين كانوا يغسلون جسده لدفنه وجدوه مرسوما بصلبان طبيعية واضحة رآها الجميع فمجدوا الله العجيب فى قديسيه .

وإن سيرة حبيب فرج لتملأ النفس بهجة إذ هى صورة حية على أن الله هو هو أمس واليوم

والى الأبد ، وأن عمله فى النفوس مستمر كما قال لنا رب المجد : أبى حتى الآن يعمل وأنا أيضا أعمل » (١) .

٧٧ــ إنه لجدير بنا أن نذكر أن الجهود البناءة لا يمكن أن يضيع عبثا لأن الدعايات المغرضة أدت الى شيء من إضعاف النفوس . والجدير هنا أن نذكر أيضا أن عدداً من الكتاب الانجليز والفرنسيين والأمريكيين قد سجل فى كتاباته أن ما بذل من جهود ، وما أنفق من مال لاستدراج القبط بعيداً عن أمهم كان باهظاً ونتيجته هزيلة (٢) . وليس ذلك فحسب ، بل إن هناك أيضا من هزهم الحنين الى كنيستهم الأصيلة ، ويحرك فيهم دم الشهداء الذى يجرى فى عروقهم ، فعادوا اليها ووجدوا منها الرعاية والحنان .

وننشر هنا رسالة بعث بها راعى الكنيسة الإنجيلية بكوم اسفحت تتضمن استقالته وعودته الى الكنيسة القبطية ، واليكم الرسالة : « حضرة الأب الوقور الورع القمص جرجس بطرس رئيس جمعية الإيمان بشبرا ــ

بعد تقبيل يديكم الطاهرتين ــ أتشرف برفع نص استقالتى من الطائفة البروتستانتية ، إذ أقنعنى الرب بالرجوع الى كنيستى القبطية عن يد صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا مرقس مطران كرسى أبوتيج وطما وطهطا (٣) ، راجيا التكرم بنشر بمجلتكم الغراء « الإيمان » .

وتفضلوا بقبول وافرا احترامى :

وهذا نص الاستقالة : « حضرات المحترمين رئيس وأعضاء مجمع مشيخه أسيوط : تحية واحتراما . قضيت فى حقل الخدمة بينكم أكثر من ثمانى سنوات تبدأ بدخولى كلية اللاهوت فى شهر سبتمبر ١٩٣٧ وتنتهى فى اكتوبر سنة ١٩٤٥ . و يسرنى أن أبلغكم استقالتى من الخدمة فى الكنيسة البروتستانتية عامة ومن رعاية شعب كنيسة كوم اسفحت البروتستانتية خاصة للأسباب الآتية :

أولا ــ بعد أن تخرجت من مدرسة اللاهوت البروتستانتية سنة ١٩٤٠ لم تكن لدى الفرصة الكافية لفهم الحق الإلهى كما هو مسلّم من الرسل . وكان ذلك لحداثة عهدى بدراسة الكتاب المقدس . و باطلاعى على كلمة الله والممارسات الدينية فى الكنيسة البروتستانتية

---

(١) مجلة الكرازة ــ العدد الخامس للسنة الأولى يونيو سنة ١٩٦٥ ــ ص ٢٥-٢٧ ، مقال للقمص شنودة السريانى (الآن أنبا يؤنس أسقف الغربية) ؛ مجلة نهضة الكنائس العدد الرابع للسنة الثالثة (مطبعة ملجأ الأيتام بالظاهر) أبريل سنة ١٩٤٢ ص ١٢٨-١٢٩- تحت عنوان « حياة مثالية » .

(٢) راجع ما جاء عن النشاط التبشيرى الأمريكى (وغيره) فى سيرة البابا الوقور كيرلس الخامس ، وطالع مراجع ذلك العصر : حـ ٥ من هذا الكتاب .

(٣) وردت لمحة عنه فى ف ٣٧ (٦) .

لاحظت الفوارق الجوهرية بين تعاليم الكتاب المقدس و بين تطبيقها فى التعاليم البروتستانتية ــ وهى فوارق جوهرية لم يسترح لها ضميرى فى الاستمرار فى الخدمة بينكم .

ثانيا ــ أبلغكم أنى بعثت الى ناظر كلية اللاهوت الدكتور بطرس عبد الملك طالباً منه موافاتى بوجهة نظره فى بعض الأمور التى لم يسترح إليها ضميرى ، وهى كلها فى صميم تعاليم الكنيسة الرسولية المقدسة . ولكنه صمت ولم يشأ أن يرد على مما أقنعنى بأنه لا مفر من التسليم بحقائق التعاليم فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية واعتناقها .

ثالثا ــ لما كانت حقائق التعاليم الإلهية متوفرة ولم تكن لى حرية المجاهرة بها فى الوسط البروتستانتى لذلك لم أتمالك أن أستمر فى الخدمة معكم عائداً الى خدمة المسيح فى الجو الذى يوافق رغباتى فى حقل الكنيسة القبطية كنيسة الله الرسولية التى أسسها بالحق و يرعاها بالأمانة .

رابعا ــ إن هناك أموراً شخصية كثيرة لم يسترح لها ضميرى أيضا . وهذه الأمور أعتقد أنها فى أذهان الكثيرين منكم ــ أيها الآباء والإخوة . ويمكن أن تتضح وتظهر بكل جلاء إذا خلت نفوسكم من الأغراض المادية والاعتبارات الذاتية .

وإذ أصلى الى الله من كل قلبى أضرع اليه أن يعلن هذا الحق الذى لى إلى الكثيرين منكم إن آجلاً أو عاجلا ، لترجعوا معى الى النور الواضح والحق القويم فى حضن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المستقيمة الرأى التى أرضعت آباءكم وأجدادكم لبان المسيحية ، وجاهدت حتى الدم فى رفع علم المسيحية فى بلادنا المصرية هذه القرون الطوال .

هذا وقد بعثت الى كنيسة كوم اسفحت بمكتوب استقالتى من رعايتها بتاريخ ٣٠ / ١١ / ١٩٤٥ ، فاقبلوا استقالتى متنازلاً عن بقية حسابى طرف الكنيسة والمجمع ــ مع وافر شكرى .

زكرى خليل النخيلى
راعى الكنيسة الانجيلية بكوم اسفحت (سابقا)

الايمان : يسرها أن ترحب بأبناء الأقباط الى حظيرة الكنيسة القبطية ، وهى تقدم للقراء صاحب هذه الرسالة ، وتعلن فى الوقت نفسه أن حضرته التحق بالكلية الاكليريكية للأقباط الأرثوذكس ليتزود من لبان المعرفة الأرثوذكسية التى تؤهله بنعمة المسيح الى خدمته بروح

الأرثوذكسية . وتشكر الجمعية بهذه المناسبة نيافة الحبر الجليل الأنبا مرقس مطران كرسى أبوتيج وطما وطهطا الذى شجع حضرته على العودة الى بيعة الله الأرثوذكسية (١) .

واستكمالاً للواقع التاريخى نقول إن هذا الابن الذى حن الى الرجوع للكنيسة الأم أتم دراسته الاكليريكية الأرثوذكسية ، ثم رسم كاهناً باسم زكريا . فخدم أولاً فى كنيسة مارمرقس ثم فى كنيسة مارجرجس — وكليتهما فى مصر الجديدة : الأولى فى شارع كليوباترة ، والثانية فى ميدان مستشفى هليوبوليس . وقد خدم بالكتابة أيضا ، ومن أهم مؤلفاته كتاب عن السيدة العذراء بين فيه أنها دائمة البتولية ، كما أوضح ما يليق بها من التكريم الذى تقدمه لها الكنيسة القبطية .

٧٨ — ويعتبر صاحب **السعادة قلينى باشا فهمى** المحسن الاول الممتاز فى أوساطنا بشعوره الفياض بالوطنية الصادقة والقومية الصحيحة . ويكفى القول إنه عاش من فجر رجولته الى اليوم والى الغد والى الأبد يسدى ويعطى ويناصر الجمعيات والمشروعات الخيرية والقومية على اختلاف مناحيها . وفى وقفته المعروفة التى نبسط خلاصتها ما يحيط بأجمل معانى الفضل والنبل وأقدر مظاهر الشعور الوطنى المنزه عن الأغراض والغايات .

فقد تنازل سعادته عن أكثرية أملاكه وأطيانه لضروب التثقيف الوطنى والقومى المختلفة والبر بالفقراء والمرضى : فأوقف عشرين ألف متر مربع أرض بناء لمجلس مديرية المنيا ، يشيد عليها أربع مدارس إحداها صناعية والثانية ابتدائية والثالثة أولية للبنين والرابعة للبنات باسم سمو الأميرة فايزة مع ميدان للألعاب الرياضية وغرفة للعيادة الطبية تقوم بخدمة المرضى .

وخصص قصره فى مغاغة للمدرسة التى اطلق عليها اسمه الكريم وأوقف عليها ٧٥ فدانا من أجود الأراضى للإنفاق عليها .

وخصص قصره فى حلوان لإنشاء مدرسة للبنات به تحمل اسمه وأوقف عليها ٦٠ فدانا .

وأوقف ٥٤ فدانا بين جناين وأراضى زراعية لكنيسة مغاغة القبطية التى شيدها ، وشيد بها المنامة واشترط أن يصرف من ريع هذا الوقف عشرة جنيهات لفرقة الكشافة وخمسة وأربعون جنيها لجوائز تمنح لقائلى القصائد الأولى الثلاث فى الحفلة التذكارية السنوية ، وخمسة وخمسون جنيها لجوائز سنوية تمنح لأوائل مدارس مجلس المديرية وفرقة الكشافة بمغاغة ومدرسة المنيا الثانوية ومدرسة البنات التابعة لمجلس المديرية مع إقامة حفلات تذكارية توزع فيها الصدقات على الفقراء .

---

(١) الإيمان - عدد هاتور وكيهك سنة ١٦٦٢ (نوفمبر — ديسمبر سنة ١٩٤٥) ص ٩٦ — ٩٧ .

وأوقف ثلاثين فدانا للمستشفى القبطى والجمعية الخيرية القبطية الكبرى . وخصص حصصا لبعض الجمعيات الأخرى وعشرة أفدنة لكنيسة طحا الأعمدة المدفون بها جده المغفور له يوسف بك عبد الشهيد عضو مجلس شورى النواب .

هذه مبراته الخيرية . ولكن الرجل كان مصريا وطنيا صميما فدفعته هذه المصرية المرهفة الى بذل الجهود فى سبيل مواطنيه جميعا . ومن أبرز هذه الجهود ما بذله فى سبيل تدعيم الاقتصاد المصرى .

وخير أعمال قلينى باشا هو مشروع بنك التسليف الزراعى المصرى ، ثم الجهود الاقتصادية التى خدم بها البلاد فى المساهمة بتسوية الديون العقارية التى هى أعقد مشاكلنا الداخلية ، والعمل على تأجيل أقساطها ومد سلفها ومنع البيوع الجبرية حفظاً لمرافق المصريين وثروتهم العقارية ، فانه لما كانت ازمة سنة ١٩٠٧ والأزمات التى توالت بعدها قام سعادته مطالباً الحكومة بأنشاء بنك زراعى ليحمى المزارعين من تعنت المصاريف الأجنبية التى اقفلت أبوابها فى وجوههم .

ولما تهافت الاجانب على شراء الدومين رأى سعادته أن أهل وطنه أحق وأولى بهذه الاملاك فاقترح توزيعها على صغار المزارعين حفظاً للثروة القومية .

جهوده الاجتماعية

كذلك نادى عطوفته بتحريم الخمر أسوة بأمريكا ، كما نادى أيضاً بمكافحة التسول فكان لدعوته الأثر المحمود اذ شرعت الحكومة على اثر ذلك فى سن القوانين اللازمة ونفذت فعلا جانبا منها .

ولعطوفة الباشا يد بيضاء على جمعية الهلال الاحمر فقد كان من مؤسسيها وظل وكيلا لمجلس ادارتها زهاء عشرين سنة . وهو أيضاً من منشىء المستشفى القبطى وقد أوقف عليه ثلاثين فدانا ، وكذا أوقف عشرة أفدنه على كنيسة طما ، وأنشأ كنيسة ومسجداً بمغاغة (١) .

٧٩ ــ كامل صدقى
عرفته ... رئيسا للجنة المدارس القبطية ووكيلا لمجلس النواب . وعرفته وكيلا للمجلس الملى العام وعظيماً من عظماء مصر المجاهدين .

(١) « الجمعيات القبطية ومدى اتساع أعمالها » لرمزى تادرس حـ ١ ص ٥٣ ـ ٥٤ ، مجلة الأنوار فى ٢٦ بابة سنة ١٦٦٣ (٦ نوفمبر سنة ١٩٤٧) ص ٩ ـ ١٠ .

فهمته عندما كان يعطف على أبنائه الطلبة والشباب و يعاملهم معاملة الوالد دون تميز أو تفريق . وقدرته حينما كان يجرى معى تحقيقا لأمر ما . ولا يغمطنى حقى فى إبداء آرائى بإسهاب بالرغم من وقته الغالى ومركزه العظيم .

مراد مهنى (١)

رئيس ديوان المحاسبة ووكيل المجلس الملى العام

من أقوى الشخصيات البارزة فى الأقباط ، معروف بجهاده الطويل المضنى فى سبيل رفع شأن أمته ، عالم كبير وقانونى ضليع ، له مواقف مشهورة فى الدفاع عن المجلس الملى والكنيسة القبطية . خدم الأقباط خدمات جليلة ، غيور على مصالح الشعب القبطى وعلى تحسين أحواله وعلى السير بأفراده وجماعاته الى الحياة الصحيحة المنتجة . له نفوذ واسع ، شخصيته فذة وله مكانة وتقدير فى جميع الأوساط .

خدم الكنيسة والأمة القبطية فى المجلس الملى العام سبع دورات متتالية ، فكان الرجل الذى عرف بالمحافظة على تقاليد الكنيسة القبطية ، و بالدقة المتناهية فى مسائل الأحوال الشخصية الذى ترأس دائرتها عدة مرات . وكان من المعارضين فى إصدار قانون الأحوال الشخصية الجديد وناضل نضالا كبيرا وكتب مذكرة مستفيضة هاجم فيها المشروع المشار اليه وقدمها لوزير العدل بالاشتراك مع حبيب المصرى باشا مع ما فى تقديمها من حرج لموقفه كوفدى فى وزارة وفدية . فدل بذلك على جرأة متناهية فاحبه الشعب حبا كبيرا . ملقب دائما بميزان المجلس الملى العام .

الاحوال الشخصية لغير المسلمين

قدم كامل صدقى باشا وسعادة حبيب المصرى باشا بصفتها الشخصية مذكرة مستفيضة الى معالى وزير العدل فى شأن مشروع الاحوال الشخصية لطوائف غير المسلمين وقد دافعا فيه عن حقوق المجالس الملية مشيرين الى عدم مشروعية اتمام الزواج بالطريق المدنى إذ أن الزواج يعد فى الكنيسة القبطية سراً من أسرارها المقدسة لا يمكن إتمامه الا بإجراء الاكليل على يد الكاهن . كما أن الكنيسة لا تعترف بأى زواج يعقد خارج نطاقها

كذلك عرضا فى المذكرة لحالة تغيير أحد الخصوم دينه أو ملته فأبانا أنه فى هذه الحالة ينبغى الرجوع الى قانون عقد الزواج لا الى أى قانون آخر . وقالا إنهما يرميان الى المحافظة على كيان الأسرة القبطية وتضييق نطاق الطلاق الى حد عدم إباحته .

---

(١) مجلة الأنوار فى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٤٦ ، راجع أيضا المجلة عينها عدد ٢٩ ديسمبر من نفس السنة

وقد أبدى معالى الوزير اهتماما كبيراً بالمذكرة وبحث ما ورد فيها وخاصة أن مقدميها من كبار رجال القانون الى جانب أنهما كانا من وكلاء المجلس الملى السابقين (١).

٨٠ ــ المرحوم أمين يوسف
من علماء اللغة القبطية

استأثر الى رحمة الرب يوم السبت الماضى ٢٨ هاتور الموافق ٢٧ نوفمبر المرحوم الأستاذ أمين يوسف وكانت وفاته بسكتة قلبية ، فانطوت بموته صفحة من صفحات رجل عمل طول أيامه على إحياء اللغة القبطية وهو يعد بحق من علمائها .

وقد حدثنى رحمه الله كيف نشأت الرغبة فى نفسه الى تعليم هذه اللغة فى سن متأخرة من حياته فقال لى : لما توفيت والدته وحضر الصلاة عليها اتجهت افكارة آنئذ الى معرفة ترجمة ما تلى على روحها . فصمم على تعلم هذه اللغة إلى حد الإتقان . وأصبح يتكلم بها و يعبر عن رأيه بكل سهولة بدون أن يتلعثم لسانه و بلفظ صحيح . وإذا ما عثر على كلمة حديثة نحت لها كلمة قبطية توافقها . وقد كان من أسعد أوقاتى تلك الساعات التى كنت أقفها معه لأسمعه يتكلم بهذه اللغة .

وكان رحمه الله بجانب معرفته القبطية ماهراً فى اللغتين الانجليزية والفرنسية ، كما أنه كان مدة خدمته فى السكة الحديد مثال الموظف النشيط الأمين لعمله . وكان رجلا متزناً فى كلامه محباً للاطلاع وتعلم اللغات قوى الحجة والإرادة .

وقد تعلم اللغة الأرمنية فى مدة وجيزة وأتقنها رغم أنها من اللغات الصعبة ، وأن أحد أبناء هذه اللغة كان يعتقد أنه لا يمكنه أن يتقنها . فأعجب به عند ما سمعه يتكلم بها كما حدثنى بذلك .

ولا أزال أذكر كيف كان يتمنى بلهفة وشغف أن يتعلم جميع الأقباط لغة أجدادهم . وكان يتطوع لتعليم الشباب هذه اللغة عن رضاء خاطر . وكان يسر حينما يعلم أن عدد الأقباط الذين يهتمون بتعلم هذه اللغة قد ازداد .

و يعد موته خسارة لتلامیذه والمشتغلين بالقبطية ، فقد فقدوا بموته ركناً ركيناً ، وترك فراغاً لا يمكن ملؤه .

---

(١) الأهرام فى ١٨ سبتمبر سنة ١٩٤٤ و يؤسفنى أن أقول إننى لم أجد أى شخص من أسرة هذا الرجل العظيم رضى بإعطائى المعلومات عنه مما اضطرنى الى الاكتفاء بالمنشور على هذه الصفحة .

وانى أسأله تعالى أن يرحم هذا الصديق رحمة واسعة و يلهمنا مع آله وذو يه الصبر والسلوان ،

ى . ع أ ([١])
(يسى عبد المسيح)

١٣ مارس سنة ١٩٤٤

ملحق رقم ١

حبيب المصرى باشا فى الحضرة الملكية

ما زالت استقالة حبيب المصرى باشا من المجلس الملى موضع حديث كل قبطى . ولا تزال الاحتجاجات ترد على البطر يركية تباعا يعلن فيها . مرسلوها من الجمعيات والهيئات والافراد سخطهم على استبعاد اكبر شخصية من المجلس لها مكانتها الاولى فى قلوب الشعب ولها ماضيها المجيد . ولن ينسى الشعب لحبيب المصرى انه تفانى فى خدمة كنيسته حتى تبوأ مكان الزعامة وقاد الامة القبطية فى ظروف حرجة واوصلها الى ميناء الامن والسلام . وسوف تكون الايام القليلة المقبلة اكبر شاهد على شخصية حبيب المصرى وسيعود الى المجلس معززا مكرما يرفعه الشعب على رقابه .

واكبر دليل على أن حبيب المصرى باشا شخصية لها مكانتها الاولى ان جلالة الملك حفظه الله استدعاه لمقابلته يوم الاحد ٥ مارس الجارى واستطلع رأيه فى مشكلة اوقاف الاديرة وظل معه أكثر من ساعة سرد فيها المراحل التى مرت بهذه المشكلة منذ سنة ١٨٨٣ . ولم يستطع اقرب المقربين الى حبيب باشا ان يعرف منه اكثر من ذلك . ولكن الجميع يتساءلون لماذا لم يدع المنياوى باشا لمقابلة جلالة الملك باعتباره وكيل المجلس الملى العام . الجواب عند علام الغيوب .

اوقاف الاديرة وادارتها

لا شك فى ان المجلس الملى وقع فى مأزق حرج كما أنه أوقع غبطة البطر يرك فى ورطة كبرى . اذ اراد المنياوى باشا أن يظهر بمظهر البطولة فخفق وسقط وكان سقوطة عظيما . وظن المسكين ان الزعامة تأتى عن طر يق التهو يش والدعايات فى الصحف فهلل وكبر . واستصدر امرا من غبطة البطر يرك بان يتولى المجلس الملى ادارة اوقاف الاديرة وزعم انها خر بت وان ريع ممتلكاتها ينفق فى اوجه غير مشروعة وان المجلس هو وحده الأمين على هذه الاموال . وقبل أن

---

(١) مجلة الأنوار (العددان ٢١ و ٢٢ من السنة الأولى) ٦-١٣ كيهك (١٥-٢٢ ديسمبر سنة ١٩٤٦) .

تخوض غمار الكلام فى هذا الموضوع نريد أن نوجه للمنياوى باشا سؤالا واحد وهو — لماذا نص فى أمر البطريرك على ان تعيين واقالة نظار الأديرة يكون بناء على مقترحاتكم ؟

ان الذين يعرفون سر هذا القرار يعلمون تمام العلم ان غبطة البطريرك رفض تحويل المنياوى باشا هذه السلطة الواسعة التى سوف تدرعليه الايرادات وتجلب له المغانم العظيمة . اذ يستطيع فى اى وقت شاء ان يعين ناظر الدير وان يقيله اذا لم ينفذ له ارادته . وكان المنياوى باشا يتشدد فى وضع هذه الفقرة وقال لغبطة البطريرك و يعلم الله بحضورى ان القرار لا قيمة له بدون وضع الفقرة المذكورة .

اذن لم يكن المنياوى باشا ليسعى فى تخويل المجلس حق ادارة اوقاف الاديرة لمجرد خير الاديرة والرهبان كما يزعم بل لاجل منفعته الشخصية إذ اننا لم نسمع منذ انشاء المجلس الملى ان البطريرك حوّل حق تعيين نظار الاديرة او اقالتهم بناء على مقترحات وكيل المجلس او بالحرى بناء على أمره . والجميع يعلمون ان البطريرك لا يرد المنياوى باشا فى اى طلب .

ادارة الاديرة — وادارة البطريركية

لم يوجه المجلس الملى العام — بعد ان بحث ونقب — اى مطعن معين ضد نظار الأديرة ورؤسائها فى إدارتهم ، وكل ما قاله عن هذه الادارة إنها مسرفة مبذرة . مع انه يعلم و يعلم الجميع والله يعلم فوق الكل أن أوقاف الأديرة فى ازدياد مستمر وفى ازدهار — على عكس إدارة المجلس لأوقاف البطريركية فإن الفوضى تسودها والاضطرابات تغشاها والسرقات تتكرر كل يوم حتى انكمشت الاوقاف وهبطت الأعيان التى تملكها البطريركية الى النصف تقريبا . أما الاطيان التابعة للمجلس الآن فهى عبارة عن بقايا منازل وخرائب تنهدم الواحدة بعد الاخرى ، فاذا كانت ادارة المجلس الملى ادارة حازمة وصالحة كما يدعون فلماذا اقترضت البطريركية مبلغ سبعة الاف جنيه من الحكومة منذ عشر سنوات بفائدة ٦ فى المائة مازالت البطريركية تدفعها الى اليوم ؟ واذا كانت إدارة المجلس صالحة فلماذا نقرأ كل يوم بالصحف عن بيع خرابات تملكها البطريركية و يقول حضرة صاحب العزه الاستاذ الكبير بطرس بك رزق الله إن ثمن هذه الخرابات يسدد بها الديون التى تراكمت على البطريركية حتى اشرفت على الافلاس ؟ واذا كانت ادارة المجلس صالحة فلماذا لا يقبض الكهنة مرتباتهم الا بعد اربعة شهور و يزورون البيوت ملتمسين مد يد المساعدة لهم ؟ واذا كانت ادارة المجلس فيها شيء من الذمة والأمانة والخوف من الله فلماذا سعى حبيب باشا المصرى حينما كان وكيلا للمجلس حتى حمل الحكومة على منح البطريركية عشرة آلاف جنيه على سنتين اعانة بعد أن حفيت قدماه ؟ واخيرا اذا كانت ادارة المجلس حازمة فلماذا نقصت الاطيان التى تملكها البطريركية والاعيان الى النصف تماما الواقع ان المجلس دبت فيه الغيرة اذ يرى اوقافه فى تأخر واضمحلال مستمر . فى حين يرى اوقاف

الاديره فى ازدياد واعيانه تناطح السحاب . لهذا اراد المنياوى باشا وراغب اسكندر بك يحصلا على اوقاف الاديرة لينعما بها . كلا يا سادة الا تتعبوا انفسكم فلن تأخذوا منها سهما واحدا .

هل تنفذ قرار البطريرك ؟

رفض نظار الأديرة ورؤساؤها تسليم أوقافها الى المجلس الملى كما أن الرهبان أعلنوا أنهم حافظوا عليها كل الحرص ، بل أنهم — بعرق جباههم — قد أنموها بعد أن كانت ضئيلة فنمت وزادت فكيف يأتى اليوم قوم و ينزعون هذه الأوقاف من أيدينا بحجة أننا فى حاجة الى إصلاح ؟! إن الغرض الوحيد الذى يرمى اليه المجلس — وإذا قلنا المجلس نقصد هنا المنياوى باشا وراغب بك لأنهما المجلس فعلا — لم يكن حرصه على الأديرة وأوقافها وتوفير أسباب الراحة للرهبان بل مصلحته الشخصية . لقد انعقد إجماع المطارنة ورؤساء الأديرة على عدم تنفيذ هذا القرار وطالبوا غبطة البطريرك بعقد مجمع مقدس للنظر فيه فى هذا الموضوع .

ملحق رقم ٢

لقد دلت التجارب الطويلة التى مرت على الكنيسة والمنازعات المريرة التى قامت ، على صعوبة تحقيق الإصلاح وصعوبة النهوض بالأمة القبطية ما لم يكن هناك تضامن كامل بين الاكليروس والشعب تربط قلوبهم رابطة المحبة ورابطة الولاء والإخلاص . أما سياسة القوة والإرغام . وسياسة إكراه فريق للنزول على إرادة فريق آخر بطريق جبرى فهما يعرقل كل ما ينشده القبط و يقضى على كل أمل لهم فى الإصلاح .

المجلس يبذل أموال البطريركية لجمعيتى التوفيق وثمرة التوفيق للدعاية له فى الانتخابات المقبلة

وقد كان مما لجأ اليه المجلس أخيرا خشية غضب الشعب وسخطه الشديد من تصرفاته المخزية بإثارة الشقاق فى الكنيسة أن اتفق مع جمعيتى التوفيق وثمرة التوفيق لإقامة حفلات شبه أسبوعية يتحدث فيها المهيمنون على المجلس ضد رجال الاكليروس و يطعنوهم بكل فرية و يكيلون لهم السباب علانية و يدفعون ثمنا لكل حفلة ١٥٠ جنيها من مال البطريركية . والواقع أن المجلس لم يبذل هذه الأموال بسخاء إلا لأنه يعلم علم اليقين أن انتخاباته قد قربت . وظن أن جمعيتى التوفيق وثمرة التوفيق تتزعمان الجمعيات القبطية فتؤثران عليها جميعا فى تأييد المجلس لخطواته فزعم وأعلن فى كل مكان أن الجمعيات القبطية تؤيده فى موقفه وتعضده فى تصرفاته مما أضطر ٢٦ جمعية قبطية كبرى فى القاهرة أن تعقد اجتماعا عاما تعلن فيه سخطها على تصرفات المجلس وتطالبه بضرورة إعادة التفاهم بين الاكليروس والشعب . وقد جاء قرارها هذا لطمة قوية

لمدعى الاصلاح . وجاءت الاجتماعات التى عقدها هؤلاء المدعون لطمة أشد حيث لم يحضرها إلا نفر قليل . فاقرأ واعجب وترحم ولو قليلا على كل من يتورط فى تسرعه .

قرار مجلس الوزراء الأخير

على أن المجلس الملى او بالحرى النفر الذى يديره كان يعتقد أنه بهذه المهاترات يتسلم أوقاف الأديرة ولكن المطارنة ورؤساء الأديرة ورهبانها تشبثوا بها أكثر فأكثر . فسعى المجلس لدى الحكومة حتى صدر قرار فى ١٦ مايو الجارى بالغاء قراره السابق صدوره منه فى أول ديسمبر سنة ١٩٣٨ . ثم هلل وكبر زاعما أنه انتصر انتصارا عظيما . والواقع أنه على أثر صدور القانون نمرة ١٩ لسنة ١٩٢٧ الذى أعاد العمل بلائحة سنة ١٨٨٣ أراد المجلس الملى استلام أوقاف الأديرة . ولما رفض المطارنة رفع المجلس الملى عدة دعاوى عليهم بالمحاكم الأهلية مطالبا إياهم بالتسليم . وفى ذلك الوقت كان النزاع قد استحكم بين الطرفين فتدخل المغفور له محمد محمود باشا ، وتصالح الطرفان على أن تؤلف لجنة إدارة الأديرة مهمتها مراقبة حسابات الأوقاف . وقد باشرت اللجنة مهمتها من سنة ١٩٢٨ الى سنة ١٩٤٣ وكانت تعتمد جميع الحسابات التى تقدم اليها وهى مؤلفة من كثيرين من أعضاء المجلس الملى الحالى وهم يشهدون بحزم الرهبان فى إدارة أوقاف أديرتهم ، الى أن صدر القرار الأخير بالغاء قرار أول ديسمبر سنة ١٩٢٨ .

ومعنى هذا أننا رجعنا الى ما كنا عليه قبل سنة ١٩٢٨ قبل رفع الدعاوى . وكل ما يستطيع أن يفعله المجلس فى الوقت الحاضر هو الالتجاء الى القضاء . وهناك سيعيد التاريخ نفسه و يتصالح الطرفان . ونحن لا نعلم لما كل هذه الضجة التى أقامها المنياوى باشا وراغب بك اسكندر كأنهما فتحا روما . لينتظرا فاذا تسلما شيئا يستطيعان أن يهللا و يكبرا ، اما الآن فليس لهما أن يفتخرا بشىء .

اعمال المجلس مدة اربعة شهور

والناس يتساءلون ماذا فعل المجلس منذ أن ارتقى غبطة البطريرك المصلح عرش مارمرقس ؟ وهو رجل قلما تجود الأيام علينا بمثله ! توجد مشاريع كثيرة أمام المجلس لم يحقق منها شيئا . ولكنه استطاع فى الفترة بين تتويج غبطة البطريرك و بين يومنا هذا أن يقسم الكنيسة الى شطرين فى مسألة الأوقاف وأن يوجد اشكالا كبيراً جعل موقف غبطة البطريرك حرجا إن لم يكن قد نفر منه الشعب وأبعد عنه كل محبيه . وأن ينفق من أموال البطريركية الألوف والألوف فى سبيل الدعاية لأشخاص معينين بحيث أنه لم يحصل فى تاريخ الكنيسة نزاع مثل هذا النزاع الذى خلقه دعاة الإصلاح المساكين على حساب الكنيسة والشعب ، وعلى حساب الموقف وقد تدهور لكثرة ما يستنزفون من أمواله .

بوق دعاة الإصلاح والمجلس

لم يكتف هؤلاء المشاغبون بما أحد ثوه من ضروب الشقاق . ولا بما أصدروه من قرارات بعيدة التنفيذ بل راحوا فاتخذوا جر يدة مصر بوقا لهم على الرغم من أنهم يعلمون جيداً وجيداً أنها من الصحف التى تكاد تكون محتجبة لعدم عناية الناس بها بسبب سياستها الحالية التى تقوم على هدم الكنيسة وتحر يضها على الثورة ضد رجال الاكليروس . فهى إن صدرت اليوم محبذة أعمالهم بخاضعة لتصرفاتهم ولرقابتهم فلا يكتب فيها شىء إلا بإذنهم و باطلاعهم ولذلك فإن صوتها الخافت لا يصل الى أبعد من جدرانها . فهنيئا لهم بها وهنيئا لها بمال الوقف الذى قرروه لها « ٤٠٠ جنيه شهر يا » على حساب هذه الدعاية الضعيفة

ميزانية البطر يركية

وكان أول اصطدام حدث بين المصلحين من أعضاء المجلس الملى و بين المستقلين منهم أن طالب هؤلاء بعرض ميزانية البطر يركية عليهم . فسوّف المصلحون وأخفوا الميزانية . كما أخفوا عن العيون كل ما يطلبونه من بيانات خاصة بالاموال التى تنفق بأمر وكيل المجلس الملى العام دون علم المجلس أو لجانه و بعد الانتخاب القادم ستسمع العجب وكيف ذهبت اثنى عشر ألفاً من الجنيهات فى سبيل الدعايات الكاذبة والمجد الباطل .

مسألة الحبشة

وفى خلال هذه الفترة التى شن فيها المصلحون الحرب على الاكليروس والشعب والكنيسة ظهرت مسألة تحتاج الى حكمة وعقول متزنة . لكن المصلحين الإجلاء أسرعوا كعادتهم الى إصدار قرارات فيها زادت الطين بلة والموقف حرجا . فقد قرروا تأليف لجنة ستسافر الى اديس ابابا لتسو ية المسائل المعلقة وهى مسائل غاية فى الخطورة . فكانت ثالثة الأثافى . ومع كل هذا ومع حاجة مسألة الحبشة الى درس وبحث وخاصة ما تعلق منها برسامة أسقف حبشى فإن اللجنة ستباشر مهمتها وهو أمر يجعل انفصال الكنيستين أمر محقق .

الرقابة على القصر البطر يركى

لا نزاع فى أن القصر البطر يركى محاط بعيون من الرقباء فلا يمكن لأى انسان أن يقابل غبطة البطر يرك الا و يكون الحاجز بينهما واقفا ــ والحاجز هنا عزمى افندى نوار ــ وكانت آخر رقابة فرضت على غبطة البطر يرك أن وضعوا له سو يتش تليفونى . فإذا أراد انسان أن يتحدث مع غبطته تليفونيا فإن عامل التليفون وهو من أسرة عزمى أفندى نوار يلتقط المحادثة و يبلغها أولا بأول الى سيده عزمى افندى . حتى محادثات ديوان البطر يركية فإنها جميعها تحت الرقابة الآن .

من ٢٢ جنيها الى ٥٠ جنيها وتليفون خصوصى كمان

حينما وقع اختيار المجلس الملى على عزمى افندى نوار ليكون ناظراً لمدارسه فى سنة ١٩٣٩ كان حضرته مدرسا فى الدرجة السادسة بمرتب قدره ٢٢ جنيها فز يد بقدرة قادر و بامر من المنياوى باشا الى خمسين جنيها فى الشهر. وقد طلب المنياوى باشا له علاوة قدرها عشرة جنيهات أخرى فى هذين اليومين والمنظور أن تمر العلاوة من لجنة المدارس لأن الأمر أمر المنياوى وراغب اسكندر بك. وليت الأمر اقتصر عند هذا الحد بل أدخل المجلس الملى فرعا للتليفون بمنزل حضرة عزمى أفندى على حساب البطر يركية.

ان الشعب القبطى يطالب المجلس الملى ان يكون سكرتير غبطة البطر يرك رجلا من رجال الدين.

هل هذا انتصار أم اندحار؟

فى وسط هذا النضال العنيف القائم بين المجلس الملى والاحبار تتضائل قوة الكنيسة وتئن من أعماقها أنين الألم والشجن لأن فر يقا من أبنائها يحاولون السيطرة عليها وعلى شئونها الدينية والمدنية جملة واحدة. ومن أجل ذلك أخذوا يقاومون رجال الدين. وأخذ رجال الدين يدافعون بكل قواهم للمحافظة على كيانهم مما أدى الى اشتداد المقاومة حتى أصبحت تشبة مصارعة شديدة بين اخوين يتناوبان فيها الملاكمة ليل نهار. وأمهما وهى الكنيسة تقف متوجعة متألمة تتقطع أحشاؤها من كثرة ما أصابها

نعم قد يفوز أحدهما. ولكنه فوز معدوم النتيجة النفع معدوم المصلحة. بل فوز مضر قد أساء الى الكنيسة والى الشعب. يخرج منه الغالب والمغلوب منهوكى القوى. ضعيفى الجانب فلا هو استفاد من صراعه ولا هو أفاد منه احداً. ولا هو استطاع بعد طول هذا الجهد أن يرفع من شان الشعب ولا من شان منشآته، ولا أن يحفظ كيان الكنيسة المسكينة التى أخذت تتمزق إرباً وتنهار ألماً وتنطوى فى سجل الأحداث حزنا وشجنا. وكل ذلك من أجل تنفيذ فكرة فقط ومن أجل السيطرة والاستعلاء ومن أجل أن يقال فاز فلان وفشل فلان... ارحموا الكنيسة وارحموا ابناءها وأسرعوا الى الاتحاد ففى الاتحاد قوة وكل خير وتعاون وسلام.

أنرثى الكنيسة فى محنتها الحاضرة؟

و يؤلمنا ونحن نكتب هذه الكلمة أن نبكى حالة الكنيسة التى أصبحت فيها بمشاغبة بعض المدعين الاصلاح نبكيها بكل دموعنا، وقلوبنا، نبكيها بدمائنا التى روتها فى عصر الشهداء وما بعده، نبكيها لأن هؤلاء المشاغبين يهدمونها و يريدون أن يرتفعوا على أنقاضها، والله عليهم وعلى من ينصرهم رقيب حسيب.

نبكى الكنيسة فى أيامنا هذه لأن نفراً يريدون تمزيقها والقضاء عليها . نبكيها لاننا لو جمعنا كل مراثى ايوب وارميا وغيرهم لما وفينا حالة الكنيسة حقها . ولكن بكاءنا هذا انما يتصاعد الى عرش العلى وهووحده الذى ينتقم لكل من يمس بيعته الطاهرة وكل من يناهضها حبا فى الظهور والادعاء بطلب الاصلاح .

إفشاء أسرار الكتب المتداولة بين الأحبار والبطريرك

حضرة صاحب جريدة الوطنية الغراء

سمعنا سعادة المنياوى باشا يتلوخطابا فى الحفلة التى أقامها المجلس الملى بجمعية التوفيق . يقول إنه صادر من نيافة مطران القدس فى اغسطس سنة ١٩٣٩ وأخذ يعلق عليه بما يؤيد وجهة نظر سعادته ومجلسه الملى .

فهل تبيح قوانين الكنيسة إذاعة كتاب صادر من أب روحى الى بابا و بطريرك الكرازة المرقسية ؟ بلا إذنها أو اتفاقهما كليهما على النشر؟؟ أولا يعتبر هذا الخطاب الخاص ضمن الأسرار الواجب صيانتها ؟ أرجو الإجابه مع قبول الشكر سلفاً

شاكر خليل

و « الوطنية » تجيب على سؤال حضرة القارىء الأديب أنها حولت سؤاله على أرخن كنسى دينى للإجابة عليه فتفضل بهذا الرد قال

إن قوانين الكنيسة لا تبيح مثل هذا العمل الصغير وكذلك لا تبيحه آداب السلوك ولا واجب اللياقة فإذا ما أباح وكيل المجلس اليوم تلاوة الخطابات الخاصة الواردة للقصر البطريركى فى عهد البطريرك السابق لتعضيد وجهة نظره فكيف لا يذيع غداً مكاتبات البطريرك الحالى لأى سبب من الأسباب ؟

أسرار القصر البطريركى على ما يظهر فى عهدة رجال غير مسؤولين يستبيحون كل شىء فى سبيل تحقيق أغراضهم الخاصة . وليس الذنب فى هذا ذنب سعادة المنياوى باشا انما هوذنب سكرتيرية البطريرك المؤتمنة على أسرار الدار البطريركية فكيف سلمتَ هذا الخطاب ليعرض على السوقة كما يستعرض طالب العيش القردة ليستدرعطف المتفرجين فيجودون عليه . ومن الذى يحول بين أعضاء المجلس الملى وإذاعة خطابات القصر البطريركى ليستجدوا بوساطتها أصوات الناخبين يوم الانتخابات

إن الوطنية طالما نددت بوجود سكرتيرين مدنيين لغبطة الأب البطريرك والحث على

وجوب اختيار السكرتير البطريركى من رجال الاكليروس الذين يحتم عليهم واجبهم الدينى ونظامهم الكنسى صيانة الأسرار، ولو تعرضت حياتهم للموت . وها هى الظروف تحقق صدق فراستها فى سكرتيرية السادة الأشراف العلمانيين الذين يقدمون الخطابات التى تحمل أسرار سيدهم للنشر تفكهة للناس فى الحفلات العامة . وهكذا تكون الكرامة وهكذا تكون الشهامة وإلا فلا

حول المشكلة القبطية

لقد اسمعت لوناديت ...

نشرت مجموعة بنجوين الخاصة كتيبا وسمته بعنوان « ماذا يقول هتلر » تحدثت فيه عن بضعة فقرات من خطب هتلر منذ عام ١٩٣٣ حتى اليوم ، وضحت فيها مطامعه وتقلبه وتأرجحه بين اهواء هذه المطامع ، وأنه لم يكن رجلا جادا فى أى وعد قطعه ، وانه عندما كان يتحدث عن مراحل القتال كان داعية أجوف ولا اكثر من هذا ...

وقد ذكرنا هذا الكتيب بعدة كلمات نشرتها زميلتنا الوطنية عن احاديث لسعادة المنياوى باشا وكيل المجلس الملى العام قيل ان سعادته القاها فى عدة حفلات للدعاية للمجلس لم يحضرها بالطبيعة وعقدت فى جمعية ثمرة التوفيق وكنيسة مارمينا ومدارس النهضة بشبرا ، والتعقب لاحاديث سعادته هذه يرقب تطوره الى الديكتاتورية الزعامة التى يعمل لها سعادته و يبذل لها الجهود والاموال ولكنها لن توصله الا الى باب المجلس الملى عندما يهزم فى المعركة الانتخابية .

والذى يعنينا اليوم هو حديث سعادته فى المكان الاخير الذى يقول فيه (**إن كان البطريرك يحب أن يعالج الامور بالحسنى لحبه السلام ، واذا كانت شيخوخته تستدعى الهدوء فاننا سنسير فى محاكمة المطارنة رضى البطريرك أولم يرض** » ونخرج من هذا إلى أمرين اثنين

١ ــ ان المنياوى باشا كان يضحك على سامعيه عندما قال فى ساحة جمعية التوفيق « ان البطريرك هو الدينامو الذى يدفعنا بقوة للاصلاح ــ ولا يفتأ يحرضنا بقوله اعملوا اعملوا ولا تتهاونوا »

٢ ــ ان وكيل المجلس الملى الذى يقول (ان الاب البطريرك هو الذى يشرف على لجاننا و يرأسنا) قد قرر الخروج على هذا الرئيس لانه يحب السلام

وكيف تتفق كلمات الدينامو الدافع القوى وكلمات الشيخوخة التى تتطلب الهدوء

سالم سيدهم

الوطنية ٣٠/٨/٤٤
ملحق ٤ ب

حبيب باشا المصرى يتحدث

توجهنا يوم السبت الماضى إلى القصر البطر يركى للسلام على حضرات أصحاب النيافة المطارنة الأجلاء فوجدنا ساحته عامرة بعدد محترم من حضراتهم . فجلسنا نتمتع بأحاديثهم الطلية فترة طويلة من الزمن ، وفى أثناء ز يارتنا أقبل حضرة صاحب السعادة الأستاذ حبيب باشا المصرى تصحبه كريمته الآنسة المهذبة اريس . و بعد أن استقر به المقام طلب كأس ماء ، فنادى الأحبار بفراش الدار مراراً وتكراراً لإحضارها ... بدون جدوى . إلى أن انتزع حضرة صاحب النيافة الأنبا توماس كوبة ماء انتزاعاً لكى يكسب الأجر السماوى الذى قرره المسيح له المجد لمن يعطى أخاه كأس ماء بارد . وهنا حصلت مقارنة بين كرم القصر البطر يركى فى عهده الحاضر وعهده الغابر ، و بين كرم الفلاية البطر يركية وكرم بناتها مطرانيات الابروشيات فى القطر المصرى .

وعلق حضرة الأستاذ الكبير كامل صالح نخلة المؤرخ المدقق على هذه المقارنات بما حصل له شخصياً منذ بضع سنين فقال (انتدبتنى الحكومة المصر ية مع زميلى المرحوم الاستاذ متى بك ابراهيم فى مهمة رسمية سنة ١٩٢٩ بمدينة سوهاج فوصلنا اليها فى الساعة الثامنة مساء ، وطرقنا أبواب جميع فنادقها لنجد مأوى وطعاماً فلم نوفق الى ذلك ، ففكرنا فى الرجوع إلى القاهرة بالقطار التالى . وحينئذ عنّ لى أن أقصد دار المطرانية فلم أتردد فى طرق بابها وتبعنى زميلى بعد تمنع ، وهناك لحسن حظنا وجدنا حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا بطرس فى ساحة المطرانية يحف به أراخنة الأبروشية . فلما لمحنا رحب بنا كما يرحب الوالد الحنون بأولاده بعد غياب طو يل ، وصرف أبناءه بظرف ليتفرغ لمؤانستنا ــ فوجدنا فى داره العامرة مقاماً طيباً . ومكثنا فى ضيافته الحاتمية سبعة أيام كاملة كانت أحلى أيام العمر . ولم نستطع أن نعود الى القاهرة ونتخلص من ضيافته إلا بعد أن أطلعناه على أوامر المصلحة واستمارات السفر . وعلى ضرورة سفرنا بعد هذه المدة التى قضيناها هنا . ولولا وجود مطرانية سوهاج المضيافة لما استطعنا أن نقوم بمهمتنا المصلحية .

وهنا سأل سعادة حبيب المصرى باشا نيافة الانبا توماس عما حصل من بعض أبنائه فاطلعه نيافته على التلغراف الذى أرسله المجلس الملى الفرعى بطنطا يحرمه فيه من وظيفته ويمنعه من الرجوع الى كرسيه . فابتسم الحاضرون لهذا السخف ، فقال حبيب باشا إننى لا أستسيغ

حتى الابتسام أزاء هذه الحوادث الشاذة . فأجابه نيافة المطران ــ ولكن لا تنسى ياباشا « أن شر البلية ما يضحك » وقال آخر . ولا ننسى أيضاً « أن الطير يرقص مذبوحاً من الألم » .

وهنا قال حبيب باشا لقد تطورت الأمور بالكنيسة القبطية تطوراً سيئاً جداً . و بلغت حداً لم تبلغه فى أشد الكنائس تطرفاً ، وأبلغها استهتاراً بنظام الكهنوت . فإن البروتستانت الذين نعيب عليهم عدم اعترافهم بالرتب الكهنوتية لا يجرأون على حرمان شماس عندهم قبل عرض أمره على مجلس الكنيسة التابع لها ، وإذا لم يقتنع بالحكم رفع أمره الى المجمع الاقليمى التابع له . وله أن يستأنف الحكم الى السنودس المشيخى العام .

أما عندنا فإن مجلس ملى فرعى الذى انتزع منه آخر اختصاص له . لا يرى غضاضة أن يجتمع أعضاؤه و يشلحون مطراناً . هذا قلب للأوضاع ، وهدم للمنطق المألوف ولعب بالمعقول والمنقول .

وهنا لاحظ القمص سرجيوس بأن تعدى المجلس الملى العام فى حادث الأستاذ وديع سعيد على قرار المجمع المقدس كان مشجعاً لمثل هؤلاء على ارتكاب مثل هذا الخطأ « والناس على دين زعمائهم » فأجابه حبيب باشا بقوله :

(أنت تعلم . كما يعلم الجميع . أنى كنت غائباً عن الجلسة التى قرر فيها المجلس قراره هذا . وتعلم أننى فى الجلسة التالية حاولت جهدى أن أعرض الموضوع مرة ثانية على بساط البحث للنظر فيه . فخذلنى الأعضاء المكرمون . وحتى أولئك الزملاء الذين قدموا استقالتهم فى الجلسة السابقة التى صدر فيها القرار. لم تكن لديهم الشجاعة الأدبية الكافية لكى يؤازرونى فى موقفى لتصحيح ذلك القرار الشاذ . فأنت ترى أننى برىء من الذنب الذى تريد أن تحملنى وزره الآن . وهنا قال آخر : ولكنه الإصلاح ياباشا هو الذى يدفع القوم إلى هذه المواقف ؟!

المشكلة القبطية

الناخبون ..

نشرت الأهرام فى جوار باب الاجتماعيات إعلانا مأجورا للمجلس الملى الحالى يتحدث فيه المجلس عن أن قوائم أسماء الناخبين قد الصقت بالمحل المعد لذلك بالديوان البطريركى ، وطلب المجلس من أفراد الطائفة ناخبين وغير ناخبين أن يقدموا الطعون فى هؤلاء الذين أدرجت اسماؤهم فى الكشوف المذكورة كتابة فى ظرف الأيام السبعة التى تلت هذا اللصق أى من يوم ٨ سبتمبر .

ومعنى هذا أن المدة تنتهى فى يوم ١٤ سبتمبر . وقد وفر علينا المجلس الملى بإعلانه ما كنا

نرجوه نحن من افراد الطائفة القبطية أن يوزنوا الأمر بمعيار الحق وصالح الكنيسة أى وصالح الطائفة فلا يتركون مطعنا لا يتقدمون به مهما كان الفرد أو الافراد الذين يجدون فيهم أى مطعن .

ونحن بالاضافة الى هذا نرجو ملتمسين من أفراد الطائفة أن يكتبوا الينا أو الى زميلتنا الوطنية بما تقدموا به للمجلس الملى من طعون حتى نستطيع أن نتعرف لهم ماذا كانت نهاية هذه الطعون التى تقدموا بها ، والطعن فى المنتخب لشيء يعطل من انتخابه مسألة قومية صحيحة لا يجب أن تقف فى سبيلها صداقة ولا يجب أن تغفل لأى سبب مادى أو معنوى ، بل أن الذى يترك هذا الأمر عن قصد أو عن إهمال إنما يفرط فى حقوق نفسه وفى حقوق الطائفة القبطية كلها ، لأنه إذا صلح الناخبون صلح الانتخاب ، وكانت النتيجة نصراً للكنيسة .

وقد يكون هذا الموعد قصيراً سيما إذا لوحظ أن الطعن يتطلب تحقيقا فلا يجب أن يساق عن هوى فى النفس ، ولا لشكوك عاجلة لا تقوم على صحتها أدلة مادية ، وكان لزاما على المجلس أن يطيل هذا الأمد لأسبوعين كاملين على الأقل .

والأمر الآخر الذى نرجوه هو أن يعمل المجلس لوجه الله هذه المرة فيعمل صالحا بتحقيق هذه الطعون ووضعها موضع التقدير ! !

إن الله هو الذى يعلم الغيب . . . ولكن ما تفعل من شر إنما مرجعه اليك وحدك .

فليتدبر الناس الأمر . . . ولا يجب أن يتهاونوا فى أية ناحية من نواحى هذا الانتخاب القادم ، لأنه هو وحده المقياس على تماسك الأفراد كلهم من أجل صالح الكنيسة وصالح رجالها .

والله ولى التوفيق

« سالم سيدهم »

حفلة الجمعيات القبطية

دعت الجمعيات القبطية يوم الثلاثاء ١٧ الجارى (أكتوبر) . جمهور ناخبى المجلس الملى العام إلى حفلة انتخابية اقامتها بساحة مدرسة الأيمان الثانوية للبنات بجزيرة بدران . فلبى الدعوة نيف والف ناخب . ولاحظنا على هذه الحفلة . الجد والنظام والابتعاد عن التهريج والاقتصاد فى

التصفيق والهتاف . لأن الناخبين رغبوا أن يدرسوا الموقف على ضوء الحوادث لكى يؤدوا مهمتهم بأمانة واخلاص . مراعين المصلحة العامة قبل كل شيء .

وفى الساعة السادسة إلا ربع ألقى الأستاذ حبيب المصرى باشا خطيب الحفلة خطاباً شاملا أتى فيه على كل مايهم الناخب الوقوف عليه من شؤون الأمة القبطية . وراعى فى القائه الصراحة . والتؤدة . لكى يفهمه الجميع . وتخلل الخطاب أسئلة وجهها اليه الحاضرون فكان يجيب عليها واحداً واحداً : واستغرقت المحاضرة ساعة ونصف الساعة .

خطاب الأستاذ المصرى باشا

قال المصرى باشا فى مستهل كلامه ــ ليس موضوع اليوم يدور حول الأشخاص وليست المعركة الأنتخابية لكى يفوز فيها المنياوى باشا أو حبيب المصرى . وإنما الموضوع هو مصلحة الطائفة أولا . والسياسة التى يجب أن يتبعها المجلس الجديد لكى تنال الكنيسة مبتغاها : فدعونا من الأشخاص وتعالوا بنا ندرس الموقف على ضوء الحوادث . فبعد ارتقاء غبطة البابا أنبا مكاريوس للكرسى المرقسى صارحنى سعادة المنياوى باشا بأنه وإخوته أعضاء المجلس هم الذين أرسلوا غبطته إلى الكرسى . وطبيعة الحوادث والمنطق تقرر أنه وإخوته منسجمون مع غبطته و ينتجون خيراً وإصلاحاً للكنيسة . وموقفى لا يمكننى من مسايرة المجلس فى خطته الجديدة . فتولتنى الدهشة لهذه المفاجأة غير المنتظرة ولكننى لم أعارض . فقدمت استقالتى حباً فى اتمام الإصلاح المزعوم ومكثت ست شهور بعيداً عن المحيط الملى أترقب الحوادث :

وهذه نتائج الانسجام الموهوم

تعقدت مسألة اثيوبيا بسياسة المجلس الحالى . ففى سنة ١٩٤١ سعيت لدى الأمبراطور فى إرجاع نيافة الأنبا كيرلس مطران الحبشة إلى كرسيه . وتكونت لجنة قوامها صادق باشا وهبة . فرج بك موسى . مريت بك غالى لمرافقة المطران إلى اثيوبيا . ولم أرافق الوفد لمرضى ووجودى بالمستشفى فى ذلك الوقت : ولما رجع الوفد حمله جلالة الأمبراطور مطالب عديدة لكى يدرسها المجلس الملى ويحققها . فماذا عمل المجلس بعد ارتقاء البابا ؟ كون لجنة أخرى وأرسلها إلى اثيوبيا بالرغم من نصح عقلاء الأمة له بعدم إرسالها : وأدخلوا فرج بك موسى عضواً بهذه اللجنة دون أخذ رأيه فرفض أن يسافر معها لأنه يعلم الموقف : وأن المجلس لم يرد على مطالب الأمبراطور القديمة . فليس من المعقول أن يتوجه الوفد وهو غير مزود برأى الكنيسة القبطية فى مطالب ربيبتها الاثيوبية و بالرغم من كل ذلك فقد توجه الوفد مزوداً بمطالب جديدة افدح من القديمة . وعلى أثره شرف مطران اثيوبيا القاهرة وأصبحت العلاقة بين الكنيستين أسوأ مما كانت عليه سنة ١٩٤٢ بفضل سياسة المجلس الملى الحالى .

أما موضوع الأحوال الشخصية فهو ثالثة الأثافي : ففي سنة ١٩٣٦ وضع حضرة صاحب الرفعة على ماهر باشا قانوناً للأحوال الشخصية لغير المسلمين . وكان من أحسن القوانين ضماناً لصيانة المسيحيين فلم يقبله المجلس الملى إذ ذاك لا لأنه غير واف بالغرض . بل لإبقاء القضاء الأحوال الشخصية فى حضن الكنيسة ولصيانة العائلة المسيحية من الابتذال .

وقدمت الوزارة السابقة للمجلس الملى الحالى مشروعاً آخر وكان تقديمه فى خلال المدة التى كان يسعى فيها المجلس لاستلام الأوقاف . فألغت لهم الوزارة قرار سنة ١٩٢٨ وهو قرار باطل من طبعه . وقدم لهم وزير العدل السابق مذكرة فى الأوقاف لم تطلب منه . ليسلموا بوجهة نظره فى مشروع الأحوال الشخصية وفعلا قد سلموا على طول الخط . ولما ثارت الأمة ضد القانون تراجعوا . وقدموا مذكرتهم التاريخية المعروفة .

السياسة الجديدة

هذا هو الموقف بدون مبالغة . وهذا ما عرفه الناس جميعاً . فهل ماتم الآن فى مصلحة الكنيسة ؟ لقد شعر ثم شعر الجميع بوجوب وضع حد لهذه الفوضى . وإرجاع الأمور الى نصابها . وهذا لا يكون الا باختيار هيئة جديدة : تقوم بسياسة جديدة مبنية على الوفاق والتوفيق الأمر الذى لا يمكن أن تقوم به هيئة المجلس الملى الحالى والتوفيق مستطاع وفى حد الإمكان . وهناك استعداد كبير للتسليم بوجهة نظر الشعب من جانب الرئاسة الدينية إذا ما أحسن اختيار نوابه بالمجلس الملى . وهناك استعداد من الكنيسة لوضع نظام حسابى دقيق لأوقاف الأديرة ومساعدتها لمشاريع الطائفة الكبرى من فائض ريع هذه الأوقاف . وهنالك استعداد قوى من جانب الأب البطريرك فى إتمام الإصلاح المنشود العملى وله فيه من ٢٠ سنة برنامج أعجبت به الأمة . ويرغب فى إتمامه . وهنالك استعداد من الكنيسة القبطية لإرضاء ابنتها الاثيوبية وإجابة مطالبها المعقولة داخل دائرة القوانين والتقاليد الرسولية القديمة .

وهنالك تصميم من جانب الكنيسة لصيانة العائلة من عبث التشريع الجائر الذى يضمر لها الشر . وهنالك استعداد كبير ورغبة ملحة فى الأتحاد من جانب الرئاسة مع الشعب . وكل ذلك تحقيقه متوقف على حسن اختياركم لأعضاء المجلس الملى . ولقد أصبحنا فى موقف لانحسد عليه . وتعطلت مصالح الكنيسة فهنالك أبروشيات هامة فى حاجة الى رسامة مطارنة لها . وتندهشون حينما تعلمون أن مدينة أسيوط العظيمة ليس بها الآن الا قسيس واحد يقوم برعايتها .

وهنالك اثيوبيا تنتظر جواب أمها وهى على أحر من الجمر . وقد حرمت هى الأخرى من وجود رئيسها الدينى فيها

أيها الناخبون . لقد أصبح أمر حل هذه المشاكل فى أيديكم فاعملوا على إيجاد رجال واسعى الحيلة . رحبى الصدور ليقوموا بخدمة مصالحكم على الوجه الأكمل .

وانتهى الخطيب من محاضرته فى الساعة السابعة والربع مساء . وقد عاتب جريدة مصر لتعمدها اغفاله . وعدم ذكر اسمه إذا ما اضطرت أن تشير اليه . وقال أننى كنت ولا أزال صديقاً لمصر . ومؤسس مصر المرحوم تادرس بك شنوده المنقبادى . وذكر حادثة تدل علىٰ هذه الصداقة فقال :

« جاءنى صاحب مصر يوماً . وقال لى لقد أغلقوا جريدة مصر وأحالونى الى القضاء . فأرجوك ان تجد لى مخرجاً من هذه الورطة ، فطلبت منه أن يحضر الى الأحكام فأحضر خمسة منها . واستخلصت من اثنين منها مذكرة جاءت فى ٣٠ صفحة فولسكاب باللغة الفرنسية انقذت مصر وصاحبها من المحاكمة » .

ملحق ٥ ب

آخر ساعة الخميس ٤٤/١٠/١٩ قبيل الانتخابات المليه التى انتهت فى ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٤٤

سياسة التفاهم وسياسة الخصام والانقسام

« إن الأقباط يطالبون بالإصلاح منذ خمسين أو ستين عاماً . وإن كلمة الإصلاح تعنى فى نظر الكثيرين الحرب بين الأكليروس والشعب ولكن الخبرة اثبتت لى أن الإصلاح لا يمكن أن يتم إلا بتآزر الجانبين ووقوفهما كتلة واحدة لأن المحبة هى التى تنشىء وتخلق . اما الكراهية فلا يمكن أن تثمر ثمراً صالحاً — والتفاهم مستطاع دائماً بين الناس الذين لا غرض لهم ولا مصلحة شخصية ، وانما يضعون نصب أعينهم خدمة المصلحة العامة ووجه الله فهؤلاء ينشدون التفاهم . و ينتهون اليه حتما » .

« انى أعد هذا اليوم فاتحة عهد جديد لأن المجمع المقدس والمجلس الملى العام لم يصدر كل منهما قراراً منفصلا ولم يعد كل منهما نفسه معسكراً قائماً بذاته ، بل اصدرا قراراً وقعوا عليه جميعاً ، بوصف انهم كتلة واحدة ممثلة لمصالح الشعب الدينية والمدنية وبهذه المثابة يمكن أن يعد المحضر الذى وقعوه اليوم وثيقة تاريخية لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الأقباط فى السنوات الأخيرة » .

هذا ما قاله حضرة صاحب السعادة حبيب المصرى باشا يوم انتخاب القائمقام البطريرك الأنبا يوساب — وحبيب باشا بطل من أبطال الحركة الملية القدماء المتطرفين الذين جاهدوا فى سبيل الإصلاح سنوات عديدة و بعد هذا الجهاد الطويل علمه الاختبار بما قاله من الحكم البالغة

والوقائع الصحيحة — وعندى أن حوادث الأمة القبطية فى الستين السنة الماضية تؤيد كل حرف من مقال المصرى باشا . فبسياسة المحبة والتفاهم استطاع رجل واحداً وهو المرحوم أرمنيوس بك حنا أن يقوم بمشاريع طائفية وأمور إصلاحية لم يستطع رجال المجلس الملى جميعاً أن يقوموا بجزء منها فى ستين سنة . واليك الإصلاحات التى قام بها هذا الرجل الفذ فى مدة وجيزة .

١ — زاد إيراد أملاك البطريركية مبلغ ٩٧٥ جنيها .

٢ — قام بزخرفة الكاتدرائية الكبرى . ودهنها بالزيت . وعمل أبوابا زجاجية للأبواب العمومية ، وطبق حجاب الهياكل من الداخل بالخشب — وعمل شبابيك خرط . انتيكة للكنيسة من الخارج . وزودها بالمقاعد الكافية وملابس الكهنة والشمامسة واشترى لها الكراسى الخيزران والثريات اللازمة .

٣ — أصلح دير الأنبا رويس وكنيسته — وأحدث فيه مساكن لفقراء الدير . وشيد قصراً بطريركياً وفرشه بالأبسطة العجمية . وزوده بالأثاث اللازم وفرش الكنيستين بالحصر والأبسطة . و بنى بوابة الدير على الطراز الحديث .

٤ — جمع تبرعات طائلة من الشعب القبطى للمشروعات العامة قدرها ١٥٠٠٠٠ جنيه مصرى بنفوذ البطريرك (كيرلس الخامس) .

٥ — اشترى من هذه التبرعات سراى مهمشة ونقل اليها المدرسة الاكليريكية . واشترى أيضا ٣٦٥ فداناً دفع عربونها من هذه التبرعات . وأتم بناء المدرسة الصناعية ببولاق .

هذا ما انتجته سياسة التفاهم بين قبطى واحد ورجال الاكليروس فى قليل من الزمن .

ولكن المجلس الملى الحالى لا يؤمن بهذه السياسة ، وانما يعتبر نفسه معسكراً قائماً بذاته . ومن واجبه أن يحارب معسكر الاكليروس وهذه هى النتائج التى حصل عليها من سياسته هذه فى دورته الحالية .

١ — خسر أفضل أعضائه وأشدهم إخلاصاً . وهم مراد وهبة باشا تكلا بك ميخائيل وكامل بك ابراهيم وحبيب المصرى باشا .

٢ — أثار الرهبان على الأديرة . وساعد ثورتهم بمبالغ طائلة من خزانة الديوان البطريركى .

٣ — عطل المجلس الملى الفرعى القاهرى ستة شهور كاملة — ذاق خلالها المتقاضون مرارة الأنتظار وضياع مصالحهم .

٤ـ أضاع على الأقباط فرصة نادرة . وهى فرصة ارتقاء غبطة البابا الأنبا مكار يوس التى لو استثمرها لحصل على تبرعات شعبية هائلة كانت تكفل تحقيق كثير من الإصلاحات المطلوبة .

٥ـ قلل من هيبة المجمع المقدس . وجرّأ الطامعين على الأعتداء على حقوق الكنيسة ودفع فى سبيل ذلك ٢٠٠٠ جنيه .

٦ـ عضد الحركة الأنفصالية التى يقوم بها المتطرفون من شباب اثيوبيا .

٨٥ / ٥٨٢١

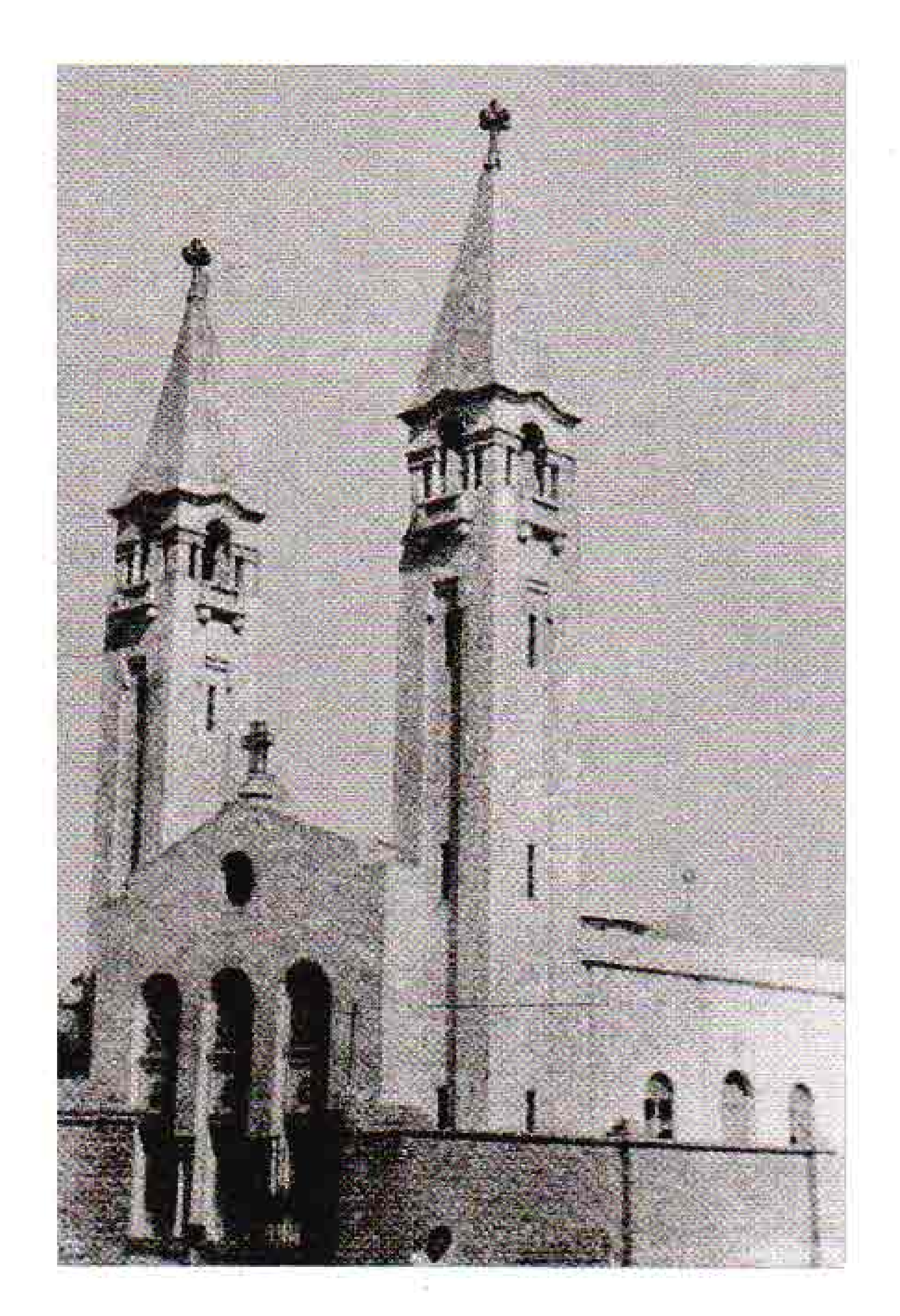
٩٧٧ ـ ١٨٧ ـ ٠٦٧ ـ

طبع بشركة هارمونى للطباعة

تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)



القمص متياس تاوضروس (ف ١٢٨ جـ)

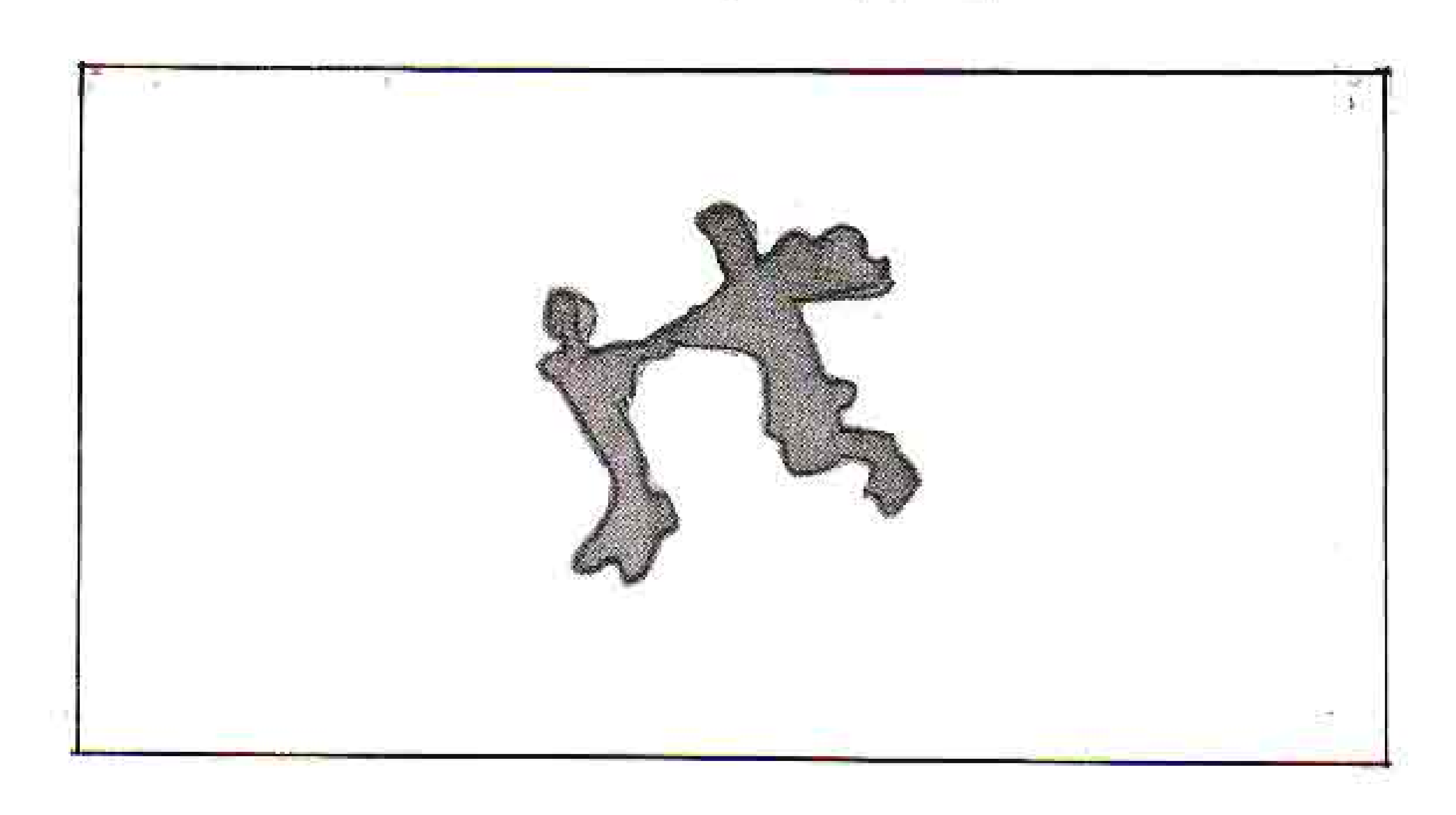


كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس
بشبرا البلد

تقع هذه الكنيسة على شارع هو الفاصل الوحيد بينها و بين قصر محمد على (الذى أصبح الآن كلية الزراعة) . وكان عرض الشارع أولاً عشرين متراً ، فرأى الملك فاروق وجوب توسيعه ليليق بقصر جده الكبير . وقرر أن يوسعه عشرين متراً أخرى على أن تؤخذ كلها من الناحية المقابلة للقصر ولو أن هذه الرغبة نفذت لانهدم نصف الكنيسة (طولا) . وكان القمص يوسف الدير راعى الكنيسة ناظراً لمدرسةٍ أولية من المدارس التابعة لجمعية السيدات لتربية الطفولة . فعند اجتماع تلاميذ كل المدرسة للصلاة صباح اليوم التالى لسماعه هذا الخبر قال لهم بعد أن انتهوا من الصلاة : « يا أولادى سنصوم جميعا ونقيم القداسات خلال الأيام الثلاثة القادمة لكى يحفظ لنا الله كنيستنا . وقولوا لوالديكم أن يصلوا و يصوموا و يأتوا الى الكنيسة » . ثم أبلغهم ما سمعه عن توسيع الشارع . فأطاعه الجميع . وكانوا بعد الانتهاء من القداس الالهى يترنمون بتمجيد للشهيد العظيم مارجرجس . وفى آخر ذلك الأسبوع كان القمص يوسف الديرى خارجاً فرأى مهندساً يقيس المساحة من ناحية القصر . فحياه واستفهم منه عما يعمل . أجابه : « لقد صدر الأمر بتوسيع الشارع . ولما سمع الملك بأن هناك كنيسة على الناحية الأخرى شدد الأمر بأن يكون التوسيع كله من ناحية القصر كى لا تتعرض الكنيسة لأى تكسير » . وهكذا بالصوم والصلاة و بالاستشفاع بالشهيد البطل حفظت الكنيسة ومازالت باقية ترتفع مناراتاها نحو السماء .



أمين حبيب المصرى (ف ١٣١ جـ)



« مصارعة ملاك حتى مطلع الفجر »

تكوين ٣٢ : ٢٤

أو « مصارعه انسان حتى طلوع الفجر »

أول انتاج بذله أمين المصرى وعمره آنذاك خمس سنوات ونصف وهو الحفيد الذى يحمل اسم جده إذ شاء أبوه أمين ان يكون هذا الاسم حافزا للجهاد الدؤوب (تابع ف ١٣١ حـ)



المؤلفه وأمها السيدة سليمة مينا عقد مدرسة تابعه لجمعية السيدات القبطية لتربية الطفولة بجى غبريال بالاسكندرية



حبيب المصرى وحرمه سليمة مينا (ف ١٣١ أ و ب)



الأرشيدياكون ورئيس شمامسة حبيب جرجس
معلم لاجيال عديده (ف ١٣٠)

دير السلطان

عاش صلاح جلال المحرر باخر ساعة داخل دير السلطان فى قلب المدينة المقدسة «القدس» وشهد الحياة الرقيقة الشفافة التى يعيشها رهبان الدير من أقباط مصر وضيوفهم من الرهبان الأحباش ..

وفى داخل الدير كلية للتعليم كان بها مدرسون من القاهرة وكانت نتائجها الدراسية ٩٨٪ وتعتبر من أحسن مدارس الأردن انْ لم تكن أحسنها ..

وفجاة ثارت العواصف المريبة مرة واحدة وتحولت الحياة الرقيقة الشفافة فى داخل دير السلطان الى سحب وغيوم واستفزاز

ومبنى دير السلطان هبة من صلاح الدين الأيوبى للقبط تقديراً منه لخدماتهم ولولائهم ، واعترافاً منهم بفضله أعطوا هذا الاسم للدير الذى فرحوا بالحياة فيه . ثم افتتحوا به مدرسة باسم «الكلية الأنطونية».إذ أن غالبية الرهبان الخادمين فى الأراضى المقدس من دير الأنبا أنطونيوس .

ولقد طردت الحكومة المحلية الأحباش من أديرتهم وكنائسهم منذ ثلاثة قرون لعجزهم عن دفع الضرائب المقررة عليهم . فاستضافهم القبط حرصاً على عقيدتهم وتوفيراً لهم السبيل للبقاء فى القدس على أساس أنهم ضمن أولاد الكنيسة القبطية . وخلال القرون الثلاثة حاول الأحباش محاولات عديدة للاستيلاء على الدير وإخراج الأقباط منه . وكانت محكمة القدس الشرعية تعيد الحق الى أصحابه فى كل مرة .

و يقول المحرر بآخر ساعة ــ صلاح جلال ــ «دخلت الى الدير السلطانى والتقيت بالراهب القبطى بطرس البرموسى و بالرهبان الأحباش الذين أخيرونى بأنهم ضيوف قدامى وأنهم يتمتعون بمحبة إخوتهم الأقباط و برعايتهم فى منتهى المحبة . وزرت الرهبان الأحباش فى صوامعهم بمرافقة مندوب من مصلحة السياحة الأردنية . وسمع بنفسه ثناءهم على الرهبان القبط كما سمع اعترافهم بأنهم ضيوف» .

«ودخلنا من باب جانبى الى الكلية الأنطونية التى التقيت فيها بالمدرسين المصريين التى كانت وزارة التربية والتعليم قد أعارتهم للعمل بها ، وعلى رأسهم فوزى سليمان دينامو نشاط الكلية . والتقيت بالطلاب من أبناء فلسطين والقدس ....»

«وطلبنا من مندوب السياحة الأردنية أن يأخذنا الى كنيسة القيامة . فقال لنا إن الدير هو الممر الطبيعى الموصل بين البطريركية القبطية وكنيسة القيامة . ولكننا سرنا من طريق آخر ــ فبدأنا مشواراً طويلا فى أحشاء القدس ودهاليزها ووسط الزحام الشديد . وطال بنا المسير . وكنا سنوفر هذا المشوار لو أننا مررنا من دير السلطان لأنه يقع على سطح مغارة الصليب وهى إحدى كنائس القيامة نفسها .... ومعنى انتزاع الدير من الأقباط صعوبات لاحد لها بالنسبة للحجاج المصريين . ومعناه ساعات طويلة مرهقة يمضونها فى دروب ومسالك القدس للوصول الى كنيسة القيامة .....»



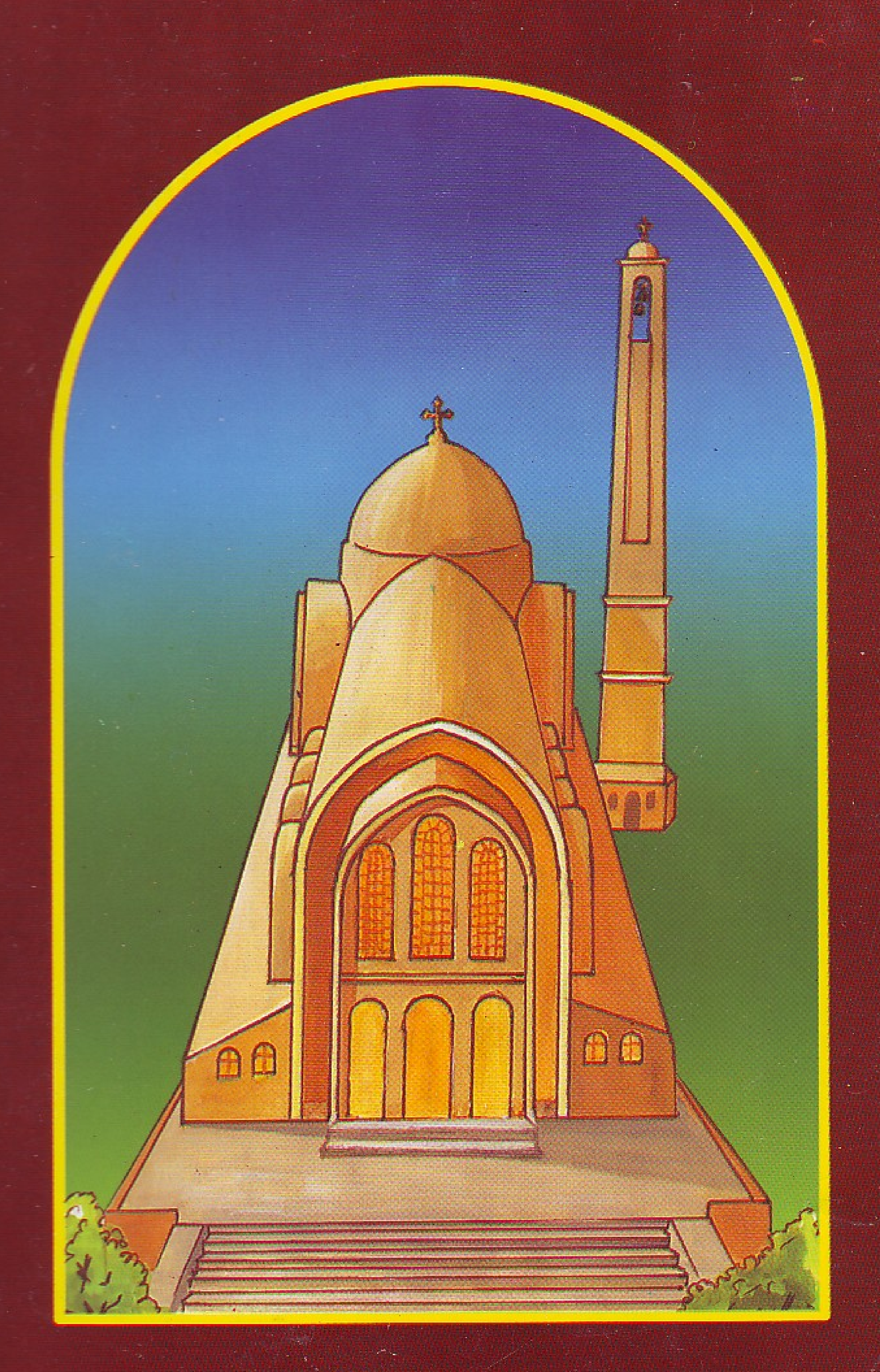
الانبا يؤانس : مطران الجيزة سافر الى الاردن على راس وفد ومعه مستندات و وثائق ملكية الدير السلطاني لاقباط مصر وكنيستهم ....

و بعد مفاوضات دارت بين نيافة الأنبا يؤنس ومندوب حكومة الأردن عاد دير السلطان الى أصحابه . وعلى الرغم من كل ما حدث فقد ظل الأقباط حريصين على استضافة الأحباش

الرئيس يتبراع بخمسة آلاف جنيه للدير

* ودير السلطان يعد من أحسن أديرة الطوائف المسيحية الموجودة في القدس وهى تزيد على ١٢ طائفة لأنه الدير الوحيد الذى يطل على قبر القيامة ، وقد تبرع الرئيس جمال عبد الناصر لهذا الدير القبطى الملاصق له بخمسة آلاف جنيه ، وقد استقبلت الطائفة القبطية هذا التقدير بالترحيب الكبير لمعناه الادبى والمعنوى الهائل فوق قيمته المادية ..

وذلك مساهمة من الرئيس عبد الناصر فى تكاليف ترميم الدير وتجديده .



مكتبة
المحبة

القاهرة - ت وفاكس / ٥٧٥٩٣٤٤ - ٥٧٧٧٤٤٨